الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة وهران(السانيا)

كلية العلوم الاجتماعية **مشروع الفلسفةالأنجلوساكسونية**
قسم الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير

بعنوان

مفهوم السلام العالمي عند برتراند راسل

من إعداد الطالبة : **بإشراف الدكتور:**
قدور نورة **سواريت بن عمر**

قائمة أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور:ملاح أحمد / رئيسا
الدكتور: سواريت بن عمر/ مقررا
الدكتور: بوشيبة محمد / مناقشا
الدكتور:بهادي منير / مناقشا

الموسم الجامعي2011-2012

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلي:

من قال الله فيهما " ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا " إلي الوالدين الكريمان ، وإلي عائلتي الفاضلة بدون استثناء.

لكل أساتذتي الأفاضل الذين قاسموني رحلة هذا العمل العلمي المتواضع وعمال معهد الفلسفة بجامعة السانيا وهران.

وإلي كل الأصدقاء والصديقات وخاصة دفعة ماجستير 2010 مشروع الفلسفة الأنجلوساكسونية.

"قدور نورة"

الشكر

نشكر ونحمد الله الذي أنعم علي بفتح أبواب رحمته ، وعلى توفيقه لنا في السعي وراء نعمة طلب العلم والاستزادة منه، وصل اللهم على رسوله الكريم.

أقدم خالص شكري وامتناني للأستاذ المشرف فتح أمامي أبواب العلم الدكتور"سواريت بن عمر" على إعانته لي في هذا العمل بالتوجيه والنصيحة والمراقبة.

كذا أشكر الأستاذ الموجه الدكتور "بوعرفة عبد القادر" الذي أعانني في تذليل العوائق والصعوبات التي اعترضتني أثناء البحث.

وكما أشكر كل من قاسمني رحلة البحث وهموم هذا العمل في التنقيب والبحث عن المصادر والمراجع سواء من قريب أو بعيد.

مقدمة

شهد تاريخ البشرية ألوانا شتى من الحروب المحلية والعامة، والتي يبدو فيها الإنسان بصورة أنانية وحيوانية شريرة مفترسة كما يقول(Thomas hobbes)"توماس هوبز" "الإنسان ذئب لأخيه الإنسان" والتاريخ حافل أيضا بصورة أخرى للإنسان الوديع والمسالم الذي يخشى الحرب ويهابها بل يكرهها ويعمل على القضاء، وعلى أسبابها ويرنو إلى العيش في عالم تسوده المحبة والتسامح، ويظهر أن الحديث عن السلم يرتبط بالحرب وأخذ الثأر وعدم الاستقرار الذي عرفته البشرية عبر مراحل تاريخه، وأنه مفهوم يعكس تلك المأساة والذي تغيب معانيه إلا إذا ارتبط بمفهوم القتل والقتال وهو في الأخير بهذا المعنى نتاج له، بحيث لا يمكننا أن نتكلم عن السلم إلا بعد حدوث المأساة والشعور بالحاجة إليه في حياتنا.

فهذا التاريخ إلي جانب ما فيه من ألوان للحروب، فيه مساع كثيرة من أجل السلام وليست أهمية هذه المساعي في مدى نجاحها أو فشلها، أو في مدى استمرارها أو نطاق تطبيقها، فالحروب أيضا لم تكن لتدوم بل كانت تشغل فترات في العمر تطول وتقصر، وإن أهمية هذه المساعي في أنها بذلت من أجل السلام،فإنه على قدر الأخطار والأهوال التي تصورها كلمة "الحرب" في أذهان البشر في جميع بقاع الأرض، تتعلق القلوب في إشفاق وأمل بكلمة السلام وتهفوا إلى اليوم الذي يستطيع الإنسان فيه أن يتنفس الصعداء ويقول إن شبح الحرب قد اختفى وإن الناس جميعا بلا استثناء قد جنحوا للسلم ليستظلوا ويعملوا يدا واحدة في بناء عالم ترفرف عليه الرفاهية والمحبة، ويستمتعوا جميعا بثمرات التقدم، ويحققوا منه المزيد .....

وهذا ما جعل التفكير في السلام أمرا طبيعيا منطقيا منذ كانت الحرب، ولكن مفهوم السلام لم يكن، وخاصة في الفترة منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، من الوضوح والتحديد بالقدر الذي يدفع الناس إلى العمل الجاد البناء لالتماس علاج حقيقي لأسباب الحرب، وهناك ظاهرة تدعونا إلى قدر كبير من التأمل هي أن مفهوم السلام يكون أكثر وضوحا وتحديدا عندما تشتد أهوال الحرب ويزداد فتكها وضراوتها، عند ذلك يوجد في الأذهان ما يشبه الإجماع على ضرورة وضع حد

للمجزرة البشرية التي تمثلها الحرب، وذلك معناه السلام، ولكن الجذور العميقة التي تؤدي دائما إلى إشعال الحرب تظل حيث هي لتنبت الشجرة نفسها من جديد ولتلقي بالبشرية مرة أخرى في مجزرة أشد هولا وفتكا وإفناء، وفي الفترات التي في أعقاب الحروب يفكر الناس في السلام بطريقة تختلف كثيرا عن تفكيرهم فيه أثناء الحرب، ويقل اهتمامهم الجدي بالسلام كلما ابتعد بهم الزمن عن المأساة نفسها وشغلتهم مشكلات ما بعد الحرب عن التفكير في الحرب وضرورة اتقاء ويلاتها، وأن يصبح السلام نفسه مشكلة تحير عقول المفكرين ثم تتحول إلى تجارة هي أقرب ما تكون إلى تجارة الحرب بل جزء لا يتجزأ منها .

فلابد من فحصها من زاوية اعتبارها قسما من أنواع السلوك النفسي ضمن "ظاهرة الحرب"، فالاتجاه نحو السلام هو نقيض الدافع الحربي، ولذا يزدهر"حب السلام" عقب الحرب، وهو يجسد هبوط التوتر الحربي فالنزعة السلمية هي رد فعل مباشر: أنه يؤثر في الرأي دون أن يمر مقدما ومسبقا بضروب معقدة من الاستدلال كالأحكام اللاهوتية أو الفلسفية، والنزعة السلمية لا تمر أيضا بنظريات سببية سابقة كمخططات السلم، فهي ليست إلا تعبير عن اتجاه ورغبة، أنها سلوك مباشر وحالة نفسية لا تزال غير مفهومة لكن الذي هو كائن اجتماعي في الأصل تتخذ ردود الفعل العفوية لديه دائما شكلا نسقيا ومختلفا على حسب العالم الثقافي الذي ينتمي إليه وعندما يتعلق الأمر بالنزعة السلمية يمكن أن نعتبر أن الصورة التي تبدو بها المطالبة بالسلام تتعلق بالمفهوم المسيطر لدلالة الحرب تعلقا وثيقا.

وفيما وراء هذه التجارة ومساوماتها، وفيما وراء الأطماع والمصالح غير المشروعة، وفيما وراء الصراع بين المذاهب السياسية والاجتماعية، وفيما وراء الصراع على مناطق النفوذ وعلى الموارد المادية والاقتصادية والأسواق، وفيما وراء الصراع من أجل الحرية بين الشعوب وبين القوى الاستعمارية، فيما وراء ذلك كله تختفي حقيقة السلام.

فيبدو لنا بالنتيجة أن الاتجاهات والمذاهب السلمية يمكن أن تنقسم إلى زمرتين كبيرتين حسب ما يستمر محركوها الأوائل - وهم يلعنون الحرب- في

اعتبارها شيئا مقدسا، أو يطوون منها هذا الاحترام ويتصدون لها تصديهم لشيء مدنس أو محتقر .

ذلك مما أدى إلى الاعتقاد أنه لا سلم إلا بالحرب، وأن السلم تؤسسه القوة وتحافظ على استمراره ووجوده بين بني البشر، ومن جهة أخرى كانت أفكارا تنمو وتؤسس للسلم على أنه ثقافة تستوجب على البشرية اعتناقها، وحاولت التأكيد على أن استرداد الحقوق قد لا يكون باستعمال العنف والقوة بجميع مظاهرها، بل السلم هو مجموعة من القيم النبيلة المبنية على التسامح وقبول الاختلاف في الرأي والممارسة اليومية، ونبذ الحقد والإقصاء، والعمل على توفير الشروط الموضوعية التي ترتبط بالعدل والمساواة والإنصاف والأمن الاقتصادي والاجتماعي والمعاملات الإنسانية.

وبما أن حياة البشر وتاريخ المجتمعات عبارة عن جوهر تتداخل في إطاره الأحداث وتمتد الظواهر وتتشابك وتتفاعل عبر علاقات الناس مع بعضهم البعض فأصبح لدى العلم مهمة مقدسة في أن يحلل ظواهر الحرب والسلام باعتبارها تاريخ الشعوب وأنه حاجة بشرية، وعلى الرغم من ارتباطه بالعنف إلا أنه الهدف الأسمى الذي تنشده المجتمعات، وتحاول التأسيس له ونشره كقيمة إنسانية تحرك ثقافات الشعوب، لذا كان هو محور كل الديانات ودعا إليه رجال الدين والفكر منذ العصور الوثنية وصولا للفترة المعاصرة، فلقد أظهرت الأحداث المتتابعة منذ الحرب العالمية الأولى أن النظام الدولي المستقر نسبيا من ذلك الحين إلى هذا الحين يدخل بين الفينة والأخرى في تغيرات غامضة، ازدادت المخاوف أخيرا في أن العالم يسير نحو حروب متتالية، تخلف الدمار والخوف والذعر في نفوس البشر، ومن بينهم نفس الفيلسوف الانجليزي (BERTRAND RUSSELL)"برتراند راسل" الذي عايش الحربين الكونيتين الأولى والثانية، وعلق عليهما، وأخذ منهما موقفا ساعيا وداعيا إلى السلام والتخفيف من حدة التطور العلمي خاصة مع مأساة "هيروشيما وناقازاكي" في اليابان (1945)، وباستعمال القنبلة الذرية والهيدروجينية، أصبح العالم يعيش تحت

تهديد الموت في كل لحظة، وأصبح التواقون للسلام بالدعوة إليه من العلماء والمفكرين، وبشتى الطرق.

ومن أجل إظهار حقيقة السلام وإلقاء الأضواء عليها وتوضيح مفهوم للسلام يتفق مع إرادة الشعوب التي تريد السلام وتريد معه الحرية والعدل والتقدم، الأمر الذي جعلنا نطرح عدة تساؤلات من بينها على سبيل المثال لا الحصر: ما مفهوم السلام العالمي عند "برتراند راسل"؟ وكيف تتجلى هذه الفكرة عنده؟ وما أسباب الحروب ودوافعها؟ وما الأسباب التي تقف وراء الشرور في حياتنا؟ ومن القوى الدافعة والمحركة للعدوان ؟ وما مدى العلاقة بين الحرب والعلم ؟ وما أثر العلم على المجتمع؟ وكيف يتجلى المجتمع العلمي المستقر والأمثل ؟ وكيف تجلت فكرة حكومة السلام العالمي ابتداء من تهديد مستقبل الحضارة الإنسانية ؟ وكيف تمارس السلطة في الحكومة العالمية ؟ وما تنظيماتها ؟ وما سبل الحرية فيها ؟ وهل طرق السلام التي قدمها "راسل " ناجعة في مجتمع يعيش دائما التوتر والأزمات المتتالية ؟ وهل يمكن أن نعتبر فكرة "راسل " في السلام يوتوبيا خيالية لا أساس لها في الواقع ؟ ومجرد فكرة نشدها "راسل" في ظل التوتر والقلق الذي عايشهما في الحربين الأولى والثانية؟ كيف كان استقراء العالم للسلام بعد هاتان الحربان المؤلمتان ؟

كما تنطلق هذه الدراسة تنطلق من افتراضات تفيد بأن إمكانية أن يكون السلام واقع معاش بين الدول، وهل يمكن أن نرجع شرور العالم كلها إلى فجوة القوة التي تفصل بين الأقوياء والضعفاء؟ وأن دوافع الحروب نفسية متعلقة بذات الأفراد والشعوب ؟ أليس صحيحا أن الأقوياء يأخذون ما يريدون كيفما يشاءون ومتى يرتؤون ذلك؟ هل صحيح أن الضعفاء لا يملكون إلا الاستسلام لقدرهم مادامت ألسنتهم أطول بكثير من أذرعتهم ؟ وان نعتبر الحرب ظاهرة دائمة الحدوث والوجود في المجتمع البشري ؟ ألا نعتقد بتقنين هذه الحرب وتطويق أبعادها المدمرة ؟ كيف للحكومة العالمية أن تحقق السلام بتنظيماتها وسلطاتها؟ كيف تجلى موقف"راسل" من الأنظمة الاقتصادية الكبرى التي عاصرها كالاشتراكية

والرأسمالية ؟ ومن هنا هل يمكن أن نفترض وجود حكومة عالمية تحقق السلام العالمي وتصبح فعلا فاعلا في دول ما بعد الحربين ومع النظام الدولي الجديد وواقع لابد من التعامل معه ولا مفر منه، فيحد من قهر الشعوب واستبدادها لبعضها البعض؟

إن قضية السلام والحرب تندرج ضمن حقل الفلسفة السياسية، وقد كانت علي الدوام وعلى مر العصور تشكل السؤال المركزي لحياة البشر، وتعود دوافع اختيارنا لهذا الموضوع إلى أسباب موضوعية وذاتية والموضوعية من الواقع المعاش الذي تعيشه البشرية بين حروب وصراعات دامية، أو بين تأهب لحرب بين دول عظمى ويحضرني قول لطبيب فرنسي " ميشل نوستردام " ولد (1503) بمدينة "سان ريمي" بأن حربا عظيمة ستنشب قبل نهاية القرن العشرين وتصل هذه الحرب أوجها ويعظم تدميرها للبشرية عام (1999)، وواقع الحال أن القرن العشرين شهد صراعات مسلحة وحروب إيديولوجية جنونية دفعت العالم إلى وضع خطير، مما جعل الحرب العالمية الثالثة، مازالت مؤجلة وليست مستحيلة بطبيعة الحال، والآن توقفت الحرب الباردة قبل قدوم العام (2000) بسبب عدم وجود متقاتلين، وكان من الطبيعي أن يتلوها السلام المكتوب، وتوقفت نزاعات الشرق والغرب، ولماذا رغم ذلك تستمر التوترات؟ والجديد أن هذه التوترات أصبحت تهدد وحدة الدول، ورغم وجود هيئة الأمم المتحدة وما تدعو إليه من أجل تحقيق السلام، ولكن ما زال العالم يعاني مشاكل العنف والحرب واللاستقرار، فكيف السبيل إلى تحقيق السلام العالمي؟

وكذلك تتمثل تلك الأسباب الموضوعية في محاولة فهم فلسفة الفيلسوف الانجليزي الذي بدأ رياضيا، ووثق في العقل وثوقا هادئا وكاملا وبه قاس الأخلاق والمعتقدات والقيم والتقاليد، وبه قاس السلوك والغرائز وسلط نور عقله على كثير من الأساطير السياسية التي يسميها البعض نظما سياسية فبدد بها الصالح والطالح على السواء، ولكن دفاعه عن السلام سيبقى دائما جزءا لا يتجزأ من تراثه، فيحسبه القارئ لكثرة ما كتب في السياسة مفكرا سياسيا أولا ، والحقيقة الأمر أنه عالم رياضيات أول الأمر وفيلسوف ثانيا، ومفكر اجتماعي ثالثا ومصلح سياسي وداع

إلى السلام آخر الأمر، فكيف لعالم رياضي أن يتحول من عليائه وأرستقراطيته إلى أرض الواقع ويناقش قضايا الحرب والسلام بجرأة كاملة، ويعاني ويلات السجن لمواقفه الجريئة ضد الحرب، بالإضافة إلى أهمية المواضيع السياسية بالنسبة لنا لما تفرضه الضرورة الأخلاقية نحو المبادئ التي تحرك سلوك الأفراد في الأساس، و تحرك في الوقت نفسه حياة المجتمعات وفي علاقاته مع المجتمعات الأخرى في حالات السلم والحرب وما تضمنه الدين الإسلامي من دعوة صريحة إلى السلام والهدوء بين الأفراد والعلاقات الحسنة المبنية على التسامح والحرية والتآخي والمحبة.

إن المنهجية في بحثنا تعد مسألة جوهرية، ومفتاحا سحريا لفهم وتحليل الظواهر، وقد فرضت علينا طبيعة الموضوع -التي هي ذات صلة وثيقة بجوانب التحليل النظري البحت وتطبيقاته في العلاقات الدولية- اعتمادا مباشرا على المنهج التحليلي التاريخي وفق منهجية تجمع بين أسس المنهج التاريخي والتحليل الوصفي لملائمته للهدف المنشود، وقصد عرض مشكلة البحث ومناقشتها والبرهنة عليها في ترابط منهجي بين المنطلقات والافتراضات، مع تقديم لتحليل نقدي بحيث لا يقف الباحث كسارد قصصي وكذا المزاوجة بين المنهج الواقعي، الذي يعبر عن واقع المجتمعات في الحربين دون اعتبارات خاصة أو إيديولوجية، وكذلك استشراف دور الحكومة العالمية في تحقيق السلام العالمي في عالم يعاني من الحروب والتطور التكنولوجي الذي يهدد كيانه، دون إهمالنا للمناهج المساعدة كالمنهج الجينا لوجي واللغوي.

بدأنا هذا البحث بمقدمة تهدف لرصد حركية المنهج المتبع وتتبع ماهية السلام والحرب وحكومة السلام العالمية من حيث الرؤية والغايات، وبعض الصعوبات التي صادفتنا في هذا العمل، وعلى هذا ارتأينا أن تكون خطة البحث على النحو خطاطة ثلاثية الفصول والمباحث وذلك من خلال عرض تقديمي للموضوع وأهميته في الفكر السياسي وطرح لتساؤلات عن مفهوم السلام العالمي عند "راسل "، وفي الفصل الأول قمنا بتناول مدخل نظري حول أهم المفاهيم التي نعتبرها مفاتيحا لفهم

الحقل النظري الذي يحوم حوله الموضوع، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر: السلام والحكومة العالمية، الحرب، الثورة...، ،ثم قمنا بعرض تسلسل كرونولوجي لمفهوم السلام ابتدءا من اليونانيين ومرورا بالقرون الوسطية ووجهة نظر الإسلام والمسيحية له، وصولا للفكر الحديث ثم المعاصر، وغرضنا من هذا رصد الحركة التاريخية لموضوع من جهة وإبراز نقاط الإبداع والتجاوز التي أحدثها المفكرون، دون أن ننسى عرضنا للمرجعية الفكرية لبرتراند راسل ومنهجه الفلسفي.

أما الفصل الثاني وهو أساسي يتفرع إلى ثلاثة مباحث رئيسية أولها حول مفهوم الحرب ودوافعها، وثانيها أثر العلم في المجتمع وعلاقته بالحرب ، أما ثالثها عرضنا فيه لمميزات المجتمع العلمي المستقر والأمثل.

أما الفصل الأخير وهو الأهم تناولنا في مبحثه الأول مفهوم السلام العالمي عند "راسل" وحكومة السلام العالمية من حيث الرؤية والغايات، وتنظيماتها ومواقفه من الحربين بين الحذر والخوف، والمبحث الثاني عرضنا فيه لموقفه من الحضارة الصناعية وما خلفته الحرب النووية والقنابل الهيدروجينية من يأس وقلق في نفوس العلماء ومنهم هو، في حين عرضنا في المبحث الأخير تقييما لما ورد في فكره... وما مدى تأثير الأفق النظري على المستوى العملي "راسل"ومعالم الخيال السياسي عنده وكذلك محاولة الحديث عن السلام من منظار " يورغن هبرماس" كفيلسوف معاصر وأخيرا أنهينا البحث بخاتمة ترصد أهم النتائج المتوصل إليها.

وعلى العموم هذه العناصر التي أشرنا إليها في هذا البحث لا تعبر في حقيقة الأمر سوى عن توق النفس الإنسانية للأمن و بحثها عن الاستقرار في ظل التحولات السياسية الكبرى،كما أن المصاعب التي كانت تنتظرنا لم تغب عنا لحظة واحدة، وترجع هذه الأخيرة إلى اتساع موضوع الحرب والسلم، وتنوع وجهات النظر فيه بين السوسيولوجين والفلاسفة والسياسيين، كما أن الإحاطة بموضوع السلام أمر فوق طاقتنا بسبب ندرة المصادر ونذكر على رأسها أهم مصدر "أي الطرق إلى السلام؟"وإن كان تعويض هذا من خلال المصادر الأخرى المتوفرة لدينا، ونشير إلى أننا اكتفينا بالعودة إلى المراجع المتوفرة لسد النقص وخاصة أهم

من كتب له ورصد مشواره الفكري والسياسي وهو "رمسيس عوض" ، وبالإضافة إلى ندرة المراجع باللغة الأجنبية،فتتبعنا لمسيرة السلام ليس مجرد استرجاع لأفكار موضوع الحرب والسلم وتشييد صرح ضخم لفيلسوف شهير، بقدر ما كان هدفنا وغايتنا هو الإسهام في البحث الفلسفي ببعث الفكر السياسي لراسل مع علمنا لما قدمه في المنطق وإسهاماته التي لها الشأن الكبير مقارنة بالسياسة، وختاما يبقي التساؤل مطروحا هل ما قدمه "راسل" عن حكومة سلام عالمية هو واقع أم هو مجرد يوتوبيا نابعة عن نفس تتوق إلى السلم والأمن والاستقرار بعيدا عن الحروب الدامية وعن مخلفات التكنولوجيا من قنابل هيدروجينية وذرية؟

الفصل الأول : جينالوجيا مفهوم السلام

المبحث الأول :جينالوجياالمفاهيم

لقد شكلت إشكالية السلام والحرب موضوعا مهما وسؤالا مركزيا لحياة الأفراد حيث آن مخططات السلم على وجه العموم لا تأتي ولا تظهر، إلا بعد سلسلة من الحروب فهي تعكس السأم والسخط والرغبة في الخلاص من ويلات الحرب مما جعل هذه الإشكالية ترتبط بمجموعة من المفاهيم التي سيكثر تداولها في موضوعنا هذا، حاولنا أن نعرض ماهيتها ومعانيها وما مدى علاقتها بالسلم ومن ثمة حاولنا تتبع تدحرج مفهوم السلام عبر العصور وكيفية تجلياته من حقبة تاريخية إلى أخرى،إذا كان موضوع مذكرتنا هو مفهوم السلام في فلسفة "راسل" فقد تمثلت مفاهيمه فيما يلي: ومنها أولا :

1- السلام :

لغة : يعني أحيانا السلم من الفعل الثلاثي:سلم، مسالم،السلامة، السالم،سلم، مؤنث سلام ويقصد بهذه المفاهيم إلى معنى البراءة والسلامة من كل ما يحمل شرا ومن العيوب،أو العافية من كل بلاء، ويراد فيه في كلام العرب الصلح والبراءة والآمان[1]، بالتالي اتصاله بقيمة الخير والجمال، ويقصد به ما يلي[2]:

أ- اسم من أسماء الذات الإلهية (السلام)"هو الله الذي لا اله إلا هو الملك القدوس السلام"[3].

ب - اسم من أسماء الجنة "لهم دار السلام عند ربهم "[4].

ج - اسم من أسماء الشجر "والشجر رمز البركة والخير.

د - والسلم خلاف الحرب والآمان والنجاة لقوله" يأيها الذين آمنوا ادخلوا قي السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان"[5]

وفي اللغة اللاتينية(pax) ويعني حالة الوئام التي تكون عليها الدولة أو الجماعة من غير بادرة حرب، أو هي وفاق بين طرفين يحملان أسباب الصراع .

[1]- إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية (المكتبة الإسلامية) تركيا ،ج1، (دط)، (دت)،ص446.
[2]- احمد عابد وآخرون ،المعجم العربي الأساسي ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم(لاروس)، ص639.
[3] - سورة الحشر الآية23.
[4] - سورة الأنعام الآية127.
[5]- سورة البقرة 208

والسلام بالفرنسية (paix)وبالانجليزية (peace) وباللاتينية (pax) وهو المعنى المتعارف عليه، حالة أي أمة أو دولة ليست في حرب، كما أنه يعني العلاقات غير الصراعية بين الناس وانعدام أي الأعمال العدوانية أو أي عنف داخل مجموعة بشرية كما يعني الوفاق بين أعضاء مجموعة بشرية متقاربة ومتصلة الروابط لإقرار السلام[1].

ومن الناحية السياسية : السلام هو مصطلح يستخدم في العلاقات الدولية ليشير إلى انعدام العدوان الدولي، ومع وجود روابط بين مجموعة من الدول وتصدق على بعض النظم التي نجحت في تنظيم العلاقات بين دولتين أو أكثر، وعملت على استقرارها سياسيا، وأنه الحالة التي تقوم بين الدول من عدم اشتراكها في الحرب أو إنهاء لحرب، والسلم الحقيقي ليس مجرد عدم وجود خصومات قائمة بل ينطوي على استقرار النظام[2].

أما عند علماء الاجتماع فيشير المصطلح إلى حالة الانسجام والتعاون في العلاقات الاجتماعية ذوات الإحجام المتباينة،وعرف السلام في علم الاجتماع السياسي بأنه عقد دولي تنعدم بموجبه أشكال العداوة بين الدول، أو هو جملة الاستراتيجيات الهادفة إلى تقليص دائرة الحرب بين الأنظمة الحاكمة والدول.

أما في المعني الفلسفي ففي الفلسفة الواقعية هو معطى أخلاقي يتطابق مع السلوك البشري قبل أن يتطابق مع الأفكار الجانحة إلى الشمولية ونهاية الأفكار في فكرة واحدة .

فالسلم أو السلام يرتبط بسعادة الجماعة الراهنة التي تبحث عن العيش في سلام، فالحـــرب ما هي إلا سلوك يترجم ضعف الإنسان في ضبط سلوكه الانفعالي، وأحيانا الحرب لن تكون إلا وسيلة من أجل الوصول إلى السلام.

[1]- Sally wehmeier ,oxford ,Advanced learner's dictionary ,new edition,oxford up, 6edition p 932.

[2] - *يحي محمد النبهاني ، معجم مصطلحات التاريخية، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع ،الأردن، 2008 ،ص164.*

2- الحكومة العالمية :

مفهوم العالمية:اسم بسيط ولكن معقد ومتغير الدلالة ، فالأرض هي الوعاء الذي يحوي الإنسانية بما فيها وما عليها وما كان منها وما سيكون إلى أن يقضي الله أمرا مفـعولا، وقد تفرد عالم الإنسان بين سائر العالمين، فتقاسمها بنوه وسار كل نفر بقسمه[1]، والبعض يبغي العالمية فما هي إذن ؟

العالمية مشتقة من لفظ العالم الذي يطلق على كوكب الأرض، منذ تكون الكرة الأرضية، فهي تشمل كل ما يمتد ويتسع متخطيا العوائق والحواجز، وكل ما هو مصطنع حتى يشمل العالم كله دون تفرقة أو تمييز[2].

ويرى البعض أنه لا سبيل لافتراض مفهوم واحد عن العالمية، لما يتميز به هذا المفهوم من إحاطة وشمول وتبدل، أسبغها عليه الفكر الذي أصبح ولأول مرة- بفضل سيادة التقنية ـ فكرا كونيا، يعبر عن شكل من أشكال الحقيقة لعصر من عصور العالم لا يميل لأي معنى عرقي أو جغرافي أو قومي،إلا العالم وقد سادته التقنية[3].

وهناك من يرى أن كلمة العالم تعني البشرية،وبالنسبة إليها توحي بمشاركة الناس جميعا، وأن هذا الاسم من مفردات ليس لها جذر في اللغة العربية[4].

ويستخدم البعض فكرة العالمية في إطار المنهج الوظيفي للنظرية العامة في المنظمات الدولية، وما يترتب على ذلك من مناقشة الأهداف المشتركة للمنظمات والدول في تحقيق الأمن والسلم وصيانتها،وبالتالي ربط مفهوم العالمية بالعضوية في تلك المنظمات التي تعلن اعترافا متبادلا سيادة الدولة ومؤسسات المجتمع الدولي.

هناك من يعتبر العالمية كمرادف للإنسانية في مجتمعها المثالي، وهي برأي البعض دعوة "طوباوية"،لأنها تصور من إبداع العقل البشري لمجتمع خيالي كامل أبدي،بواعثه الظلم وفيه دعوة لمقاومة الاستبداد والسلطة المطلقة[5].

---

[1] ـ ابن منظور لسان العرب(مادة العالم)، الجزء12، دار الفكر،بيروت،ط1،1990.

[2] ـ محمد حسن الأبياري،المنظمات الدولية وفكرة الحكومة العالمية ، الهيئة المصرية للكتاب،1978، ص21،22

[3] ـ عبد السلام بن عبد العالي ، الفكر الشمولي والفكر الكوني ، مجلة الوحدة، الرباط، العدد86، 1991،ص7،8.

[4] ـ إسماعيل صبري عبد الله ،أبرز معالم الجدة في نهاية القرن العشرين، مجلة عالم الفكر، المجلد 26، العدد 3،4،1998ص453.

[5] ـ عبد الله ناصف،السلطة السياسية ضرورتها وطبيعتها،دار النهضة العربية،1982،ص20.

أما الإنسانية يقصد بها من ناحية الجنس البشري مجردا عن انتماءاته لدولة أو أخرى،أي أنه يحتضن شعوب العالم أجمع في الوقت الحاضر، وأولئك الذين سيأتون في المستقبل، فالواقع أن لمفهوم عمومية البشرية نفسه تاريخ، فالإنسانية لم تصل إلى مستوى التجريد الذي يحمله هذا المفهوم، حتى الحقبة التي تبلورت خلالها عبر مسيرة تاريخية معقدة والديانات الكبرى، التي تتقاسم العالم بينها إلى عصرنا، بيد أنها لم تحقق وحدة الإنسانية جمعاء، فقد طرحت فكرة سابقة على نضج الظروف الموضوعية التي تتيح تحقيقها[1].

العالمية مذهب يدعوا إلى البحث عن الحقيقة الواحدة، التي تكمن خلف مظاهر متعددة في الخلافات المذهبية المتباينة، وهب بحسب هذا الرأي السبيل إلى جمع الناس إلى مذهب واحد، تزول معه خلافاتهم الدينية والعنصرية لإحلال السلام في العالم محل الخلاف[2].

وعلى النقيض من هذا الرأي هناك من يرى أن العالمية دعوة باطلة، لأنها تخالف سنة الله في كونه، من حيث الصراع بين الخير والشر، والحق والباطل ، فهي تدعو إلى الجمع بين تلك النقائض، كما أنها وثيقة الصلة بالصهيونية العالمية التي تتوسل بشتى الطرق للسيطرة على العالم، ومنها الدعوة لحكومة عالمية، التي تتلاشى فيها العصبيات والحدود والديانات[3].

هي كيان سياسي يضع ويفسر ويطبق القانون الدولي. وطبقاً لمفهوم الحكومة العالمية فعلى الشعوب أن تساهم أو ترضخ لتلك الحكومة(كل حسب نظرته)، والنتيجة أن الحكومة العالمية ستضيف مستوى جديداً من مستويات الإدارة فوق المستوى الوطني للحكومات.

إنها حالة تتنازل فيها الدول عن سيادتها طواعية وتعطي صلاحياتها لدولة واحدة تكون دولة عالمية، بنفس الطريقة التي يتوهم البعض أن المجموعة الأوربية تسير فيها، وهذه الحالة نظرية افتراضية والبحث افتراضي .

[1]- سمير أمين،حوار حول مفهوم القومية، المستقبل العربي ، العدد213،ص5.
[2]- يحي محمد النبهاني، معجم مصطلحات التاريخ، ص190.
[3]- الموسوعة العربية العالمية، مرجع سبق ذكره، ص1102.

أو أن تقوم دولة ما باحتلال العالم وتوحيده بقوة السلاح، وهذه الحالة محتملة بالرغم من أن بعض الدول وصلت إلى أقل بقليل من ذلك المستوى كالإسكندر الأكبر،والإمبراطورية الرومانية والدولة الإسلامية،كما تبين لاتحاد السوفيتي أن الثورة العالمية وهم فاعتناق الشيوعية والاشتراكية الوطنية، تبقى بديلا للصفة العالمية لهذه المبادئ والتصور الوحيد،وإن كان مستبعدا،هو في اعتناق العالم للإسلام، لأن وحدة الدولة جزء لا يتجزأ من المبدأ وهو الإسلام[1].

ويبقي "العالمية" مفهوما يصعب ضبطه وتقنينه في تعريف جامع ومانع، وإن كان يتدحرج بين الدعوة إلى التعاون بين الأمم لخير البشر جميعا ووصولا إلى التدويل العالمي والدولة العالمية، ولكن كيف بدأت فكرة العالمية، وأين كانت النشأة الأولى لها؟

لقد أسهمت الرواقية في إضافة تطور فلسفي إلى مفهوم الدولة وهو ما أسمته الدولة العالمية، والتي غدت مثلا أعلى للدولة،مع إرساء لركائز النهوض بفكرة مساواة عالمية بين جميع الأفراد، دون تمييز بينهم، فالوحدة الرواقية تقوم على أساس من وحدة الأصل بالنسبة للبشرجميعا، وهم بذلك أسرة واحدة، قانونها العقل ودستورها الأخلاق.

كما أن الرومان سعوا للمناداة بوحدة العالم، وإن كانوا قد تمكنوا من فرضها نسبيا عبر حروبهم التوسعية، ومما يضاف إلى السجل الروماني سياسة فرق وأحكم، بمعاملة التي كانوا يسوسون بها الشعوب المغلوبة، حيث أن عالمية الرومان ليست لنشر دين أو حضارة بل غزاة من أجل مجد روما[2].

ومما لا شك فيه أن انتشار الديانة المسيحية حتى بلغت من العالمية ما بلغت لم يكن وليد الصدفة،بل نتيجة طبيعية لوصية المسيح عليه السلام لتلاميذه :"اذهبوا إلى العالم وركزوا بالإنجيل للخليقة كلها "،فانتشروا في الأرض مبشرين بدينهم، وباعتناق الأباطرة للدين المسيحي أصبحت دينا رسميا للدولة الرومانية، وأسندت المسيحية عالميتها على فكرة الخلاص بحسب الكتاب المقدس ضمن أفكار مدينة الله لأوغسطين

[1] - محمد موسي ، أضواء علي العلاقات الدولية ، دار البياق، بيروت ،الجزء الأول ، ط3 1999، ص53.
[2]- جاسم محمد زكريا، مفهوم العالمية في التنظيم الدولي المعاصر، منشورات الحلبي الحقوقية،ط1، 2006،ص 101.

بأن الإنسان ينتمي إلى مجتمعين واحد مادي والثاني روحي(الأرض والسماء)، وبالإضافة إلي البابوية التي ركزت سلطة العليا باسم الله بيد البابا[1].

لقد أرسى الإسلام دعائم الحضارة العالمية الإنسانية (وما أتبعه الفكرالإسلامي) جملتها الأمة العربية إلى عالم حضارة رسالة أصيلة بتجنب التعصب وجانبتها العنصرية،فأقامت صرحا ماجدا من خلال رسالة التوحيد وإقامة العدل ومقاومة الظلم وصيانة كرامة الإنسان ووحدة الإنسانية.

وبسط"الفارابي"(Al-Farabi) نظرية في الحكومة العالمية قي كتابه "أراء المدينة الفاضلة" فأرسى دعائم نظريته على أسس إسلامية رصينة، مقسما العالم إلى مدن فاضلة وغير فاضلة ومؤكدا على أن الاجتماع المدني الفاضل، إنما يأتي نتيجة اختيار الإنسان وإرادته، مع تحديد لصفات الرئيس باجتماع اثنتا عشرة خصلة،فهذا الرئيس الذي لا يرأسه إنسان أخر أصلا هو الإمام، وهو رئيس المدينة الفاضلة، ورئيس المعمورة من الأرض كلها"، وفي الحقيقة أن اهتمام الفارابي بأخلاق الرئيس وعدالته تجد أساسا لها في الدعائم التي أرساها الإسلام للعلاقة بين مكونات الأمة،فلا امتياز للراعي أو للرعية لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن أحب الناس إلى الله عز وجل يوم القيامة وأقربهم مجلسا إمام عادل".

ومن بين الذين كانوا السابقين إلى فكرة حكومة عالمية"دانني أليجيري" (Dante Alighieri) بعد ظهور القوميات، وما تمخض عنه من الحروب بين القوى القومية الناشئة، وجاءت أفكاره في صورة إمبراطورية عالمية مستوحيا في ذلك عودة الإمبراطورية الرومانية،التي كان يعتقد أن الله كرسها لتوفير السلام للبشر، منطلقا من مصلحة الأسرة الواحدة تقتضي وجود رئاسة مسيطرة، تتولى فض النزاعات بين الأفراد،فالشعوب أجدى بها أن تكون لها مثل هذه الرئاسة المسيطرة، ويتمثل في حكومة عالمية،فاعتقد أن الدولة الرومانية هي المثل الأعلى في الفكر الأوربي،ومما يؤكد ذلك قول"ميكيافلي":"كفى الرومان فخرا أن سياستهم هي سياسة الحكماء من الملوك، والعقلاء من الأمراء، إذ هي لم تقتصر على الاهتمام بالحاضر وحده،بل امتد

[1]- جاسم محمد زكريا، المرجع السابق،ص 104،105.

حسبانهم إلى غياهب المستقبل"[1]، كما تبنى هذه الفكرة "توماس مور" (Thomas more) عند تقديمه لكتاب "يوتوبيا"، وقرر أن نقطة البدء، تكون تغيير الإنسان الذي تقوده غرائزه إلى الظلم وسفك الدماء،حتى يغدوا كائنا خيرا يقودها نحو المحبة والسلام، ولن يتأتى هذا إلا بتغيير المجتمع أولا[2].

3- الـقـوة :بالفرنسية (force)أو (puissance)،وباللاتينية تعني (fortitido)

وتعني القوة ،والشدة ، والطاقة وضدها العنف ونقول قوة الفكر وقوة الجسم وقوة الغريزة،والقوة هي القهر المادي والخارجي، أوالضرورة التي لا تستطيع الإرادة مقاومتها، ومنه قولهم استولى علي الشيء بالقوة، وخضع للقوة، وبهذا تكون القوة مقابلة للحق، لأنها ليست حقا وإنما هي وسيلة الدفاع عن الحق أو تمنع صاحب الحق من التمتع بحقه[3].

وتعني القوة مبدأ الفعل سواء كان بشعور أو غيره، وهي إما مادية كقوة الانفجار أو معنوية كقوة الفعل[4]، ويقصد بالقوة أيضا مصدر الحركة والفعل زمنه قوة التفكير وقوة الإرادة والروح [5] .

أما في الجانب القانوني فتستخدم بمعنى القدرة القانونية، والقدرة على العمل أو السلطة اللازمة لذلك، وخاصة السلطة المخولة، والترخيص والسلطة القانونية النوعية التي تمنح لشخص أو أشخاص معينين، وقد استخدمت في سنة (1480) بمعنى الوثيقة (Document) التي تعني السلطة القانونية أو أي بند فيها[6].

وبينما نجد أن القوة أحيانا تأخذ شكلا من أشكال الطاقة (Energy)، أو القوة المتاحة للاستخدام، كالطاقة الميكانيكية، كقوة الجاذبية وقوة التمييز عن العمل اليدوي أو لأشياء ينظر إليها كسلعة تباع بكميات محدودة[7]، أما في علم الميكانيكا فهي كل شيء قادر على تحويل، أو تغيير الأجسام سواء من حالة السكون أو الحركة

---

[1] - ميكيافلي، ص 66،76.

[2] - ماريا لويزا بيرنيري، المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ترجمة عطيات أبو السعود،سلسلة عالم المعرفة،العدد220،1997، الكويت،ص9.

[3] - صليبا جميل ، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والانجليزية واللاتينية ،بيروت د.ط-1982 ،الجزء الثاني ،ص 202/201.

[4] - صليبا جميل ، المرجع نفسه.

[5] - مذكور إبراهيم ، المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ،القاهرة ، د.ط، 1983، ص149.

[6] - علي سعيد إسماعيل ،نظرية القوة مبحث في علم الاجتماع السياسي ،جامعة الإسكندرية ،القاهرة ،د.ط، 1976، ص24.

[7] - Colin armande ,vocabulaires philosophie et science humaine,L –M- Mon fors ,Paris,1980,p102-

لذلك الجسم[1]، وأما لدى بعض الفلاسفة نجد تعريف"هيرقليطس"(Huraclitus) يعتبرها مكونا آليا في الأجسام، وعنصر من عناصر تنظيم الكون، وقال عنها "بار كلي" بأنها مفهوم ميتافيزيقي يلجأ إليه العلماء من باب التفسير العلمي[2].

أما"ماخ"(Arnst mach) فيعتبرها اصطلاحا رياضيا يتصل بقياسات المكان و الزمان و يلعب مفهوم القوة في الفيزياء المعاصرة نفس الدور الذي يلعبه الحد الأوسط في القياس التقليدي و فيه يمكن دراسة السلوك الحركي للأجسام الفيزيائية [3]،فإذا كان "ماخ" قد عرفها من الجانب الفيزيائي فإن "أليسون" يقول: أن القوة والنفوذ كانا مقصورين على طبقة واحدة، حيث يشير إلى وجود حزب في السلطة أو الحكم كأن يقول " الخصم صاحب السلطة أو الحزب الحاكم " [4].

بينما يؤكد "وول ديوارنت"(W. Durant) :أنها العامل الأول في خلق الدولة وإن الاجتماع البشري لا ينشأ لإرادات الأفراد واختياراتهم[5]، أما القوة عند "مود لسكي" فقد عرفت على أنها قابلية الدولة في استخدام الوسائل المتوفرة لديها من أجل الحصول على سلوك ترغب في أن تتبعه الدول الأخرى، فأعطيت القوة عند "مودلسكي" تفسيرا سياسيا يصف حالة الدولة و علاقتها بمؤسستها [6] .

وقد ورد في معاجم مصطلح القوة والقدرة في اللغة العربية بينما نجد في الفرنسي (force - puissance) وفي الإنجليزية (power – stangth) ومن الطبيعي أن المهتم باللغة لا يمكنه أن يعرف المعاني المختلفة للمفهومين، فالتمييز هو موجود، ولكن بما أن القدرة هي القوة على الشيء وهي مرادفة لاستطاعة فالفرق يكمن في أن القوة تضاف إلى العاقل وغير العاقل، تكون عقلية وطبيعية ومثل ذلك قوة التيار، قوة الجسم،على حين أن القدرة تضاف إلى الكائنات العاقلة،كما في قولنا: قدرة المربي وقدرة الحاكم[7]،إنه يمكننا اعتبار القوة الوسيلة المحققة للعدالة و الأمان في ظل الدولة

[1]- Colin armande ,vocabulaires philosophie et science humaine,L –M- Mon fors ,Paris,1980,p102.
[2] - عبد المنعم الحنيفي ، المعجم الفلسفي الفرنسي الانجليزي ،دار الشرقية ،بيروت ،الطبعة السادسة ، 1990،ص128.
[3]- عبد المنعم الحنيفي ، المعجم الفلسفي الفرنسي الانجليزي المرجع نفسه.
[4]- علي سعيد إسماعيل ص110.
[5]- وول ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة زكي نجيب محمود ،مطبعة لجنة التأليف و النشر ، ط 1949 ، الجزء الأول ص39.
[6]- علي سعيد إسماعيل ،نظرية القوة مبحث في علم الاجتماع السياسي ،مرجع سبق ذكره .ص26.
[7] - قربان ملحم ، قضايا الفكر السياسي (القوة) ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والطباعة ، الطبعة الأولى 1983، ص135.

وهذا في بعض الأحيان و كذا يمكن أن تكون القاهرة في أحيان أخرى، فإذا اعتبرنا القوة تستمد شرعيتها من القهر و المساس بنظام الأشياء فهل يمكن أن تكون عنفا ؟ ما العنف ؟

4- العنف:

لغة: وقد وجدنا تعريفا له في المعجم العربي على أنه الخرق بالأمر وقلة الرفق وهو ضد الرفق،ويعنف، عنفا، عنافة، وأعنفة، وتعنيفا، فهو عنيف وإذن لم يكن رفيقا في أمره[1]،إن العنف يشير إلى الشدة، القهر، والإكراه وإضافة على العبارات التالية: لا قانون الاغتصاب، وأنه صورة الغضب.

باللغة اللاتينية (violantia) والتي تعني الشدة أو القوة، وقد عرف اصطلاحا بأنه اللجوء إلى القوة لإخضاع شخص ما ضد إرادته أي بتطبيق القوة ضد القانون.

حيث نجد (Alan)"ألان" يعرفه بأنه نوع من القوة ولكنه أشد، وسعيه إلى تحطيم أية مقاومة باستعمال طريقة الإضافة، والعنف في إطار آخر يعني الجريمة ما دامت تمارس ضد الإنسانية [2] .

فمن خلال التعريفات المقدمة للعنف فإنه يتميز عن القوة في أن الشرعية القانونية تستند إلى فرضية أن الحكام يحق لهم اللجوء إلى القوة، شرط أن يتم استعمالها وفقا لقواعد واضحة، متفق عليها، إلا أن المجتمع يكون عنيفا بمقدار ما تكون القوة الممارسة منتظمة وشرعية.

فإن قلت شرعية القوة كان العنف في تزايد، فالعنف إذا مورس بشكل جيد فإنه يخدم مصلحة القوة، والمقصود بمصلحة القوة هنا الحكام الأقوياء، الذين يتولون مصالح الأفراد وفقا لنظام خاص، مستقرين في أرض معينة وهاته الأخيرة هي الدولة فكيف عرفت الدولة ؟

[1] - ابن منظور ، لسان العرب ، معجم لغوي علمي ، تقديم الشيخ العلا يلي عبدا لقادر ، إعداد خياط يوسف ،دار لسان العرب ،بيروت المجلد الثاني، د.ت ، ص 309 .

[2]-RUSS JAQUELINE , Dictionnaire de philosophie , Bordas,1991p 316.

5-الـــــدولـــة وهي (L'état) في المعجم الغربي يطلق عليها باللغة اللاتينية (Status) والذي يعني القانون أو الفعل بمعنى عمل من أجل معرفة حالة الشيء، وهي تشكيل للحكومة[1].

إن الدولة مجتمع منظم له حكومة مستقلة وشخصية معنوية متميزة من المجتمعات الأخرى المماثلة التي تربطه بها بعض العلاقات، وتختلف الدول فيما بينها، من حيث تكوينها ونظام الحكم فيها ، ومنها الملكية والجمهورية[2].

ونجد علماء علم الاجتماع يعرفونها على أنها مجمع من الناس مستقرون في أرض معينة وفقا لنظام خاص، أو هي مجتمع منظم لحكومة مستقلة و شخصيته معنوية تميزه عن غيره من المجتمعات المماثلة، فالدولة هي الجسم السياسي والحقوقي الذي ينظم حياة مجتمع من الأفراد[3].

فالدولة إذن في مضمونها ظاهرة اجتماعية، وفي مدلولها نظام قانوني، والسياسة في أبسط معانيها هي الأسلوب الوحيد الذي يقوم عليه تنفيذ و تهيئة مساره فما يمكن استنتاجه هو أن الدولة من وجهة نظر السوسيولوجيين هي مجموعة بشرية مستقرة في أرض معينة وتتبع نظاما سياسيا اجتماعيا وقانونيا يهدف إلى الصالح العام.

أما من ناحية المنظور السياسي فقد عرفت الدولة على أنها مؤسسة سياسية تحتوي جميع المؤسسات الأخرى، ومنها تستمد هذه المؤسسات نظريا على الأقل وجودها وسلطتها و تكليفها [4] .

أما بخصوص التعريف الفلسفي للدولة فهي ذلك الجزء من الكيان السياسي الذي يعني بصورة خاصة سيادة القانون، وتقدم الحياة، والنظام العام، أي أن الدولة جزء اختصاصه الصالح العام أو المجموع وهي ليست فردا أو هيئة، بل مجموعة مركبة وبتعبير آخر الدولة هي الإطار التنظيمي لوحدة المجتمع والناظم لحياته الجماعية .

---

[1]- RUSS JAQUELINE , Dictionnaire de philosophie , Bordas ,1991p.201 .

[2]- مذكور إبراهيم ، المعجم الفلسفي ،مرجع سبق ذكره ،ص 85.

[3]- صليبا جميل ،مرجع سبق ذكره ص 568.

[4]- عبد السعيد فايز محمد ، الأسس النظرية لعلم الاجتماع السياسي، دار الطليعة ، بيروت ،الطبعة الأولى 1983ص123.

وفي الدولة تعلق إرادة الأفراد والجماعات الأخرى في المجتمع و ذلك من خلال امتلاك سلطة إصدار القوانين، واحتكار حيازة وسائل الإكراه، وأحق استخدامها في سبيل تطبيق القوانين وهذا يهدف إلى ضبط حركة المجتمع و تأمين السلم والنظام وتحقيق التقدم في الداخل و الأمن من العدوان من الخارج [1] .

ومن كل ما سبق نلاحظ اختلاف الفلاسفة في تحديد مفهوم الدولة إذ يقدم كل فيلسوف تعريفا خاصا لها وعلى سبيل المثال لدينا الفيلسوف:(jean Bodin) "جان بودان" الذي عرف الدولة على "أنها حكومة شرعية مؤلفة من عدة أسس ومن ممتلكاتها المشتركة مع سلطة غالبةويقصد بالجمهورية الجماعة السياسية أي الدول"[2].

فمن خلال التعريفات المقدمة للدولة يمكننا القول على أنها مؤسسة سياسية تستند إلى مجموعة من القوانين التي تستمد شرعيتها ومصداقيتها وبفضلها تفرق بين العدل والظلم والحق والباطل وكذا المحافظة على القيم العليا وتمنع القيم الدنيا من الظهور والسيطرة .

فإذا كانت الدولة تعني التمييز بين الحق والباطل والعدل والظلم فتظهر لنا علاقاتها بالقوة التي تعني هي الأخرى الإصابة في الحكم والتمييز بين الحق و الباطل فنحن نجد أن تعريف الدولة القانوني يستخدم معنى القدرة والعمل والسلطة اللازمة والدفاع عن المثل العليا التي منها السلام فهل يمكن اعتبار السلطة تحافظ على السلام ؟ .

5- السلطة :

جاء في لسان العرب أنها الحجة والبرهان، ولا تجمع لأن مجراه مجرى المصدر ولذلك قيل للأمراء سلاطين لأنهم الذين تقام بهم الحجة والحقوق[3]، والسلطان وزعه الله في أرضه[4]، عرفت السلطة لغويا على أنها:

[1] - الكيالي عبد الوهاب وآخرون ،الموسوعة السياسية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر الطبعة الأولى ج2 ، 1979ص705 .
[2] - محفوظ مهدي ،اتجاهات الفكر السياسي، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع الطبعة الأولى سنة 1990ص 53.
[3] - ابن منظور ، لسان العرب (مادة السلطة) ، دار الضاد ،بيروت ، المجلد السابع (1410-1990) ،ص321.
[4] - سميح غنيم ،موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي الإسلامي ،مكتبة لسان الناشرون ،الطبعة الأولى،2000،ص 560.

أ- مشتقة من الفعل استطاع،أي القدرة،بمعنى سلطان وبالفرنسية (POVOIR) وهذا المصطلح أو كلمة سلطان مرادفة لكلمة قوة بمعنى (PUISSANCE) .

ب- السلطان : وهو ما يمثل السلطة لاسيما بالمعنى العامي المحسوس فهو جسم متكون يمارس هذه السلطة في الحكم وفي كل الدول توجد ثلاث أنواع من السلطات :

- السلطة التشريعية : وهي التي تشرع القوانين .
- السلطة التنفيذية : وهي التي تقوم بتنفيذ القوانين .
- السلطة القضائية وتكمن مهمتها في الفصل بين القضايا [1] .

إن السلطة هي القوة التي تمارسها الدولة بعد أن تبرر شرعيتها وشرعية استعمالها في حين نجد السلطة قد عرفت قانونيا واجتماعيا كما يلي :

كلمة "السلطة" أصبحت مرتعا خصبا لكثرة استعمالها لمفاهيم متضاربة ومتناقضة أحيانا، مما جعل الشك و الغموض ينتاب هويتها ووحدتها بوجودها،لأن الاستعمالات السابقة وخاصة الطبيعية كنظرية القوة التي زعزعت مصداقية الكلمة وزادت من تشبعها، حيث تعتبر السلطة ركنا بعد كل من السكان والإقليم والدولة وهذه السلطة تباشر وظائف الكائن المجرد الذي يطلق عليه اسم الـدولة .

وسبيل ذلك أن الدولة فكرة تعبرعن شخص اعتباري، ومن ثمة تعين قيام مجموعة من السكان هدفهم التعبير عن إرادتهم عن ممارسة السلطة، ونتيجة هذه الممارسات ترتب عليها تقسيم أفراد المجتمع إلى فئة حاكمة و فئة محكومة، فالدولة التي تحكمها سلطة ما هي إلا مجتمع منظم يتميز بدورها كشخصية اعتبارية ومختلفة عن الجماعات الأخرى [2] .

وكما أن صاحب السلطة يجب أن يوحي بالاحترام والثقة، وعلى حين أن صاحب القوة يوحي بالخوف والحذر ولذلك قبل أن السلطة في الحكم الديمقراطي مستمدة من إرادة الشعب، لأن الغرض منها الحفاظ على حقوق الإنسان، وصيانة

[1] - أندري لالاند ، الموسوعة الفلسفية ترجمة ،خليل أحمد خليل ، دار النشر عويرات بيروت المجلد الثاني د.ط ،د.ث ،ص 1011
[2] - أندري لالاند ، الموسوعة الفلسفية مرجع سبق ذكره ص 1015.

مصالحهم، لا تسخيرهم لإرادة مستبد ظالم ومن فرض سلطانه على الناس بالقوة ولم يقلب قوته إلى حق ولم يضمن بقاء سلطانه [1] .

إذن السلطة أيضا مفهوم أخلاقي يشير إلى النفوذ المعترف به كلية، لكل فرد أو نسق من وجهات النظر،أو لتنظيم مستمد من خصائص أو خدمات معينة مؤداة وقد تكون السلطة السياسية أو الأخلاقية أو العلمية ...، ويتوقف ذلك على مجال النفوذ ووجودها للسلطة شيء جوهري لتطور التطبيق التاريخي و الاجتماعي [2] .

ومن خلال ما قدم عن للسلطة ، يمكن أن نكشف أيضا أن مفهوم القوة أوسع من السلطة فإذا كانت السلطة أساسا قانونيا، فإن القوة قد يكون لها هذا الأساس وقد لا يكون لها، حيث أن هناك تمييز بين القوة و الإكراه والسلطة من جهة ثانية، إذن القوة هي التأثير على السلطة لقد كانت القوة المطلقة والدائمة للجمهورية هي التي تظهر فيها الإرادة و التي لا يمكن أن نعين إلا عن طريقها، وهي التمتع بالسلطة الدستورية حيث أن السيد هنا يحفظ ولو مرة واحدة سيطرة فكرة القانون التي تصلح أن تكون الأساس الموجه لحياة الدولة و اختيار الحكومات[3].

لقد وردت هنا لفظة السيد و السلطة فهل نقصد هنا بالسيد الحاكم ؟ وما علاقة السيد بالسلطة و ما هي التعريفات التي وجدت لمفهوم السيادة ؟

6- السيادة:

لغة : من يسود، يقال فلان سيد قومه إذ أريد به الحال، وسائد إذا أريد به الاستقبال والجمع سادة ، ويقال سادهم سودا، سؤددا، سيادة، سيدودة ، استادهم، وهو المسود الذي ساده غيره، فالمسود السيد، والسيد يطلق على الرب والمالك والفاضل والكريم والحليم ومحتمل أذى قومه والزوج والرئيس، وأصله من ساد فهو سيود، والزعامة السيادة والرياسة والسيد كل مقهور مغمور بحلمه [4].

---

[1]- صليبا جميل ، العجم الفلسفي ندار الكتاب اللبناني بيروت ، الجزء الأول ، د.ط ،سنة ،1982 ص 680.

[2]- روزنتال بودين الموسوعة الفلسفية ،ترجمة يوسف كرم، دار الطليعة للطباعة و النشر الطبعة الثانية ، د.ت ،ص 248 .

[3]- PAUL FAULQUE , Dictionnaire de Langue philosophique, presseditin , universitaire de France, paris 1982 p 689.

[4] - ابن منظور ،لسان العرب ،إعداد خياط يوسف (مادة السيادة).دار لسان العرب ،بيروت ،د.ط ،د.ت .ج4نص216.

***ا* أخرجه أبو داوود.**

***ب* أخرجه البخاري ، كتاب تفسير القرآن**

وفي قوله صلى الله عليه وسلم :" السيد الله تبارك وتعالي " *ا*وقوله صلى الله عليه وسلم:"أنا سيد الناس يوم القيامة " *ب*، وخلاصة المعنى اللغوي للسيادة أنها تدل على المقدم على غيره جاها أو مكانة أو منزلة أو غلبة أو قوة ورأيا وأمرا .

أما اصطلاحا : بأنها : "السلطة العليا التي لا تعرف فيما تنظم من علاقات سلطة عليا أخرى إلى جانبها "[1].

وعرفت أنها : " وصف للدولة الحديثة بمعنى أن تكون لها الكلمة العليا على إقليمها وعلى ما يوجد فوقه أو فيه "[2]،وأيضا هي: "السلطة العليا المطلقة التي تفردت وحدها بالحق في إنشاء الخطاب الملزم المتعلق بالحكم على الأشياء والأفعال "[3]. توصف السيادة بأنها السلطة العليا والمطلقة وإفرادها بالإلزام وشمولها بالحكم لكل الأمور والعلاقات سواء التي تجري داخل الدولة أو خارجها .

والسيادة هي خاصية تميز من هو السيد والسلطة السياسية الأصلية، أين تصدر عنها السلطات الأخرى، والتي تجد فيها مصدرها الشرعي، ومبدأ كل سيادة والسيادة توجد في الأمة، ولا يمكن لأي هيئة أو لأي شخص أن يمارس النفوذ والسيادة توجد في الشعب واحدة لا تتجزأ أو غير محسوسة، وغير قابلة للتصرف من وجهة العلاقة بين الدول[4].

وإن السيادة هي الخاصية الرئيسية المميزة للدولة وهي أساسا مفهوم قانوني يشير إلى القوة العليا النهائية ولكل دولة هيئة أو جهاز ذو سيادة لديه القوة العليا التي تمنحه حق ترجمة إدارة الدولة إلى صيغ قانونية نافذة المفعول[5] .

ونجد لها تعريفا في علم السياسة أن كلمة السيد تطلق على الفرد أو الجماعة من جهة ما هما متمتعان بسلطان في الدولة و فيصير الشخص سيد قومه، ومنه سيادة

[1]-معجم القانون ، مجمع اللغة العربية،جمهورية مصر العربية، ص637.
[2]- معجم القانون ، سبق ذكره ، ص637.
[3] - قواعد نظام الحكم في الإسلام تقي الدين النبهاني،منشورات حزب جبهة التحرير،ط 1،1953ص 24.
[4]- André Lalande ,vocabulaire technique de philosophie 9 édition ,universitaire de France ,1962, p1017.
[5]- إحسان محمد حسن ،موسوعة علم الاجتماع ، الدار العربية للموسوعات ،الطبعة الأولى،1999 ،ص344.

القانون والدولة، وإذا أضيف لفظ السيادة إلى الدولة يدل على السلطة السياسية التي تستمد منها جميع السلطات الأخرى [1] .

عرفها"هيغل" (Hegel)في"فلسفة القانون":"بأنها سيادة الشعب بمعنى أنه بالنسبة لغيره من الشعوب يتمتع بالاستقلال وهي صفة الدولة، فسيادة الشعب لا تناقض سيادة الملك "[2]، و يعرفها "جان بودان" "بأنها السلطة العليا فوق المواطنين والرعايا والتي لا تتقيد بقانون والمخولة لمن لا تخضع أفعاله لأي سلطات أخرى، وهي القوة المعنوية بحكم الدولة"[3].

وإن انتقال السلطة من طبقة إلى أخرى يتم عن طريق نضال طبقي يأخذ أحيانا أو غالبا شكل حرب أهلية، وهذا ما يمكن أن نسميه بالثورة فما هي الثورة؟ وما الدور الذي تلعبه في السلطة ؟

7- الــثورة :

هي عبارة عن تغيير مفاجئ في النواحي السياسية والاجتماعية في بلد ما وقد يتم عن طريق العنف،أو باستخدام الثورة الشرعية، ولا تتبع في إحداثه الوسائل المقررة لذلك في النظام الدستوري للبلاد [4] .

كما عرفت أنها نقطة تحول في المجتمع لقلب النظام البالي، وإحلال النظام التقدمي الجديد محلها، وهي بهذا تتميز بالانقلاب الذي يتلخص في نقل السلطة من يد إلي أخرى هدفها تغير الحكم القائم .

ويستخدم مفهوم الثورة من قبل المعاصرين استخداما عاما للدلالة على الحركة التي تؤدي إلى تغيير جذري في المجتمع من الناحية السياسية وقد تستخدم العنف وهي التغيرات الثقافية والعلمية، وغيرها التي قد تنتظم فجأة وبدون عنف ولكنها تحدث تغيرات شاملة [5].

---

[1]- صليبا جميل ، مرجع سبق ذكره ج1 ص678.
[2]- أسعد مفرح ،موسوعة عالم السياسة "تعريف شامل بالسياسة فكر وممارسة " نوبليس " بيروت ج2 ،2006، ص 130.
[3] - محمد علي محمد ،السياسة بين النظرية والتطبيق، تقديم علي أبو الريان ،دار الجامعات العربية المصرية ،د.ت ،1976 ،ص33 .
[4]- بدوي أحمد زكي ، معجم العلوم الاجتماعية ،انجليزي ،فرنسي، عربي ،مكتبة لبنان ،بيروت ،د.ط-د.ت، ص190.
[5]- مذكور إبراهيم ،المعجم الفلسفي ، مرجع سبق ذكره ، ص58.

ويمكن أن نلخص نظريات موجودة في العالم حول الثورة،حيث ساد اعتقاد أن الثورة السياسية والاجتماعية الكبرى هي أدوات التقدم الحتمي للبشرية نحو مجتمع تسوده الحرية والاستقلال الذاتي في الحكم والتسامح[1]، ويسودها اعتقاد آخر مع الثورة الفرنسية أن الثورات انفجارات شبه خارجة عن السيطرة وانفعالات جماهيرية مدمرة[2].

ويرى علماء الاجتماع أن مصطلح الثورة معنى وصفي ولا يحمل مضمون قيمة وطبقا لهذا التفسير فإن كل تغيير فجائي جذري عنيف يحدث في نظام الحكم والمجتمع، يكون ثورة حقيقية طالما أمكن إثبات أن الحركة السياسية التي قامت بهذا التغيير كانت تتمتع بتأييد قطاع كبير وعريض من الشعب [3] .

أما عند "أرسطو"(Aristote)هي "التغير الجذري للواقع الإنساني بناء على عمل إنساني ينشده التصميم فيصفها بأنها مرض من أمراض المجتمع ".[4]

إن الثورة يمكن اعتبارها حدوث تغيير فجائي يحمل في طياته مجموعة من الأفكار سواء كانت تعصبية أو رجعية حيث لم يتم تجسيد هذا التغيير عن طريق الشعب أو مجموعة من الأفراد كالانقلابات العسكرية وإن الثورة دائما تستند إلى العنف إذا كان من أجل تغيير نظام الحكم، ليحل محله نظام آخر وهذا سياسيا .

8- الحضارة:

لغة : تلفظ الحضارة بكسر الحاء وفتحها، وهي مشتقة من الفعل حضر، وحضر لغة ضد غاب، ومنه الحضر، والحضرة والحاضرة والحضارة بمعنى المدن والقرى والريف، وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لها وبها قرار أي سكن وإقامة، وعليه كانت الحضارة لغة تعني الإقامة في الحضر خلافا للبادية[5].

[1] - الكيالي عبد الوهاب ،الموسوعة الفلسفية ،مرجع سبق ذكره ،ص872 .870 .
[2] - الصافي عبد الرزاق ،القاموس السياسي ، دار الفارابي ،الطبعة الثالثة ، 1978،ص65.
[3] - الكيالي عبد الوهاب،مرجع سبق ذكره ، ص66
[4] - أسعد مفرح ،موسوعة عالم السياسة (تعريف شامل بالسياسة) نوبليس .بيروت ، ج1 ،د ط ،2006، ص 184 .
[5] - ابن منظور ، لسان العرب ،(مادة الحضارة)،المجلد الرابع،دار الضاد، بيروت ،1990،ص197.

إن الحضارة مجموعة ظواهر اجتماعية مركبة ذات طبيعة مركبة قابلة للتناقل تتسم بطبيعة دينية وأخلاقية وجمالية وفنية وعلمية ومشتركة بين كل الأجزاء في مجتمع عريض أو عدة مجتمعات مترابطة مثلا الحضارتين الصينية والمتوسطية[1].

وجاء في الموسوعة السياسية بأن الحضارة هي مجموعة المنجزات الفكرية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية التي يحققها مجتمع معين في مسيرته، ويفضل البعض استخدامه من الناحية الثقافية، والبعض يرى أنها سيادة العقل في المجتمعات المعاصرة بما حققته من تطورات علمية من انجازات في الميادين الأخرى[2] .

قد استخدم قديما عند "ابن خلدون"(Ibn khaldoun) لفظ العمران للدلالة على مستوى الحياة التي يحياها الناس،وعد الحضارة غاية العمران ومنتهاه، خلافا للبادية التي تمثل أول العمران ومبتداه، ويشير مدلول الحضارة عند "ابن خلدون" إلى نوع معين من الحياة يشبه إلى حد كبير مدلول لفظ المدينة في العصر الحاضر، يرى بعض الباحثين أن المدنية مجموعة من المظاهر المادية التي تمثل مستوى إشباع الحاجات الإنسانية في المجتمع[3] .

يذكر "وول ديورانت" "أن الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي " [4]،و يذهب البعض إلى اعتبار الحضارة أسلوبا معيشيا يعتاد عليه الفرد من تفاصيل صغيرة إلى تفاصيل أكبر يعيشها في مجتمعه ولا يقصد من هذا استخدامه إلى أحدث وسائل المعيشة بل تعامله هو كإنسان مع الأشياء المادية والمعنوية التي تدور حوله وشعوره الإنساني تجاهها.

إن الحضارة بمفهوم شامل تعني كل ما يميز أمة عن أمة من حيث العادات و التقاليد و أسلوب المعيشة و الملابس و التمسك بالقيم الدينية و الأخلاقية و مقدرة الإنسان في كل حضارة على الإبداع في الفنون و الآداب .

[1] ـ أندري لالاند ،الموسوعة الفلسفية ،ج2، ص172.
[2] ـعبد الوهاب الكيالي،الموسوعة السياسية،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،الطبعة الرابعة،2001،ص549.
[3] - ابن خلدون ، مقدمة ص129-276-279.
[4] - وول ديوارنت ، قصة الحضارة الجزء1 ،ص3.

10- القانــون: (Droit)

لغة :يعني مقياس كل شيء، ويعني النظام، ويقصد به تكرار الفعل أو أمر معين على وتيرة واحدة، حيث يعتبر هذا الأمر خاضعا لنظام ثابت معلوم، ولقد انتقلت إلى العربية من أصلها اليوناني (كانون canon) وهي تعني العصا المستقيمة ويفسر ذلك انتقالها إلى اللغات الأخرى بمعنى المستقيم [1]، فيقصد به المقياس المادي ثم يطلق بعد ذلك على كل مقياس فكري، أو معنوي فقيل القانون مقياس كل شيء عند مالك بن نبي في مشكلة الثقافة [2].

أما اصطلاحا: النظام، الشريعة والأصل، والناموس أنه مجموعة قواعد وأحكام ثابتة يتبعها الناس في علاقاتهم الاجتماعية وتصدرها وتنفذها الدولة صاحبة السيادة الممثلة في المجلس التشريعي الذي يقرها، والمحاكم التي تطبقها وتوقع عليها وتعاقب المخالفين[3]، وأصطلح له عدة معان :

ا- القانون هو مجموع القواعد العامة المفروضة على الإنسان من خارج لتنظيم شؤون حياته، وإذا كانت واجبة عليه دون تشريع صريح سميت عرفا وعادة، وإذا كان مفروضا بتشريع صريح سمي بالقانون الوضعي.

ب- ويطلق لفظ "قانون" على القاعدة الإلزامية التي تعبر عن طبيعة الموجود المثالية أو عن طبيعة إحدى الوظائف، فإن هذه القاعدة هي المعيار الذي يجب على الموجود أو الوظيفة التزامه لتحقيق وجودهما والقوانين التي يتجلى فيها هذا التعبير المثالي قوانين العقل، القانون الأخلاقي، العلمية و الجمالية [4].

ويقصد بالقانون: رابطة جوهرية داخلية بين الظواهر تحدد تطورها الضروري الطبيعي، ويعبر القانون عن نظام محدد من الروابط النسبية الضرورية المستمرة بين الظواهر، أو صفات الموضوعات المادية وعن العلاقات الجوهرية المتكررة التي تسبب فيها تغير بعض الظواهر تغيرا محددا في ظواهر أخرى .

[1] ـ صليبا جميل ، معجم فلسفي ،مرجع سبق ذكره .ص.179.
[2] ـ مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة،ترجمة عبد الصبور شاهين،ط4 ، دار الفكر المعاصر بيروت،1984، ص19.
[3] ـ أحمد عطية الله ،القاموس السياسي،سبق ذكره ،ص 909.
[4] ـ مذكور إبراهيم ، مرجع سبق ذكره ،ص 145.

إنه مفهوم وثيق الصلة بمفهوم الجوهر الذي يشكل المحمل الكلي للروابط والعمليات الداخلية الذي يحدد السمات والاتجاهات الأساسية في تطور الموضوعات ومعرفة قانون ما تستوجب الانتقال من المظهر إلى الجوهر [1].

يعرفه "الجرجاني":" أمر كلي ينطبق على جميع جزئياته التي تتعرف أحكامها منه "[2]،وأما عند "هيغل" " السنة التي تحدد العلاقات بين الناس في شأن من الشؤون، والتي يلتزم بإتباعها في المجتمع، ويترتب على عدم الالتزام بها عقوبات"[3]، أما القانون عند (E.Kant)"كانط" "مجموع المبادئ القبلية التي تتخذ أساسا للمعرفة" وهو عند "جون ستيوارت مل""هو مبدأ طرق الاستقراء وهي طريقة الاتفاق والاختلاف والبواقي والتغيرات المتلازمة[4].

11- الحـــــرب :

هي أعمال عدائية مسلحة بدرجة كبيرة وصغيرة من استمرار بين أمتين أو دولتين ويهدف من ورائها كل فريق إلى صيانة حقوقه ومصالحه في مواجهة الطرف الآخر، والحرب لا تكون إلا بين الدول، أما النضال المسلح يتم بين الجماعات داخل دولة ما، أو تقوم به جماعة ضد دولة الطرف الآخر[5].

وإنها حالة صراع مسلح بين دولتين أو عدة دول ينطلق بإعلان الحرب وينتهي باستسلام أحد الأطراف، أو توقيع معاهدة السلام بين الدول[6].

والحرب من الناحية الواقعية القانونية لا تكون إلا بين الدول المستقلة ذات السيادة لهذا يفرق التشريع الدولي بين الحرب والثورة والحرب الأهلية، وتنقسم إلى الحروب المشروعة الدفاعية التي تخاض في سبيل الدفاع عن حق وطن لتحقيق المبادئ الأساسية، وغير مشروعة وهي الحروب العدوانية التي تهدف إلى الاغتصاب والاستيلاء على إقليم غصبا[7].

---

[1] - أحمد عطية،القاموس السياسي دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1967، ص909.
[2]- صليبا جميل . مرجع سبق ذكره .ص 179.
[3]- هيغل .فلسفة القانون والسياسة . ترجمة عبد الرحمان بدوي .دار الشروق . الطبعة الأولى 1996. ص 7.
[4]- صليبا جميل . مرجع سبق ذكره ،ص180.
[5]- يحي النبهاني ،معجم مصطلحات التاريخ ، مرجع سبق ذكره ص 111.
[6]-أحمد سعيفان،قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، مكتبة لينان ناشرون ،ط1،2004،ص142.
[7]- أحمد عطية الله،القاموس السياسي، مرجع سبق ذكره،ص442.

قديما : تعرف الحرب في القانون الدولي القديم[1] بأنها نزاع مسلح بين دولتين أو أكثر يترتب عليه استبدال حالة العداء بحالة السلم ويكون الغرض منه الدفاع عن حقوق أو مصالح الدول المتحاربة ولابد أن تتوفر لها عناصر أربعة :

1- العنصر الأول : وهو عنصر عضوي يتعلق بأطراف النزاع .

2-العنصر الثاني : هو عنصر الإرادة يتعلق بالرغبة في القتال .

3- العنصر الثالث : هو عنصر مادي يتعلق بوقوع الاشتباك المسلح .

4- العنصر الرابع : وهو عنصر السببية ويتعلق بتوافر المصلحة الوطنية .

ويقول "بن خلدون" "بأن الحرب أنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله وأصلها إرادة الانتقام بعض البشر من بعض ويتعصب لكل منهما أهل العصبية، فإذا تذمروا لذلك الطائفتان فإن إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع وعندها تكون الحرب، وهو أمر طبيعي في البشر لا تخلو منه أمة ولا جيل"[2] .

يعرفها الدكتور "حامد سلطان":"بأنها صراع بين دولتين أو أكثر، يستخدم فيه المتصارعون قواتهم المسلحة بقصد التغلب على بعضهم البعض وفرض شروط الصلح على المغلوب كما يشاؤها الغالب"[3].

وأما الدكتور"محمد حافظ غانم":" أنها صراع مسلح بين دولتين أو أكثر ينظمه القانون الدولي، ويكون الغرض منه الدفاع عن المصالح الوطنية للدول المتحاربة"[4]،ويعرفها الدكتور "عبد العزيز سرحان" :"نضال مسلح بين الدول بقصد تحقيق غرض سياسي "[5].

أما"غاستون بوتول"(G.Botoul) فهي عنده :نضال مسلح ودموي بين جماعات منظمة، وإن الحرب شكل من العنف له صفة أساسية بأنها شكل منهجي ومنظم يتعلق بالجماعات التي تقوم بها والصور التي تديرها بها وفيما عدا ذلك فإن الحرب محددة الزمان والمكان وخاضعة لقواعد حقوقية خاصة تتغير وتتبدل على حسب الأمكنة،

[1] ـ عبد الواحد محمد يوسف الفارـ أسرى الحرب دراسة فقهية وتطبيقية في نطاق القانون الدولي العام والشريعة الإسلامية ،عالم الكتب ،دط،1975 ص 9 .

[2]- مقدمة ابن خلدون .المطبعة الميرية القاهرة .طبعة جديدة 1965 ص270-271.

[3] - محمد رفعت .التعاون الدولي والسلام العام.دار الكتب الحديثة .مصر ص9.

[4] - المرجع السابق ص9.

[5] - عبد العزيز سرحان ،القانون الدولي العام ،دار النهضة العربية القاهرة ،دط،1973 ص416.

ويميزها بالطبع أنها دامية تهلك الحرث والنسل، لأنه حينما لا تسلك سبيل إبادة الكائنات الإنسانية لا تكون إلا نزاعا أو فعلا متبدلا من التهديد والإنذار والوعيد ولذلك لا تعتبر الحرب الباردة حربا حقيقية[1] .

أما "كلاووفيتر" يقول:بأنها أداة من أدوات السياسة، ويقول أنها عمل من أعمال العنف، الغاية منها تركيع العدو، وأيا كانت التعريفات والمفاهيم فإن الحرب حالة اجتماعية تجسد العنف بمختلف أشكاله ومظاهره، وهي حالة يكون فيها الكلام الفيصل للسلاح باعتباره أقوى أدوات الحوار قسوة وتلجأ إليه الدول بغية حسم النقاش والخلاف حول نقطة أو نقاط مصيرية وجوهرية[2].

بعد عرض كل هذه المفاهيم نلاحظ الارتباط الوثيق بينها، ومدى التداخل فيما بينها، وإن المجتمعات الإنسانية بحاجة للسلام الذي تدعمه القيم الأخلاقية، وأحيانا يحتاج للعنف والقوة لتحقيقه، ولا يمكن أن نقر بسلام في مجتمع معين دون خضوع أفراده لقانون، والقانون في حد ذاته يجب أن يقر به جميع الأفراد في العالم، مما يجعل التأكيد على ضرورة حكومة عالمية تسعى لإحلال السلام والقانون والقيم الأخلاقية بشتى الوسائل والطرق.

[1]- محمد توهيل، علم الاجتماع السياسي ، مرجع سبق ذكره ص57.
[2]- محمد توهيل ، المرجع السابق ،ص 61.

المبحث الثاني : كرنولوجية مفهوم السلام

قد يكون من الصعب تحديد تاريخ ظهور مصطلح الحرب والسلام وإن كان هذا التعبير قد ظهر عمليا بعد الحرب العالمية الأولى حين تشكلت جمعيات للدفاع عن السلام بين الأمم، فالتمييز بين الحرب والسلام يبدو مرتبطا بتكوين المجتمعات المنظمة، غير أن مستوى التنظيم يختلف اختلافا كبيرا من فترة زمنية إلى أخرى ومن قارة إلى أخرى، وأن قضية الحرب والسلام شغلت أذهان الناس منذ القدم، ولكنها لم تتحول إلى علم مستقل إلا مع بديات القرن العشرين، ومع ذلك فإن جذور هذا العلم تمتد إلى أعماق التاريخ الذي منه خرجت الشعوب وفيه ذابت، إننا نجد أنفسنا عاجزين عن تبين ما حدث بدقة في معظم الأقاليم المختلفة خلال السنوات الأولى منذ فجر الإنسانية، ولما كان من المستحيل الإحاطة بالتاريخ الإنساني، وأن تاريخ الإنسان هو تاريخ الحروب والعنف، والصراع الأبدي المحكوم بالقوة وضمان فرصة البقاء للأقوى في عالم محكوم بعلاقة الإنسان بالحرب، فالحرب قديمة قدم البشرية ، بل أنها بدأت في الصراع الدموي بين "قابيل وهابيل"(أبناء أدم أبو البشرية جمعاء)، وهذا يعني أن القتل والقتال ظاهرة متأصلة في النفس البشرية، ومدى عدوانية النفس الآدمية عندما تنساق وراء الأهواء وتتبع خطوات الشيطان.

ويرى علماء الحرب والسلام أن الإنسان لم يولد حاملا معه صفة النزاع والصدام، بل اكتسب ذلك من البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، ففي العصر الحجري الأول كان الإنسان يعيش على الطبيعة ولم يكن يعرف شيئا اسمه الحدود الطبيعية لسكناه أو لممارسة نشاطاته الاجتماعية عليها، لم يبتكر تفكيره أدوات خاصة لقتل أخيه الإنسان، بل ابتكر بداية أدوات تساعده على صيد الحيوانات، إلى مهنة صيد الإنسان، فالحرب في صورتها الأولى لم تكن سوى عدوانية طبيعية محكومة بالحاجة والدافع الغذائي[1] .

أما الباحث "كلوكهون" فقد قال معلقا على ذلك:" أنه من المؤكد أن الحروب وجدت في العصر الحجري القديم، وأن الدلائل تشير إلى أن الحرب لم تكن معروفة

[1]- مزيان محمد ،هامل منصور،التربية وثقافة السلم " بحوث الملتقي الوطني حول التربية وثقافة السلم ،"دار الغرب للنشر والتوزيع ص 15.

إبان القسم الأول من العصر الحجري لا في أوربا ولا في الشرق، فلقد كانت مراكز السكنى البشرية حينئذ تفتقد الكيانات التي تستطيع الدفاع عنها ضد الهجوم،وكانت الأسلحة على ما يبدو محصورة بتلك التي تستعمل في الصيد "[1].

ومن المنطقي أن يظهر السلم كمطلب إنساني، وكضرورة أخلاقية ملحة، حيث تتالت الخطابات الداعية للسلم، فالرواقيون نادوا بضرورة تحرير الإنسان من كل ما يفرق بينه وبين أخيه الإنسان، وأن لا نحول الاختلاف الديني واللغوي والعرقي إلى وسيلة تعطي الشرعية للحرب والاستعباد، وطرحوا مشروع تكوين أسرة عالمية واحدة قانونها "اللوغس" (العقل) ودستورها الأخلاق[2] .

لقد أكد القديس "أوغسطين"(Saint Augustin) الذي يعتبر في مقدمة المفكرين المسيحيين الأوائل أهمية قضايا الحرب والسلام، فقد وضع كتابه المشهور"مدينة الله " في فترة شهدت العديد من الحروب المدمرة (354-430م) وأشار إلى مدينتين هما: مدينة الإنسان وهي مدينة الحرب ومدينة الله وهي مدينة السلام، فمدينة الله السماوية تجذب إليها المواطنين والمحبين للعدالة والسلام والإنسانية، فهي لا تضيعهم ولا تشتتهم، بل تربط بهم سبيلا قائما ما بين السلام في الأرض وعلى في السماء، ويتساءل "أوغسطين": كيف يمكن أن تكون الممالك المنعدمة العدالة، أكثر من عصابات لصوص كبيرة؟ كما أن عصابات اللصوص ليست سوى ممالك صغيرة، إنها عبارة عن حفنة من الناس تقف تحت إمرة زعيم، تتحول من جراء لقائهم ومواعدتهم إلى نوع من العشيرة لتقسيم السرقة، وإذا ما استطاع هذا الكيان السيئ أن يكبر بفعل دخول الناس على حظيرته ويؤسس المستوطنات ويغزو المدن ويستعبد الشعوب، فلا شك أنه يطلق عليه عندئذ اسم المملكة التي تتصف بالطمع والعدوان[3].

وعن أهمية السلام وحيويته كتب"أوغسطين" يتساءل عنه بأن من ينشدون الحرب ويسعون إلى تحقيق الانتصارات يطمحون من خلال الحرب إلى سلام ذائع

[1] - محمد توهيل،علم الاجتماع السياسي "قضايا العنف والحرب والسلام ،دار المستقبل للنشر والتوزيع ،الأردن ،الطبعة الأولي 1998 ، ص121.

[2]- مزيان محمد ،هامل منصور ، التربية وثقافة السلم ، مرجع سبق ذكره، ص16 .

[3] - يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط بيروت ،دط ،1965 ،ص20- 30

الصيت من خلال كسر شوكة المقاومة، إذن يتحقق النصر فالسلام، فالحرب تدور بغية إحلال السلام،وبهذا يكون السلام هو نهاية حتمية للحرب، وحتى من يردون زعزعة السلام الذي يعيشون في ظله، لا يكرهون السلام، وإنما يردون سلاما من نوع أخر يتماشى ورغباتهم وأهوائهم، ولكن هذا لا يعني رفضهم للسلام، وإنما سلاما يناسبهم .
كما أنه اعتبر مشروعية الحرب باعتبارها من أعمال القضاء العادل المنتقم، ولأنها لصالح المنهزمين، ومن أجل السلام، فأباح الحرب الدفاعية وأباح الحرب الصليبية من قبل أن يظهر الإسلام بثلاثة قرون، منه يمكننا التأكيد أن السلام لا نجده إلا في مدينة الإله لأنها محكومة بالعناية الربانية و محاطة بالعدالة والأمان و الفضيلة .

أما عن فكرة السلام في الخطاب الديني، ففي المسيحية دعا السيد المسيح عليه السلام دعا إلى السلام، ودعا إلى الجهاد الروحي أيضا، فمن دعوته إلى السلام والمحبة ما جاء في الإصحاح الخامس من إنجيل متى : "طوبى لي دعاء لأنهم يرثون الأرض"،" طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون"،" وقد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل، ومن قتل يكون مستوجب الحكم "،" وقد سمعتم أنه قيل :العين بالعين والسن بالسن وأما أنا أقول لكم: لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأخر أيضا، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فأترك له الرداء أيضا ،ومن سخرك ميلا واحدا فأذهب معه أثنين ..من سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده .. سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ..وأما أنا فأقول لكم: أحبو أعدائكم ..أحسنوا إلى مبغضكم " ولقد سعت المسيحية على نشر القيم المثالية وعلى تلطيف ومنع العادات الهمجية التي كانت تصاحب الحروب، فالمسيح دعا إلي السلام في صورة مبدأ مثالي وكمال خلقي مطلق.

أما في الإسلام : إن العرب في الجاهلية كانوا يمدحون الحرب ويفخرون بالغلبة والانتصار وسفك الدماء، ولكن مع مجيء الإسلام نظم قواعد السلام على المستوي الداخلي والخارجي، فدبلوماسية المسلمين رفعت شعار السلم ونادت به واعتبرته القاعدة الثابتة والحرب هي الاستثناء والدليل على ذلك أن كلمة الإسلام نفسها مشتقة من كلمة السلم لقوله تعالى:"يا أيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة "،وقوله تعالى

:"هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام "[1]، والجنة سميت بدار السلام في أكثر من أية لقوله تعالى :"لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعلمون .." إن جنحوا إلى السلم في الإسلام هو الدبلوماسية، وعبر عنها البعض بقولهم هي الزمالة الإنسانية بين جميع أفراد البشر أملا مرجوا لتحقيق تناصح لتنمية وتزكية جميع التعاليم الدينية وأن الضرورة تقتضي من المسلمين مد جسور المحبة بينهم وبين غيرهم، كما اعتبر الإسلام الحرب استثناء وركز على السلام وأهميته، وقد ذكر "أبو زهرة " :"أن أصل علاقات المسلمين مع غيرهم هو السلم "[2] .

لم يقتصر الأمر في معالجات قضايا السلام على مفكري أوربا، بل تناول المفكرون العرب هذه الظاهرة، فقد فهم"الفارابي" أهمية السلام من خلال الدعوة إلهية له وأن الله لا يحب القتال والحرب بين الأفراد، إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك، فتحدث "الفارابي"عن مدينة التغلب التي يتطلع أهلها دوما إلى النضال وأن المدينة الفاضلة تتكون من المدن الفاضلة التي تعقد بينها حلفا مقدسا أساسها السلم والفضيلة، والعدل وهذه الأفعال هي الأفعال الفاضلة، والمدينة الفاضلة شبيهة بالجسم الكامل التام الذي تتعاون أجزاءه لتحقيق الحياة والمحافظة عليه[3].

ويرى"ابن خلدون"" اعلم أن الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه، وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري، لأن هذا النوع لا يبقى ويزدهر إلا إذا قام الشرع بتحقيق وظائفه على أكمل وجه وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، ومن هنا جاءت الحكمة في تحريم الظلم وحظره والأدلة علي ذلك كثيرة من القران والحديث أكثر من يأخذها قانون الضبط والحصر" ومن هنا يبدو "ابن خلدون" حريص على تحقيق السلام الاجتماعي الذي هو فرصة أساسية للسلام بين الشعوب[4].

[1] - سورة الحشر الأية 23.
[2] - عبد الحميد متولي ،مباديء نظم الحكم في الإسلام ،الإسكندرية ، دط،1970، ص120.
[3] - أبو نصر الفارابي ،كتاب أراء المدينة الفاضلة ،ألبير نصري نادر ، دار المشرق ،بيروت،ط2 ص28
[4] - ابن خلدون ، المثدمة، المطبعة الميرية القاهرة 1284 الباب الثالث في أن الظلم مؤذن بخراب العمران ص32 .

ويرى "دانتي"(1903) أن أي اتحاد تقيمه جماعة من الناس إنما يعمل لغاية من الغايات، فيدعو الشاعر الايطالي إلى إمبراطورية عالمية تكون لها المكانة الأولى بين المجتمعات، وما العقل إلا الصفة المميزة للإنسان، فإن وظيفة وغاية الإنسان هي السعي لتحقيق حياة مطابقة لأحكام العقل، ويمكن تحقيق ذلك من خلال سلام عام، وإنه خير وسيلة للإنسان تمكنه من تحقيق أهدافه، ويحتاج كل مشروع تعاوني إلى توجيه وإرشاد وبهذا يكون له حاكم يحكمه، فكان لابد من أن يكونه الجنس البشري تحت رئاسة حاكم واحد يحكمه وشبه سيطرة هذا الحاكم بسيطرة الله على الطبيعة ولما هذه الأخيرة قد بلغت الكمال بسبب وحدتها وجب على الأولى أن تبلغ الكمال أيضا وكلما قوي اتحاد الأفراد كانوا خير الناس وعلاوة على ذلك فإنه من المستحيل أن يستتب السلام بين الناس إلا إذا وجد قاضي يترفع عن الهوى والطمع، ويستطيع أن يقضي على المشاحنات التي تنشأ بين الملوك والأمراء[1]، ومعه يختفي شبح الحرب، ولا بد أن يكون فوق جميع الملوك، فيستخدم سلطته لفض النزاعات المحتملة،ولهذا اقترح "دانتي" لا سلام في الكون دون قيام حكومة عالمية.

أما "ماسيليوس دو بادوا" كان معارضا للبابا بقوة شديدة، وحيث عارض الآراء الحديثة عن تنظيم السلطتين الروحية والزمنية واختصاصاتهما، ففي الحالتين ينبغي أن تكون السيادة الحقيقية للأغلبية الشعبية، وضرورة تشكيل المجالس العامة بانتخابات شعبية، ومثل هذا المجلس من حقه إصدار الأوامر بالطرد من الكنيسة وحتى في هذه الحالة لابد أن يكون هنالك جزاء دنيوي، وهذه المجالس مخولة لوضع معايير التدين القويم[2]، أما الكنيسة فلا ينبغي لها أن تتدخل في شؤون الدولة، أكد في مؤلفه السياسي "المدافع عن السلام "رفض سيطرة البابا على شؤون المجتمع والدولة، لأن ذلك سيؤدي حتما إلى صدام مسلح ونشوء حالة اللاسلم بتأكيده أن إدخال الدين في اللعبة السياسية سيقود حتما إلى تفاقم الصراع السياسي والاجتماعي.

[1] - محمد توهيل، علم الاجتماع السياسي ، مرجع سبق ذكره ص87 .
[2] - برتراند راسل، حكمة الغرب، ترجمة فؤاد زكريا ،عالم المعرفة ،ج1، يناير 1978، ص245 .

أما السلام كمطلب لا يتحقق إلا بوجود قاعدة العدل، لأن الحرب كثيرا ما تندلع لشعور أحد الأطراف بعدم التوزيع مهما كان موضوعه، حيث يقول:"يجب تثبيت قاعدة للعدل،وحارس أو منفذ عدالة لمبادلتها " وبما أن الإنسان مركب من عناصر متناقضة ينتج عن هذا التناقض مظاهر العنف والعدوانية، يقول "مارسيليوس":" يولد الإنسان مركبا من عناصر متناقضة ويشوب جوهر الإنسان الفساد فلهذا بحاجة إلى أنواع وأجناس الفنون من أجل تجنب الأضرار، وهذه الفنون لا تطبق إلا من قبل عدد كبير من الرجال، ولا يمكن أن تكتسب من مؤازرتهم المتبادلة، في المجتمع من أجل الاستفادة من هذه الفنون وتجنب الأضرار"[1]، "وأن الجماعة بحاجة لرفاهيات مختلفة وإصلاحات وحماية للخيرات المشتركة، وهي يجب أن تتضمن رجالا يقع عليهم العبء ليكون قادرين على تدبير الضرورة كما في الحاجة والملائمة ..لقد تجمع البشر إذن من أجل أن يحيو بطريقة كافية، وأن يزودو أنفسهم بالأشياء الضرورية التي تكلمنا عنها، وتبادلها مع البعض ".

يحاول "مارسيليوس" أن يشيد الجمهورية المعتدلة التي تنطلق من فكرة: حب الإنسانية طريق السعادة للبشر،والشيء الايجابي في فلسفة"مارسيليوس دو بادوا" (M.D.Bado) هو تحول الإنسان إلى مدافع عن السلام بالخير والجمال، وعن الصدق والمحبة.

كما عالج رجال الفكر في أوربا مع بديات القرن الخامس عشرة قضية السلام وكان من أبرزهم "مارثن لوثر"(Marthin Lother) الذي دعا المسيحيين إلى الابتعاد عن إشعال الثورات وحركات التمرد واعتبر مثل هذه الأحداث بأنها أعمال إجرامية خطيرة، ونادى بحكم الله في الأرض لأن ذلك يحول دون الفوضى والإبادة واستفحال الصراعات، وقال: أن الإيمان بالدين وممارسته يحول بين المرء وممارسة العدوان، وحول العلاقة بين الناس والحكومة يؤكد " ليس من الصواب بأي حال من الأحوال أن يقف أي مسيحي ضد حكومته، سواء أكانت عادلة أو جائرة،وليس ثمة أفعال أفضل من طاعة من هم رؤساؤنا وخدمتهم، ولهذا السبب أيضا العصيان خطيئة أكبر

[1]- برتراند راسل ،حكمة الغرب ، نفس المرجع ،ص245.

من القتل والدنس وخيانة الأمانة، رفض "لوثر" فكرة"العين بالعين والسن بالسن" ودعا إلى نشر المحبة والسلام بين الجميع، فمن خلال إعادة كتابة "العهد الجديد " باللغة الشعبية أراد أن يبين لكل شخص قادر على قراءته مدى وجود تباين بين تعاليم المسيح والنظام الاجتماعي القائم ومن أجل تكريس السلام الاجتماعي[1].

أما "توماس هوبز" فنجده يعتبر في النضال من أجل البقاء انحدار من المنافسة بين كل إنسان وأخر في سبيل تحقيق الرغبات من جهة، والخوف الدائم والإحساس المستمر بالخطر والريبة من جهة ثانية، وكذا اشتهاء الإنسان الحوز على إعجاب الآخرين[2] كشخص أعظم تفوقا ومجدا، إذ انطلق من مقولة مفادها أن الإنسان يميل دوما إلى الصراع مع أقرانه من البشر وهذه هي الحالة الطبيعية حيث يقول:" عن علاقات المرحلة الأولى ما يلي: " لقد كانت العلاقات في حالة الطبيعة بين كل إنسان و إنسان آخر قائمة على المنافسة والريبة وحب المجد " ويقول أيضا: "قد كانت فقيرة وكريهة، وحشية وقصيرة كما ينعدم في هذه المرحلة التبادل بين الأفراد"[3] .

وعن غياب السلطة المنظمة يرى "هوبز" أن الأفراد يصبحون في وضع شبيه بحالة الحرب، وهي حرب كل فرد في مواجهة أي فرد آخر، فالحرب لا تتمثل في المعارك والقتال الفعلي فقط ولكنها تعني أيضا أنه ليس ثمة أخلاق وقيم عليا، فكان على الإنسان أن يعطي لنفسه الحق كل الحق في الحصول على ما ينبغي[4]،مع توفر وثبوت إرادة المواجهة وخوض المعارك، وانطلاقا من هذا فإن الطريقة الوحيدة لتجنب اللجوء الدائم والجماعي للعنف تكمن في إقامة سلطة تحقق العيش بسلام.

فإن الناس في الحالة الطبيعة، ليس ثمة ملكية، وليس هناك عدالة هناك فقط الحرب، والقوة والغدر، هما في الحرب الفضيلتان الأساسيتين"، فالناس يجنحون من هذه الآثام بالاتحاد في مجتمعات كل منها يخضع لسلطة مركزية ويحدث هذا، كما يعرضه، بواسطة العقد الاجتماعي، يفترض أن عددا من الناس يلتقون ويوافقون على

[1] - -برتراند راسل ، حكمة الغرب، ترجمة فؤاد زكريا ، عالم المعرفة ، ج2، يناير 1978، ص34 .
[2] - محمد علي،السياسة بين النظرية والتطبيق ، مرجع سبق ذكره ، ص143 .
[3] - بيار كلاستر ومارسيال غوشيه ،أصل العنف والدولة ،ترجمة علي حرب ، دار الحداثة لبيروت،ط1، 1985،ص28.
[4] - بيار كلاستر ومارسيل غوشيه ،أصل العنف والدولة ، نفس المرجع،ص 28 .

اختيار ملك،أوهيئة لها السيادة يمارس السلطة عليهم، ويضع حدا للحرب الشاملة[1]،فيما يرى "هوبز" المحافظة على البقاء من الحرب الشاملة التي تنجم من حبنا إلى الحرية لأنفسنا وسيطرة على الآخرين،وبالتالي لكل وحدة سياسية ذات سيادة الحق في التصرف كما يحلو لها في مواجهة الوحدات الأخرى[2] فالقانون السائد هو قانون الغاب.

بعد تحليل "هوبز" طبيعة السلوك الإنساني وحشيته، أشار بدور العقل في صنع السلام، وبدور العقل في تنظيم الحياة الإنسانية فعلى قوة العقل التنظيمية يتفوق الانتقال من الحالة الوحشية إلي حالة الحضارة والاجتماع، فيملي مجموعة من التعليمات وقوانين عامة للأخلاقيات التي يكشفها العقل من أجل منع البشر من التصرف بشكل مغاير لمصلحتهم من جهة ولعدد معاكس لشهواتهم الطبيعية التي تدفعهم إلى الغرور والانتقام[3] .

وهذا الانتقال يتم وفقا لقوانين الطبيعية والمقصود بها ظروف المجتمع أو ظروف "السلام البشري "، وقد دعا إلى وجود سلطة عليا قاهرة ذات سيادة مطلقة تملك القدرة على حفظ السلام وتطبيق العقوبات الضرورية للحد من ميول الناس العدوانية والمتوفرة فيهم بالفطرة.

من حيث الجوهر فإن جميع قوانين "هوبز" هي للسلام والتعاون ونبذ للعنف والصراع المدمر، فالسلام يتطلب الثقة المتبادلة وعلى الإنسان أن يسعى وراء السلام هو الخوف من العقاب والموت، ولا يتحقق السلام إلا بوجود السلطة المطلقة القادرة على ردع العدوان والعنف بعد أن يتفق الناس بينهم عن كافة حقوقهم الطبيعية ليوكلوا أمرها للمهيمن الأعظم [4].

وإلى نفس الفكرة ذهب "سبينوزا" مؤكدا"أن مجتمعنا لا يقوم السلام فيه إلا على أسس من طاقة أفراده، يقاد كالقطيع ولا يمارسون إلا حياة العبودية، إن مجتمعا كهذا لا يمكن أن يسمى مجتمعا حقا، بل هو عزلة"[5].

---

[1] - برتراند راسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، محمد فتحي الشنيطي، المصرية العامة للكتاب، دط ، 1977 ، ص93 .
[2] - صلاح الدين رسلان البسيوني ، الفكر السياسي للماوردي ، مكتبة النهضة ،القاهرة ، د ط، 1985، ص239.
[3] - أحمد عبد الكريم، بحوث في تاريخ النظرية السياسية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، دط، 1972،ص54.
[4] - محمد توهيل، علم الإجتماع السياسي(قضايا العنف والحرب والسلام)،مرجع سبق ذكره، ص90.
[5] - محمد فايز عبد السعيد،عباقرة الفكر الاجتماعي ، منشورات دار الوطن للنشر والاعلام الرياض ، دط ،1984 ، ص243 .

كما أن"ارازموس"(Erasmus1517) اعتبر السلم بدلا من الحرب لفض النزعات، وعرف بقوله: " سلم مفيد خير من أكثر الحروب فائدة"، واقترح أن يكون الباباوات والأساقفة وعقلاء القوم بمثابة " مجلس العدل" الذي ينظر في الخلافات والنزاعات لكي لا تحدث الحروب[1].

أما "سلي" (1595) دعا إلى تكوين مجلس أوربا، قصد عدم تفرد أي دولة عظيمة بالسيطرة على أوربا،وهذا شبيه بالكونغرس(البرلمان) ومهمته معالجة المشكلات الدينية والمدنية الحاصلة بين الأعضاء[2].

وهناك أيضا مشروع "ايميريك كورسيه"((Emeric Cracé)1623) الذي اقترح إنشاء عصبة عالمية تهدف إلى تشجيع التجارة الحرة،نتيجة لاعتقاده بأهمية التجارة في حفظ السلام، معتبرا أن أسباب الخلافات بين الدول هو نقص الغذاء وانعدام الصداقة، وهذه العصبة تشكل مجلسا دائما يجتمع في دولة محايدة وهي "البندقية"، وإن لم يستطع المجلس فض النزعات فلا بد من "بوليس عالمي" لحفظ النظام.

أما "وليام بين"(William penne)1693)) فقدم في كتابه " حاضر ومستقبل السلام في أوربا" إمكانية إقامة برلمان أوربي متكون من ممثلين يختارون على أساس قيمة الدول الرئيسية، معتبرا أن الصداقة بين الأمراء والحكومات هي الأساس السليم الذي يقوم عليه السلام وبوقف الحر ب، وتوفير الأموال وحرية السفر[3].

ونتيجة انتشار ظاهرة الحرب في أوربا يخرج القديس"أبي دي سانت بيير" (Abbe De Saint pierre(1713) بمشروع السلام الدائم بعد أن ملاحظته عدم جدوى المعاهدات الدولية، وأن السلام لا يتحقق عن طريق الصداقة التي تقوم بين الحكام، وإن ما اقترحه هو اتحاد حكام لا اتحاد شعوب، وذلك أن فكرة "نحن الشعوب" لم توجد بعد في ذلك الوقت،ولم يكن لعامة الناس من الرجال والنساء رأي في نظام العالم، والهدف الرئيسي الذي كان يرمي إليه هو من اتحاد الحكام هو المحافظة على حدود

[1]- أماني غازي، التربية السياسية السلام والديمقراطية وحقوق الإنسان، دار وائل للنشر الأردن ،ط1، 2008،ص49.
[2]- أماني غازي ،نفس المرجع، ص49.
[3]- أماني غازي ،نفس المرجع، ص50.

الدولة وحمايتها من الغزاة ولأجل ذلك دعا إلى إنشاء "مجلس السلم" يعقد في معظم الوقت في مدينة السلام مركز قيادة الاتحاد، ويتكون هذا المجلس من أربع وعشرون مندوبا ويمثلون أربع وعشرون دولة ولكل الدول الحق في التصويت، ولإتمام هذا المجلس دعا لإنشاء ثلاث وظائف: الأولى يتولاها رئيس المجلس الذي أطلق عليه "أمير السلام"، والثانية يتولاها قائد يشرف على القوات المسلحة للاتحاد، والثالثة يتولاها عدد من القضاة مهمتهم حسم النزاع بالأغلبية ثلاثة أرباع الأصوات، ودور القوات المسلحة إلزام الحكومات بتنفيذ هذه القرارات، وإن امتنعت عليها أن تدفع جميع نفقات أي حرب ستنشب،ومن يعكر صفو السلام عقابه الموت أو الحبس مدى الحياة[1].

وإن المعاهدة التي توقع عليها الدول يكون بموجبها في المادة الأولى" تحتفظ كل الدول بحدودها التي تملكها الآن، فلا يمكن أن تقطع أية أرض من أية دولة، ولا يمكن أن تضاف أي لأرض بالوراثة أو الاصطفاء أو الهبة أو الغزو، وأن يتشكل تحالف دائم" أما المادة الثانية :"تتعلق بالبناء الاجتماعي وأن يسهم كل عضو في النفقات العامة حسب إيراده ومسؤولياته"،وبخصوص المادة الثالثة:"فتتعلق بفض النزعات وأن يكف الحلفاء الكبار عن سبيل السلاح حتى ينهوا خلافاتهم الحاضرة والمستقبلية بينهم، وأن يجمعوا على اتخاذ سبيل المصالحة فيما بعد بتوسط بقية الزعماء الكبار ولكنه رغم ذلك ينص على عقوبات للتحكيم في المادة الرابعة :" يسلح الحلف الكبير، ويقاوم ويقاضي الذي يدخل في حرب بغير حق"، أما المادة الخامسة:" تتعلق بنجاح التحالف الكبير لا بد من تأسيس جمعية دائمة، تتولى مهام التشريع والمتابعة لضمان أمنه وصلابته"[2]،إننا نستشف من خلال المواد الخمسة حضور هاجس السلام الأوربي في فكر القديس"سان بيار" والذي بطبيعة الحال سنراه يتكرر في فلسفة عصبة الأمم بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وإن هاجس السلام لا يؤدي الدور المنوط به في حالة ما إذا كان إقليميا أو جمهوريا، لكن بالرغم من ذلك يمكن أن يعطي للإنسان الأرضي بعدا إنسانيا للتفكير في سلام عالمي كبير في مجتمع أبدي وإتحاد دائم، بين كل الحكام

[1]- أماني غاري جرار، التربية السياسية(السلام ،الديمقراطية، حقوق الإنسان)، دار وائل للنشر ،الأردن،ط1،2008 ، ص 50.
[2]- محمد توهيل ،علم الاجتماع السياسي،مرجع سبق ذكره ،ص295.

الموقعين عليه، وإذ أمكن، بين كل الحكام المسيحيين من أجل عدم تعكير صفو السلام بأوربا، ومن هذا المنظور أيضا فإن الاتحاد سوف يعمل،إن أمكن، على إبرام معاهدات دفاعية وهجومية مع جيرانه من الحكام بالديانة المحمدية (يقصد الإسلام) وهذا حفاظا على سلامة الجميع داخل حدوده ،وهذا تعايش سلمي مشترك بتبادل ما أمكن من ضمانات الأمن .

أن البابوية عادت بعد أن تحررت من السلطة الزمنية، تحمل فكرة السلام والعدالة، ففي عام (1917) وجه البابا "بنوا الخامس عشر" إلى المتورطين في الحرب العالمية دعوة نصوحة من أجل السلام، أما البابا "بي الثاني عشر"فقد وجه نداءات متكررة من أجل السلام، ولكن دون أن يحدد المعتدي، وفي رسالة بابوية للبابا "جون الثالث وعشرون" بأن تصبح الفضائل الأخلاقية في العلاقات بين البشر هي نفسها أساس العلاقة بين المجتمعات والدول، وذهب إلى المطالبة مثل "دانتي" بتشكيل سلطة عامة ذات صلاحيات عالمية (حكومة عالمية)، وكل انسان كائن بشري مكون من عقل وإرادة حرة أما "جون بول الثاني " فقد أكد في رسالته البابوية في عام (1979)علي معاني السلام وأوضح أن السلام ينحصر في احترام حقوق الإنسان وعدم المساس بها، ولا للعنصرية بين الأفراد ولا للطبقية فكل الأفراد سواء.

ويمكنا أن نستخلص نتيجة وبناءا على هذه النماذج بأن الكنيسة الكاثوليكية تسعى إلى إحلال السلم وزرع الفضائل أو الأخلاق الدولية ومما يجعل خطابات الداعية للسلام والتسامح أكثر مما كانت عليه في السابق، فأصبح مفهوم التسامح يقابل كل خطابات الحرب العنف .

ولقد رد "جان جاك روسو"(j. j. rossau) على هذا المشروع، بعد نصف قرن من الزمان، بأن "سان بيير" طرح حججا مثالية، يقول "روسو" أنه ليس هناك ما يحمل على الاعتقاد مثلما فعل "سان بيير" بأنه كان من الممكن، حتى وإن حسنت النوايا التي توفر الظرف الملائم لإقامة مثل هذا المشروع، وحتى يكون ممكنا يجب أن لا تطغى

المصالح الشخصية على المصالح العامة، مع اعتقاد كل فرد أن تحقيق الصالح العام يحقق له في الوقت نفسه منافع خاصة، وهذا يتطلب قدرا هائلا من التآلف بين عدد ضخم من المصالح، وهو ما لا يمكن للصدفة أن تحققه، فإذا لم يوجد هذا التآلف فتصبح القوة البديل الوحيد، وحينئذ يصبح العنف والإكراه لهما المجال، وإن هذا المشروع بالغ الحكمة ولكن غير ممكن التحقق.

وإن كان"روسو"تحدث أن الأفراد يخضعون للقانون والبشر، مما يبين أن المجتمعات في علاقاتها تحتفظ باستقلال الطبيعة، وفي هذا الصدد تساءل عن إمكانية ومن الأفضل إنشاء مجتمع مدني واحد من هذه المجتمعات المتعددة في العالم [1]،وخطط مشروعا سماه"سلام دائم"، وقد دعا فيه إلى إنشاء مجلس نيابي، وعلى الدول أن تدفع حصتها من نفقات،وأن تظل الحدود كما هي وطبقا لما كانت عليه أثناء المعاهدة، واتخاذ إجراءات عقابية ضد المخالفين للمعاهدة، وأن أي تغير يحدث في أوربا يجب أن يتفق عليه أغلبية ثلثي أعضاء المجلس[2].

أما "جريمي بنتام"(Jeremy Bentham)(1793) نادى بضرورة إنهاء الاستعمار وترك المستعمرات، معتبرا التنافس التجاري السبب المباشر للحروب، وقال: "لأن تهلك المستعمرات خير من أن يهلك المبدأ"، وقد طور "بينتام" مشروع السلام الدائم بطلب تحديد التسلح، فاقترح برلمان أمم يناقش كل المشكلات الدولية، بحكم أن السلام يهم كل إنسان وجميع الدول،كما أكد حرية الإعلام[3]، كما وضع"بنتام" محكمة عدل ومجلس للسلم على رأس جمعية الأمم، وإذا قضينا على أسباب الحرب كانت المحكمة التحكمية فرصة للاقتصاد المعتبر، وسوف تحل الثقة محل عدم الثقة والحسد، ويجب تجنب استعمال القوة عن رضى شامل، وألح على إلغاء سر العمليات الدبلوماسية، "فالسر غير مجد ومضاد للاهتمام بالحرية والسلم كذلك"، كما وجب عرض النزاعات على المحكمة الدولية التي تضم قضاة من درجة عالية من الخبرة، وأن تلتزم المحكمة

[1] - عبد الحميد لطفي .علم الاجتماع .دار النهضة العربية القاهرة الطبعة الأولي ص238، 241.
[2] - أماني غاري جرار، التربية السياسية(السلام ،الديمقراطية، حقوق الإنسان)، مرجع سبق ذكره، ص52.
[3] - محمد حسن الأبياري، مرجع سبق ذكره ،ص38.

بالاستماع لجميع المتنازعين ثم تصدر قرارها الذي تتعهد فيه مقدما الحكومات المشتركة في هذا النظام بقبوله[1].

وأعلن أن السلام غير قابل للانقسام، وأن العالم لا يمكن أن يكون نصفه عبيدا ونصفه أحرارا، ويكون لديه أدنى أمل في تحقيق السلام "، ولذلك ينبغي أن تسعى كل المؤسسات السياسية، لصيانة الحقوق الطبيعية للإنسان، في الحرية والتملك، والأمن ومقاومة الظلم،وعلى السياسي نشر السلام والرخاء بين أبناء البشر جميعا، ولكن رغم دعوة "بنتام" إلا أنها باءت بالفشل في الحيلولة دون حروب توسعية لنابليون، والثورة الفرنسية.

أما "جان بودان" أكد أن تمسك الدول بالسيادة المطلقة يقف وراء فشل للمساعي للتعايش الدولي، وطالب باعتماد المرونة في العلاقات بين الشعوب،وأما "هيغل" ربط بين إقرار السلم وإقرار الحرية ، فالتاريخ هو التقدم في وعي الحرية ،لأن الوعي يعني صناعة الحياة الإنسانية السعيدة في ظل سلام يقود إلى البناء ورخاء الإنسانية[2]، أما "كارل ماركس" ربط السلام بما تحققه الطبقة البروليتارية من سيطرة على الحكم ،بل أنها تشترط قيام الشيوعية الأخيرة ليسود السلام بين الناس.

كما أكد في القرن العشرين "ريمون أرون"(Raymond Aron) والذي خص العلاقات داخل المجتمع بجانب كبير من أعماله، فيعد النموذج الأكثر وضوحا من بين المؤلفين المعاصرين حين يقول في كتابه " السلام والحرب بين الأمم : " سوف يستمر الفرق الجوهري بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية طالما لم تتمكن البشرية من أن تتوحد في دولة عالمية واحدة، وبينما تنزع السياسة الداخلية نحو احتكار القائمين على السلطة الشرعية لممارسة العنف، فإن السياسة الخارجية تقبل تعدد مراكز القوة، فالسياسة من منظور التنظيم الداخلي للجماعات، تهدف إلى إخضاع البشر للقانون،

[1]- أماني غاري جرار، التربية السياسية(السلام ،الديمقراطية، حقوق الإنسان)، مرجع سابق ، ص52.
[2] - رنيه سيرو ،هيغل و الهيغلية ، ترجمة أدونيس العكرة، دار الطليعة بيروت ، الطبعة الأولي ، فبراير 1993، ص96 .

وتهدف للحفاظ على البقاء في مواجهة تهديدات الدول الأخرى، فالسلام يكون ممكننا وفق علاقات دبلوماسية حسنة ومن ناحية الإنسان الذي يحلم بوحدة الجنس البشري .

وإن أكثر مشاريع السلام حضورا في الفكر الإنساني ما عرضه "ايمانويل كانط" فلسفة الصراع من أجل السلام، يرى أن الصراع خيرا للسلام ولتجديد العقول والإمكانيات، فالتاريخ يتجه بالأمم إلى التخلص من العنف والحرب والعدوان مما دفعها إلى التعاقد فيما بينها لحفظ السلام ووضع حدا للعنف والحرب، ويؤكد ذلك " أن معنى التاريخ وحركته بأكملها، هما أبدا المزيد فالمزيد من فرض القيود على المشاحنة والعنف، والتوسع والمستمر لمنطقة السلام " ويتوسع "كانط" في السلام من خلال "مشروع السلام الدائم " ليقدم الشروط لذلك حيث يحاول التأكيد على أن الإنسان مدني بطبعه ،وهو دائما عضو في مجتمع، ويجب أن لا يكون المجتمع همجيا أو على بدواته الأولى، ولابد أن ينظم تنظيما يتيح للفرد ممارسة حريته ويحقق غايته الأخلاقية ولتحقيق هذه الغاية هو الحرية، انطلاقا من مبدأ عام " الحق هو مجموع الشروط التي تلاءم بين حريتنا وحرية الغير، وفقا لناموس شامل للحرية " أكبر شرور البشرية هي الحروب، وليست الحرب بمعناها القديم أو الجديدة، وما معاهدات السلام إلا هدن مؤقتة فلابد من هيئة أمم قائمة على الحق، ويكون لها الحق على الإشراف على الأمم المتمدنة، متسائلا "كانط" عن كيفية إقامة السلام ؟ ويوردها كالتالي :

1-لا لمعاهدات السلام المؤقتة: "إن معاهدة من معاهدات السلام لا تعد معاهدة إذا انطوت نية عاقديها على أمر من شأنه إثارة الحرب من جديد "[1] يجب أن تكون نوايا المتعاقدين للسلام نوايا خيرة قائمة على الامتثال للواجب الأخلاقي، وتجنب كل نية سيئة وشريرة ولابد من إلغاء كل النوايا التي تجعل السلام مؤقتا، أو ربحا للوقت، أو تأهب لحرب جديدة، ويقول"كانط":" إذا جارينا آراء المستنيرين من أهل الحكمة السياسية فجعلنا شرف الدولة في الدوامة على زيادة قوتها، دون مبالاة بالوسائل فأغلب الظن أن حكما كهذا سيبدو للناس حذلقة وفقهية مدرسية " يعتقد أن الملوك من أهل السياسة يمارسون القوة والحرب ويضمرون النوايا السيئة، اعتقادا منهم أن التاريخ

[1] - ايمانويل كانط ، مشروع السلام الدائم ،ترجمة حسن عارف ،المكتبة الأنجلوالمصرية ،الطبعة الأولي ،1952، ص25.

يمجد بطولات الأفراد، وما يحققنه من انتصارات بطولية، دون الاهتمام بالوسائل،إن الجدل بين السياسي والمفكر لا يوصل إلى نتيجة، مادام السياسي يعتقد أنه متعال عن المعرفة والحكمة من وحي أن السياسة هي فن الممكن الذي لا يقيد بأي قيمة.

2ـليست الدولة متاع : "إن أي دولة مستقلة (صغيرة كانت أو كبيرة) لا يجوز أن تمتلكها دولة أخرى، بطريق الميراث أو التبادل أو الشراء أو الهبة "[1] ويؤكد أنه مهما كانت حالة الدولة غنية أو فقيرة، كبيرة أو صغيرة، لابد من اعتبارها جماعة إنسانية لا يحل محلها أحد بفرض السيطرة، أو بسبب الميراث أو المبادلة، ولا بسبب الرقعة الجغرافية ولا الهبة، أو الشراء، واصفا الدولة بالشجرة لها أصولها الخاصة مع عدم إدماجها مع دول أخرى كون أنها كيانا معنويا موجودا، وأن محاولات الدمج تظهر بشكل جلي في واقعنا، بحجة المزاوجة بين الدول وفي الأساس بغية توسيع رقعة الممتلكات والسيادة على الغي، وإظهار التفوق.

3ـ إلغاء الجيوش الدائمة:" يجب أن تلغى الجيوش الدائمة إلغاء تاما على مر الزمن لأن هذه الجيوش التي تبدو على الدوام متأهبة للقتال تهدد الدول الأخرى بالحرب تهديدا دائما "[2] أن أغلب الدول تكون متأهبة دوما للحروب بإعداد الجيوش وزيادة قواها وترسانتها الحربية، وبهذا تتلاشي قيم السلام ويحل محلها فكرة الحرب من منطلق أن الجيش علة لها، مع الإنسان يصبح وسيلة وآلة دمار في يد الدولة، وهنا يبين "كانط" استغلال الإنسان لأخيه الإنسان وتفقد القيم الإنسانية، ولا يحترم كغاية في ذاته بل هو وسيلة لطمس السلام، إن الحالة الاقتصادية قد تدفع الدول للبحث عن طرق لاكتناز المال بواسطة الجيش للمحاربة تحت لواء دولة أخرى وفقا للعنف والقوة والحرب، يرفض"ايمانويل كانط" الجيش الاحترافي في المقابل يدعو إلى تأسيس جيش وقائي يتكون من مجموع المواطنين الذين يتناوبون على عضويته، ولا ضرر من تكوينهم العسكري لسببين :

[1] - ايمانويل كانط، مشروع السلام الدائم، المصدر السابق الذكر ،ص 26 .
[2] - ايمانويل كانط ، مشروع السلام الدائم، مرجع سبق ذكره ،ص 28 .

1-مدة المناوبة قصيرة لا تدفع المواطنين للاحترافية أو الارتزاق كما أن العودة إلى المجتمع المدني تكون شغله الشاغل.

2-قوة المواطنين تضمن السلام[1].

4-رفض القروض:"يجب أن لا تعقد القروض"الديون" وطنية من أجل المنازعات الخارجية للدولة "[2] يرخص "كانط" فكرة القرض الذي تلجأ له الدول قصد تحقيق مصالح اقتصادية كتحسين الطرق، تخزين المحاصيل تخوفا من ضعف الميزان الاقتصادي بعد سنوات أخرى، فالدول أصبحت مولعة بالتجارة والأموال والإرباح ولكن هذا يعني استخدام القروض الضخمة، وإرهاق كاهل الدول الدائنة بالديون من تضخمات القروض، مما يجعل منه ذريعة لإمكانية التدخل في شؤون الدول الضعيفة، إما بتوجيه سياستها واقتصادها، حيث ترفع الضرائب مما ينعكس سلبا على الأفراد فتنتج الإضرابات ثم العصيان المدني، فالثورات الاجتماعية، وإما بمطالبة الدول العظمى بأموالها وممتلكاتها، تنشب الحرب بحكم الفطرة الإنسانية حسب "كانط" وهذه العوامل تكون سببا في انعدام السلام فلابد من إلغاء القروض الرباوية.

5- إلغاء مبدأ التدخل في شؤون الدول بالقوة:" لا يجوز لأي دولة أن تتدخل بالقوة في نظام دولة أخرى أو في طريقة حكمها "[3] تساءل"كانط " عن تبريرات التدخل، مبينا ذلك من جراء ضعف الدولة أمام الرعايا فيكون سببا سانحا لدول أخرى، إذ أن المنازعات الداخلية قد تؤدي لتشقق داخلي، فيكون حجة فتصبح الحرب شرعية مباشرة لبسط السلطة بالقوة، من أجل تغيير نظام الحكم.

6- الاعتماد الأخلاق في ممارسة الحرب:"لا يحق لأي دولة في الحرب مع الأخرى أن تستبيح لنفسها مع تلك الدولة القيام بأعمال عدائية - كالاغتيال، والتسميم، خرق شروط التسليم، والتحريض على الخيانة - من شأنها، عند عودة السلم، فقدان الثقة بين الدولتين يحاول "كانط " أن يبقي على فرص للسلام، بواسطة منع الأطراف المتنازعة من الممارسات اللاأخلاقية ،فهذه الممارسات تؤدي لزوال الثقة بين المتحاربين في

[1] - مزيان محمد ،هامل منصور،التربية وثقافة السلم –ص22 .
[2] - ايمانويل كانط ، مشروع سلام دائم،.ص30 .
[3] - ايمانويل كانط ، المصدر السابق ،ص31.

حالة السلم مع التأكيد على أن الحرب ممكنة ومشروعة عند استرجاع الحقوق المغتصبة، ولكي يكون السلام ممكنا لابد من تحريم الحرب الإبادية ، ووسائلها.

كانت هذه الشروط الستة للسلام وإقراره من الناحية القانونية والأخلاقية وأضاف لها "كانط " شروط نهائية أخرى لتجعل السلم في إطار عالمي وإنساني وهي:

المادة الأولى : ضرورة الدستور الجمهوري:" يجب أن يكون دستور المدينة في كل دولة دستورا جمهوريا" لأن النظام الجمهوري هو النظام الوحيد الذي يحقق السلام وهو عقدا أصليا بين الشعوب، وذلك لأنه قائم علي :

1- مبدأ الحرية: هو استطاعة الأفراد أن يفعلوا ما يشاءون بشرط عدم الإضرار بالآخرين، وما يخص أمورهم .

2- مبدأ التبعية : فإذا كان الفرد يستطيع وحر، فهذا لا يعني أنه يسمح له بمخالفة أمور الجماعة الخاضعون لها وفق التشريع.

3- مبدأ المساواة:جميع الأفراد متساوون، فإلغاء المساواة يؤدي للصراع والنزاع.

فالدستور الجمهوري هو الأصل الذي تبنى عليه جميع أنواع الدساتير في المدينة وهو الذي يستطيع أن يقر السلام الدائم، أما الحرب في النظام الجمهوري احتمالاتها قليلة حيث لا تقوم إلا على تفكير وتدير، أما في الدستور الذي لا يكون الفرد فيه مواطنا، إن قيام الحرب في النظام غير الجمهوري ناتجة عن أهواء وميول، ويقررها الدبلوماسيين والحكام .

ميز "كانط" بين نوعين من النظام الجمهوري والدستوري"والنظام الأول يسمى على وجه التدقيق بنظام السيادة، وهو على ضروب ثلاثة فقط: فإما أن يتولى السلطة العليا شخص واحد، أو كثيرون متضامنين، أو المواطنون جميعا، أما النظام الثاني فهو نظام الحكم ويتعلق بالطريقة التي تتبعها الحكومة في استعمال سلطتها المطلقة " [1] فالنظام الجمهوري مرتبط بحكم الأغلبية والإرادة العامة، أما الثاني يقوم على مبدأ السلطة المتمركزة في يد جماعة معينة.

[1] - ايمانويل كانط ، مشروع السلام الدائم .ص45.

المادة الثانية: نظام اتحادي بين الدول: "ينبغي أن يقوم قانون الشعوب على أساس نظام اتحادي بين دول حرة"[1] بما أن الأفراد في حال الفطرة يعتدي كل واحد على الأخر فكذلك الدول لتحفظ أمنها وسلامتها عليها أن تشارك في نظام شبيه بالدستور المدني الضامن للحقوق : وهذا بمثابة الحلف بين الدول مع ذلك لم يشترط "كانط " دولة واحدة عالمية حيث لو حدث ذلك لوجد تناقض بحكم كل دولة لها حاكم ومحكوم وعلاقات خاصة بها وحقوقها وطبيعة اجتماعية وهذا يؤسس لفكرة الاختلاف.

- فلسفة الحق التي تجعل هذه الكلمة لم تستبعد من سياسة الحرب كل استبعاد، وأن الإنسان ذاته لديه استعداد أخلاقي قويا يحفزه لتغلب على مبدأ الشر الكامن في نفسه، وأن الدول تستعمل الدفاع عن"الحقوق" بالحرب، وأن العقل مصدر لكل تشريع أخلاقي، ويجعل من السلام واجبا مباشرا، فتعين عقد حلف يسمى "حلف السلام" يقضي علي الحروب جميعا.

- على الدول كالأفراد أن تتخلى عن حريتها وتنشأ"جامعة الأمم"، تشمل جميع شعوب الأرض، وظيفتها حل النزاعات بطرق سلمية وودية، وعلى الأفراد الخضوع لقوانين هيئة الأمم المتعارف عليها.

المادة الثالثة : حقوق الأجانب وإكرامهم :"حق التنزيل الأجنبي، من حيث التشريع العالمي، مقصور على إكرام مثواه"[2] يبين "كانط" على الأجنبي المسالم أن لا يعامل معاملة العدو، وأن عدم احترام الدول للأجانب كثيرا ما يكون فتيل الحرب المباشر لأن السيادة تتمظهر في مدى مصداقية المواطن خارج دولته وجماعته، والدولة التي تشعر بعزة قيمها في حالة عدم احترام مواطنيها في دولة ما فإنها تشن الحرب لغرض العزة والكرامة، لأن هيبة الدولة من هيبة مواطنيها، وعليه يؤكد "كانط" أن من واجب الدول احترام الأجانب ومعاملتهم معاملة إنسانية حسنة وإكرامهم ما داموا على أراضيها وتوفير الأمن، وغايته تحقيق أهم روابط السلام هو الإخاء العالمي[3]،والسلام العالمي مرتبط بالتزامات معنوية وأخلاقية وعقلية، فهو لا يمكن تجسيده بجملة القوانين

[1] - ايمانويل كانط ، المصدر السابق ،51.
[2] - ايمانويل كانط ، المصدر السابق ،ص60.
[3] - مزيان محمد ،هامل منصور، التربية وثقافة السلم ،ص27 .

والأعراف الدولية والمعاهدات، ولكن يحتاج إلى ضمانات والتزامات معنوية وأخلاقية لتجسيده وأوردها "كانط" على الصفة التالية :

الضمان الأخلاقي : يؤكد "كانط" أن قيمة الإنسان تكمن في القانون الأخلاقي الذي يؤمن به، فالفعل الأخلاقي يقوم على الامتثال للواجب الأخلاقي، الذي قيمته تكمن في الفعل ذاته وليس في نتائجه، وبالواجب تتحقق السعادة الإنسانية، لأنه خال من كل براغماتية نفعية، وإن الأخلاق بذاتها هي علم العمل، من حيث اشتمالها على جملة القوانين المطلقة التي ينبغي العمل بمقتضاها ما دام الإنسان يستطيع فهو يجب عليه الامتثال للواجب والعمل وفق لقانون الضمير.

يرفض "كانط" الخلاف بين السياسة والأخلاق، حيث أن السياسة هي علم العمل في القانون، وبين الأخلاق من حيث هي علمه النظري، فلا خلاف بين النظر والعمل، فمن غير الممكن الفصل بينهما بحكم أن السياسة تقول "كن يقظا كالثعابين " والأخلاق تقول "كن بسيطا كالحمائم " لو لم يوجد التوفيق بين الأمرين في مبدأ واحد لكان الخلاف وأن السياسة تنطلق من القول التالي"الاستقامة هي أحسن سياسة والاستقامة أفضل من كل سياسة "هذا ما يرفضه العقل، وأن الله الوصي على الأخلاق فلابد من عدم الفصل بينهما، فالعقل يفرض علينا ويوجب الأخلاق واحترام القانون والانقياد للإرادة العامة، يجب إضافة الأخلاق للسياسة، ولابد من التسليم بتآلف بينهما ومن المحقق أنه إذا لم تكن هناك حرية ولا قانون أخلاقي يقوم عليها، وإذا كان كل ما يحدث أو يمكن أن يحدث ناتجا عن آلية الطبيعة المحضة، فحينئذ تكون السياسة هي كل الحكمة العملية وتكون فكرة الحق لفظا خاليا من المعنى "[1] الضمان الدستوري: إن القانون هو الضامن الوحيد لمشروع السلام شريطة أن يقره الشعب كدستور شامل.

تتآلف السياسة مع الأخلاق، وكشرط ضروري لابد من الفضيلة و القيم الإنسانية في السياسة، لا يمكن بنائها على مناهج مستبدة وآلية، كما أكد أن أغلب الدساتير التي جربت لحد الآن، انتهكت حقوق الإنسان، لاستنادها على مغالطات[2] هي:

[1] - ايمانويل كانط، مشروع السلام الدائم ،ص 88.
[2] - ايمانويل كانط ،المصدر السابق ،ص 96.

* افعل ثم برر: التبرير بعد الفعل يكون يسيرا وأكثر رشاقة، فمهما كان نتائج الفعل سيئة فالتبرير يلغي نتائجها .

* "إذا فعلت فأنكر": إذا دفعت الشعب لليأس، فليس الذنب ذنبك، أنسبه إلى عناد الرعايا، استولي على جيرانك، وقل أن لم تسبق جارك بالعدوان لسبقك.

*"فرق تسد: إذا كان هناك من شعبك من اختاروك حاكما لهم ففرق شملهم، وإذا كنت تبغي غزو دولة أجنبية، فبث فيهم الفتنة.

ومنه فإن المشروع الكانطي في بعض جوانبه بعيد عن الواقع وفي البعض الآخر صدق فيه "كانط"، فبعد قرن من الزمن تجلت فكرة عصبة الأمم، وجدت طريقها لتحقيق بعد الحرب العالمية الثانية، ويعلق "فرنسوا مارتي" على آفاق"كانط" بقوله:" إن القرنيين اللذين يفصلاننا عن الفكر السياسي الكانطي، والذي يعتبر السلام الدائم قمته، يمداننا بتأكيد خاص على إلحاح الدولة العالمية، التي لا يمكنها أن تكون إلا قوة عظمى قلقة، بفعل الوهم المتعالي المتمثل في إنشاء نظام أخلاقي عالمي، حيث احترام القانون الأخلاقي هو دوما احترام إنسان آخر، وهنا يمكن استحضار "ليفيناس"، ذلك القارئ الجيد لكانط ، والذي يتحدث عن ذلك العلو الذي يستحوذ فيه على ما منه الآخر في لقائه، وعند ذاك سيصبح النظر ممكنا إلى الغريب لا كعدو محتمل، ولكن كمواطن عالمي على هذه الأرض المشتركة، وكمسافر، شاهد على إمكانية الأمل وبحق، في مكان تسوده العدالة والسلام "[1].

ومن مفكري الإسلام)"سيد قطب"(Said kotobe) الذي تحدث عن السلام في كتابه " السلام العالمي والإسلام" من أن السلم قاعدة والحرب ضرورة، وضرورة لتقرير سلطان الله في الأرض ليتحرر الناس من العبودية لغير الله، ولدفع البغي وإعلاء كلمة الله، وخير الإنسانية، ورفع من شأن المثل العليا التي جعلها الله غاية الحياة، لتحقيق الآمان للأفراد والعدل المطلق، وإن محاولة الإسلام إقرار السلام الشامل لا تبدأ في مجال السلام الدولي وهي المرحلة الأخيرة التي تسبق بحلقات سابقة.

[1] - - فرانسوا مارتي ، العدالة العالمية (الطريق نحو السلام .آفاق كانطية)، ترجمة نعيمة حاج عبد الرحمان ، مجلة الأيس ،لعدد الأول، جوان 2005، ص62.

إن الإسلام يبدأ المرحلة الأولى في ضمير الفرد، بعد ذلك في محيط الأسرة، ثم في وسط الجماعة، وأخيرا على المستوى الدولي بين الأمم والشعوب، حيث يناشد السلام بعلاقة الفرد بربه، ومع نفسه،وبالجماعة، ثم في علاقته بالطوائف والحكومات وأخيرا في علاقة الدول بالدول .

ولن يصل الإسلام لهذه المرحلة الأخيرة بعد سبيل طويل، يتمثل في المرور بالسلام في الضمير، إلي سلام البيت، ثم سلام المجتمع، وإلي سلام العالم في نهاية المطاف [1].

أما "غاندي"لقد كان تأثيره نابعا من حبه وإيمانه بالإنسان والإنسانية فقد قال: "الجنس البشري جنس واحد، لأن الكل يخضع لقانون الأخلاق،ولأن الكل سواسية في عين الله"، كما يؤكد على ضرورة الروابط بين أفراد شعوب العالم، ويقول أن :"الواجبات نحو النفس والعائلة، ونحو البلد، ونحو العالم ليست مستقلة عن بعضها البعض، لأنك لا تستطيع أن تقدم الخير لوطنك بحبك الضرر لنفسك ولعائلتك ، وبالمثل لا تستطيع خدمة وطنك بجلب الأذى للعالم ككل،وفي النهاية يجب أن نموت كي تعيش الأسرة، كما يجب على الأسرة أن تموت كي يعيش الوطن، وأن يموت الوطن كي يعيش العالم"[2].

وتواصلت العقول الحالمة في التفكير في مجتمعات يسودها الآمن و السلام وتكون القيم الإنسانية هي الهدف الأسمى الذي تسعى لتحقيقه الأفراد، ومن هنا يمكننا أن نتساءل عن السلام في الفترة المعاصرة وكيف تبلورت فكرة السلام في أفكاره الفلسفية والإنسانية ؟ولكن قبل الحديث عن السلام عند "راسل" سيكون علينا أن نتحدث عن منهج راسل الفلسفي مرجعيته الفكرية .

[1]- سيد قطب ، السلام العالمي والإسلام ، دار الشروق، بيروت، دط ، دت ، ص 29 ، 36،37.
[2]- أماني غاري جرار، التربية السياسية ، مرجع سبق ذكره، ص50.

المبحث الثالث :المرجعية الفكرية لراسل ومنهجه الفلسفي

يصير من الصعب الحديث عن" برتراند راسل" دون مبــالغة، فهو فيلسوف اتسعت كتابته وتنوعت كتابته بصورة لا نجد لها مثيل عند أي فيلسوف معاصر فقد كتب في الرياضيات والمنطق والسياسة والمجتمع والأخلاق، وباختصار، فإنه لم يترك مجالا من مجالات التي يهتم بها فلاسفة العصر إلا وعلق عليها، وعلى ذلك لم يكن "راسل" فيلسوفا فحسب، بل كان رياضيا، ومفكرا وسياسيا وأديبا، ورجل تربية ورجل إصلاح اجتماعي،وعلى وجه يعيد إلى الأذهان صورة المفكر الجماهيري يقول "راسل": الفلاسفة نتائج وأسباب في آن معاً، وهم نتائج للظروف الاجتماعية، ولما يسود عصورهم من سياسة ونظم اجتماعية، وهم كذلك أسباب - إن أسعفهم الحظ - لما يسود العصور التالية من عقائد تشكل السياسة والنظم الاجتماعية[1]، وكما نجد قولا كتبه "كارل ماركس ":" لا يخرج الفلاسفة من الأرض كما تخرج النباتات الفطرية، وإنما هم ثمار عصورهم وشعوبهم،وهم العصارة الأرفع شأناً والأثمن والأبعد أن ترى، والمعبرة عن نفسها بالأفكار الفلسفية، وأن الروح التي تبني الأنظمة الفلسفية بعقول الفلاسفة، هي نفسها الروح الذي تبني السكة الحديدية بأيدي العمال، فليست الفلسفة خارج العالم..".

ومن هذان القولان يمكننا البدء في المبحث ببحثنا عن من هو" برتراند راسل" ؟ وما هي أهم المحطات التاريخية والفلسفية التي تسنى بها أن يظهر فكر "راسل" وما المنهج الذي اعتمده في فلسفته ؟ وكيف تجلت فلسفته السياسية إن وجدت ؟من هو برتراند راسل ؟

ولد "راسل" بالقرب من "تريليك بويلز"، شمال "تشِــبْستو"، واسمه الكامل برتراند آرثر وليم راسل ولد بتاريخ (28 ماي 1872)، لأسرة عريقة في بريطانيا، ولعبت دورا هاما في تاريخ انجلترا السياسي منذ أوائل القرن السادس عشرة، وهو فيلسوف وعالم رياضيات بريطاني، يعدّ من أشهر فلاسفة القرن العشرين، كما وُصِف بأنه أهم علماء المنطق الذين ظهروا منذ عصر الفيلسوف الإغريقي"أرسطو" أعظم إسهاماته في المنطق الصوري ونظرية المعرفة،وإن كان تأثيره يتجاوز هذين المجالين؛ إذ طوَّر

[1]- برتراند راسل ،تاريخ الفلسفة الغربية الحديثة ، محمد فتحي الشنيطي، المصرية العامة للكتاب.دط ،1977 .ص9.

أسلوبًا نثريًا يتسم بدرجة مدهشة من الوضوح وسرعة البديهة وجيشان العاطفة،وحصل على جائزة نوبل للأدب عام (1950م)، وهو من أسرة عريقة ونبيلة، وفي عام (1931م) ورث لدى وفاة أخيه الأكبر لقب العائلة، أصبح راسل شخصية مؤثّرة ومثيرة للجدل في القضايا الاجتماعية والسياسية والتعليمية، وكان مباشرًا في دعوته للسلام ودعا لانتهاج مواقف ليبرالية إزاء الجنس والزواج ووسائل التعليم، وكان من منتقدي الحرب العالمية الأولى (1914-1918) سجن عام (1918) بسبب تصريحات ضارة بالعلاقات البريطانية الأمريكية، ثم دخل السجن مرة أخرى عام (1961) بسبب التحريض على العصيان المدني في حملة تطالب بنزع السلاح النووي قدم"راسل" أعظم إسهاماته للفلسفة والرياضيات في مطلع القرن العشرين، وأراد أن يستمد جميع الرياضيات من المنطق وبذلك أرساها على أساس متين.

وتعاون راسل مع عالم الرياضيات والفيلسوف الإنجليزي"ألفرد نورث هوايتهد" في مؤلفه الضخم المكون من ثلاثة أجزاء مبادئ الرياضيات (1910-1913)وسعى في عمله هذا إلى إظهار أن جميع الرياضيات البحتة تتوالد من مسلمات منطقية تمامًا وأنها لا تستخدم سوى المفاهيم التي يمكن تعريفها بمصطلحات منطقية بحتة، ورغم أن أفكاره نُقّحت وطُوِّرت على أيدي علماء الرياضيات من بعده، لكن أفكاره كانت منطلقا لكثير من الإنجازات الحديثة في علم المنطق وقواعد الرياضيات وقدَّم"راسل" إسهامًا وافرًا في تتاريخ الفلسفة منها : مبادئ الرياضيات (1896)،وأصول الرياضيات تناول فيه المشكلات المتعلقة بأصول الرياضيات والمنطق الرياضي، ومبادئ الرياضيات (1910-1913) وهو في ثلاثة أجزاء،وعرض نقدي لفلسفة "ليبنتز" (1900.G.w.f . leibnis) ، ومقالات فلسفية منها عناصر الأخلاق (1908)، عبادة الرجل الحر (1903)، معرفتنا بالعالم الخارجي(1914)،مشكلات الفلسفة(1912) ...[1]

كان يقول "راسل" تحكمت في حياتي ثلاث دوافع بسيطة ولكن متناهية القوة " الحنين إلي الحب ، والبحث عن المعرفة ، والإشفاق الشديد على أولئك الذين يقاسون ويتعذبون،وكان لهذه الانفعالات دور في تقسيم حياته الفكرية إلي ثلاث مراحل وتتمثل

[1]--ماهر عبد القادر محمد علي، فلسفة التحليل المعاصر، دار النهضة العربية ، بيروت 1984، ص 101.

المرحلة الأولى في تأثره بالنزعة المثالية ، وأما الثانية في باهتمامه بالرياضيات وتحوله إلى المنطق الرياضي بحثا عن اليقين،قصد بلوغ تأكيد الامتداد بينهما ولما وصل له ،انتقل للمرحة الأخيرة فأراد اختبار المشكلات الأساسية من خلال تطبيق المنهج الرياضي، بيد أن "راسل" أثناء اجتيازه هذه المراحل لم يتجاهل المشكلات الاجتماعية والسياسية لعصره ،فلم يتوان عن المشاركة في هذه المشكلات بالكتابة حينا والنضال العملي حينا آخر، وهذا الجانب العملي التطبيقي كان يسري في كل مراحل تطوره[1]. ومما يجعل الإشارة إلى وجهين من تطور تفكير "راسل" إلى الأفلاطونية والتجريبية الرجعية[2]، وبعدما حلق بعيدا في سماء الرياضيات والمنطق، فكتب عدة مجلدات يبحث بعاطفة قوية مواضيع الحرب و الحكومة والاشتراكية من غير أن يلجأ إلى استخدام منطقه الرياضي،وهذا ما أكد عليه "أدام ستيفانسون" بأن"راسل" قسم كتابته قسمين متساوية: قسم الكتابات في المنطق والفلسفة، وقسم في السياسة والمجتمع، وإن الاختلافات كانت من حيث المواضيع[3]، كما أنه طيلة حياته عارض الحرب العالمية الأولى، والنازية والاشتراكية والحرب النووية وساند حرب الفيتناميين كحرب منطقية، وفي بداية القرن العشرين قدم نظريته في الأوصاف ونظرية الأنماط[4]، ما مدى تأثير حياته على فكره ؟ إن محاولة معرفة ذلك فتتجلى من خلال حياته الأولى كما بين ذلك في "سيرته الذاتية " بحكم الأسرة التي ينتمي إليها، التي كانت جذورها تمتد إلى عدة أجيال، بل إلى عدة قرون خلت، بحكم "اللورد راسل" الذي أرسى قواعد الديمقراطية في بريطانيا، وهو مسؤول عن إرساء قانون الإصلاح في عام (1832)الذي سارت بسببه انجلترا نحو الهدف الديمقراطي، حيث أن المحافظون عارضوا هذا القانون مما كاد يؤدي إلى حرب أهلية بين التقدميين والرجعيين في انجلترا، فكان لابد من حل سلمي أحرز به جد "راسل" النصر، وقد كان معتدلا في تحرره إلا في أمر واحد وهو في كرهه للإجحاف الناجم عن التفرقة

[1]- فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل ،بيروت،ص 23.

[2] - serge Hutin,La philosophie anglaise et Américaine ,press universitaire de France ,deuxième édition 1963,page62.

[3] -Adam stephenson,la fin et le moyens la philosophie politique de Bertrande Russell ,p203

[4] - Jean-Michel besnier ,histoire de la philosophie moderne et contemporaine ,figures et œuvres ,page 394.

على أساس ديني، ويذكر "راسل" بجلاء توافد بعض الحشود أمام بيت جده قبل وفاته بأيام فعلم أنهم يحتفون بمرور خمسين سنة على قانون إلغاء قوانين الاختيار والمجالس التي تستبعد الخارجين على الكنيسة من وظائف البرلمان، وكيف أن هذه الأحداث غرست في ذهنه ودفعته لدراسة التاريخ ملقية ضوءا للحب الراسخ للحرية المدنية والدينية وبقاء هذا الشعور حي رغم توالي الأنظمة الديكتاتورية التي أغرت الكثيرين وأن راسل ترعرع في أحضان عائلة غير محافظة من الناحية السياسية ،وإن كانت محافظة من الناحية الأخلاقية والفضائل، فتوارثت الأسرة الألقاب من جيل إلى أخرى، مما أدى إلى ذوبان الأفكار المتحررة منذ القرن السابع عشرة، وهكذا يتبين في جلاء أن "راسل" في أسرة لا تقييم وزنا للملوك ولنظام الحكم الملكي،والخط الليبرالي الذي ذابت عائلة"راسل" على تأييده يتلخص بالوقوف في وجه الملوك،لقد كان عداء عائلة "راسل " لرجال الدين الذين يتدخلون في الحياة العامة ويمارسون سلطانا سياسيا، ولكن طفولة "راسل" كانت جافة ومتجهمة لا يشيع فيها مرح الصبية وبهجتهم، وهكذا كتب "راسل" أنه يعيش وحدة وعزلة "كانت جدتي أهم شخص في طفولتي وكانت ليبرالية في معتقداتها السياسية والدينية ..وكانت غاية في الصرامة في كل ما يتعلق بالأخلاق وتدور أوضح ذكرياتي الأولى حول الموافق التي كنت أتعرض فيها إلى الامتهان..."[1] وهذا ما يؤكد أن الجو الذي عاش فيه هو التقشف قصد إنشاء رجال أشداء،وعلى الرغم من الخدم إلا أنه كان يعتبر نظام التربية الذي مورس عليه شبيه بنظام اسبرطة التربوي في أيام الإغريق الذي عرف بقسوته البادية وفظاظته الظاهرة "كانت الفضيلة هي الشيء الوحيد الذي تعلق الأهمية عليه على حساب العقل والصحة والسعادة وكل مصلحة دنيوية "وهذا يبين مدى تأثر "راسل" بأهمية التربية في المجتمع ويتجلى ذلك في موفقه في القيم الأخلاقية وبوصف البيئة التي عاش فيها وبحكمها القاسي أنها مريضة وتجشع نوعا مريضا من الأخلاق إلى الحد الذي يؤدي إلى إصابة الذكاء بالمرض .

[1]- برتراند راسل ،سيرتي الذاتية ، ترجمة عبد الله عبد الحافظ،مراجعة شوقي السكري ،دار المعارف بمصر، ص19.

كان "راسل"معجبا بالاستعمار، ومؤمنا به ومدافعا عنه وفي (1901) على وجه التحديد تخلى عن نزعته الاستعمارية، وكان طريقه للسعادة حين تملصه من سلطة آسرته وحياة البؤس التي عاشها، حين التحاقه "بجامعة كامبريدج " (في الثامنة عشرة من عمره)،وكانت هذه أولى الخطوات نحو الحرية لفكر "راسل"والتعبير عما يشاء دون خجل أو اتهام بخلل عقلي (فمنذ لحظاتي الأولى في كامبريدج، كنت بالرغم عن خجلي،اجتماعيا للغاية، ولم أجد أي عائقا بسبب تعليمي في البيت أو المدرسة وكان مما يبعث على النشوة واكتشافي أنني أستطيع أن أقول الأشياء التي كنت أفكر فيها، وأن أتلقى ايجابيات عن أسئلتي دون فزع أو استنكار، كما لو كنت أقول شيئا معقولا) [1]، وأثناء تواجده بالجامعة التقى "ج.ا.مور"(George Edward Moore) والذي أثر في تفكيره تأثيرا كبيرا وهو يعترف بذلك في سيرته الذاتية بقوله :"(وكان مور مثلي ، كان متأثرا"بهيغل" لفترة قصيرة، وتخلص منه بأسرع مما تخلصت منه، وكانت مناقشاتي معه هي التي دفعتني إلى الإعراض عن "كانط" و"هيغل" على الرغم من أنه كان يصغرني بعامين إلا أنه أثر في نظرتي الفلسفية أشد تأثير)"[2]،بعد تخرجه من "كامبريدج" بتفوق في الرياضيات، ما جعل الأسرة تطالبه بممارسة السياسة، ولكن الإغراء الفلسفي كان قويا، بمحاولة الإجابة عن مختلف التساؤلات التي راودت "راسل" منذ الصبا حتى شبابه وبعد ذلك ، وأن السبب الذي حداه إلى دراسة الرياضيات هو لذة البرهنة على الأشياء وحبه للاستدلال العقلي، فكرس الشطر الأكبر من دراسته الأكاديمية لدراسة الرياضيات، اعتقادا منه للوصول لليقين [3].

مما يجعل التساؤلات تطرح حول الدوافع التي أدت "براسل" لدراسة الفلسفة ؟

يرد على ذلك أن الرياضيات فشلت في طرق التدريس وأساليب الامتحانات في الجامعة في إرضاء الاستعدادات الأصيلة فيه، مما جعل البحث عن الفلسفة فدوافعه نحو الفلسفة تتخذ أشكالا عدة، وهي رغبته في فــهم العالم، لقد كان هذا الدافع قويا عندما كان الارتباط بين الفلسفة والعلم قبل انسلاخ العلم عنها، ويصبحا مستقلان،

[1] ـ برتراند راسل المصدر السابق ، ص86

[2] - برتراند راسل ،المصدر السابق، ص89

[3] ـ ماهر عبد القادر ،فلسفة التحليل المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص95.

ولابد من محاولة التخلص في الشك في الحواس وفي المعرفة القائمة عليها، ورغبة في التوصل إلى المعرفة اليقينية تقيم سياجا يحميه من الشك وهذا كان حافزا لدراسة الفلسفة.

ومن المراحل الفكرية التي أثرت في فكر "راسل" تتجلى في آخر دراسته بكامبريدج عكف على دراسة الفلسفة، وهنا دخل في صراع بين الفلسفة المثالية والتجريبية، من خلال مدرسي "كامبريدج" و"سدجويك" كان يمثل وجهة نظر الانجليزية التجريبية ،فحين "وارد" جذب انتباهه إلى "كانط" ،فحين مهد "ستاوت" "الطريق لدراسة " المظهر والحقيقة "لبرادلي"(Fracis.herbert. Bradly) ،وفي عام (1894) تخرج من الجامعة ومن مراحله الفكرية ما يلي :

بدأ إعجابه بفلسفة "كانط" ولكنه هجرها عند سقوطه في الطلاسم الميتافيزيقية المحيرة، وانحدار العقل إلى الغموض، وليس هناك أدل على كراهيته للغموض ما قاله :" إنني أحب التحديد، وأحب الخطوط الواضحة وأمقت الغموض المستغلق "، ولكن رغم ذلك يظهر أثر "كانط" في فلسفة "راسل" من خلال ازدياد الشعور بالتسامح المودة بين الناس وفي تهيئة أكبر قدر ممكن من الفرص لتنمية المبادرة عند الأفراد على أوسع نطاق دون إلحاق الأذى بالآخرين،ولكن كيف وصل إلى الهيغلية ؟ يقع "راسل"تحت تأثير الهيجلية بواسطة "ماك تاجارت "، أدرك منها أنها ترضي الرغبة في الإيمان عن طريق الاستمساك بجوهريات الدين في اطار عقلي شديد التعقيد، وأن هذه الفلسفة تنتهي للمطلق، كما أن هنا تصور الكون على أنه وحدة واحدة لا سبيل للفصل بين أجزائها، ويقول أن أثر "هيغل" كان قويا، ولكن أفكار"هيغل" وضعته في أفكار مضطربة التي بدت له مجرد تلاعب بالألفاظ .

مما جعل تصدي الفلاسفة الانجليز مثل "مور"و"راسل" للمثالية الهيغلية من خلال مقال "مور" " تفنيد المثالية " (1903)، وإصدار (راسل) "أصول الرياضيات " (1903)، ثم مشكلات فلسفية " (1912)، انتهت مع مرور الوقت المثالية التي تبناها "جرين"(T.H.GREEN) و"برادلي"و"وزانكيت"وعاد الفكر الانجليزي أدراجه تجريبيا بحتا، كما كان في السابق، وواقع الأمر رفضه للمثالية، جعله يتبنى الفلسفة الذرية

المنطقية مستخدما التحليل كمنهج، وأصبح العنصر الرئيسي في فلسفته، في كتابة" طرق الحرية" إبان الحرب العالمية الأولى، بعد فراغه منه زج به في السجن لدعوته للسلام وإنهاء الحرب، ودافع عن الاشتراكية، معتبرا إياها الدولة التي وضعها"كارل ماركس" فزار الاتحاد السوفيتي، ولكن خرج منه ساخطا على الشيوعية لأن ما يحرك الذين سيطروا على الحكم في (1917) إلا الحقد، معتبرا أن الحقد ليس أساسا لأي إصلاح اجتماعي فأطلقوا عليه لقب "الخنزير الشيوعي" كموضع اتهام وكراهية[1].

وكان لزيارته للصين أثر كبير حيث علمته كيف ينظر إلى الحاضر في ضوء الأحقاب التاريخية السحيقة، وساعده هذا الإحساس بالأبعاد الزمنية أن يتخلص من النظرة الضيقة التي تحبس الإنسان في اللحظة الراهنة بأحقادها وآمالها المحدودة.

ومع كل هذا فالفيلسوف العظيم لم يتلاءم مع أحداث القرن العشرين، بما يلحقه من تهاوي للقيم، وانكماش للحريات في العالم وتقلصها بنظرة الأسى والألم، بحكم تجرعه الحرية والديمقراطية من فكر الانجليزي "جون لوك "(john Locke) حيث يقول "راسل" :"أن التنبؤات التي ذكرها "جورج أوريل" في قصته المعروفة (1884) تتحقق بالتدريج وأن العالم يغرق في الظلام كما صوره "أوريل" في روايته وهكذا بدأ "راسل" يفقد الكثير من تفاؤل القرن التاسع عشرة ويغرق في اليأس والحزن على مصير الإنسانية من أهوال الحرب ومن الدمار من تسلح نووي خلفته التكنولوجيا وعلى الغرب أن يدرك أن روسيا الشيوعية أخطر من روسيا القيصرية، لكن ليس معنى ذلك أن يتجاهل الغرب الأخطار التي تهدد حريته ونظامه الديمقراطي.

نشأ "راسل" في جو القرن التاسع عشرة المتفائل والمتحرر، وأخذ عن والديه اللذين كانا من أتباع "جون ستيوارت مل" الإيمان بحقوق المرأة مما دفعه إلي تبني هذه القضية والدفاع عن حقوق المرأة المسلوبة في بريطانيا، لكن حياة "راسل " في "كامبريدج " مهمة جدا في تعرفه على أغلب أصدقاء العمر يقول:"كانت كامبريدج هامة في حياتي،لأنني أدين لها بما كونت من صداقات، ومـا اكتسبت من خبرة المناقشة الفكرية ..حيثماٌ مشيت إن "كامبريدج" هي المكان الوحيد على سطح

[1] - رمسيس عوض ، برتراند راسل الانسان،دار الهلال .ص17.

الأرض الذي أستطيع أن أعتبره بيتي"[1] ، حيث يذكر علاقته "بهوايتهد"(A.N witehead) كيف كانت مشتركة، أما في بعد بدأت هوة الخلاف تتسع في أثناء الحرب العالمية الأولى ويكمن الخلاف في الدعوة إلى السلام مع العلم فيما بعد وفاة ابن"هوايتهد" في الحرب العالمية مما أثر في نفسية "راسل ".

كما يذكر"راسل" علاقته "ه.ج . ويلز"(H. G. Wilz) بدأت (1903) في جمعية صغيرة للمناقشة تدعى "القواسم المشتركة " قصد العمل بكفاءة، ويذكر "راسل" أنه كان مختلفا مع معظم القواسم المشتركة ماعدا "ويلز" الذي كان يتفق معه في مخاطر الحرب، فأغلب الأعضاء كانوا استعماريين، حيث أن "راسل" رفض سياسة "ادوارد جراي" وزير خارجية بريطانيا التي تؤدي إلى حرب عالمية، وكان يسانده "ويلز" في الرأي ولكن تعارض معه في الحرب العالمية الأولى حيث كان يدعو إلى الحرب قصد إنهاء الحرب[2].

كما تحدث عن علاقته مع" د.ه. لورنس"(D. H.Lawrence) أنها كانت قصيرة وكان يعتقد أن وشائج الاتفاق كبيرة جدا، نتيجة لثورة العارمة التي كانت تعترم في صدريهما، إذ أن الدعوة للسلام قد ولدت في نفسه شعور بالثورة المريرة، في حين كان "لورانس " واقع بين موقفين من الحرب، فلم يكن في وسعه أن يكون وطنيا بكل جوارحه لأن زوجته ألمانية، ومن ناحية ثانية بلغت كراهيته للإنسانية حدا جعله يعتقد بأن كلا الجانبين على صواب في الكراهية التي يحملها كل منهما اتجاه الآخر وبمرور الوقت أدركا الخلاف بينهما رغم إعجاب "راسل" به في فكرة استحالة الفصل بين السياسة والنفسية الفردية، وأن بصيرته نفاذة في ادراك الطبيعة البشرية ولكن فيما بعد أتهم"راسل" بالنفاق ليس من الحقيقة في شيء أنك أنت ونفسك الأصيلة، تريد السلام أنك ترضى شهوتك للاضطراب والمشاكسة بطريقة زائفة غير مباشرة، فأما أن ترضيها بطريقة مباشرة شريفة "، يؤكد: "الذي جذبني إلى "لورانس" في بادئ الأمر صفة ديناميكية أكيدة كانت تميزه، وعادته في تحدي

[1] - برتراند راسل ، سيرتي الذاتية، سبق ذكره ، ص 105 .
[2] - رمسيس عوض، برتراند راسل، الإنسان ،سبق ذكره، ص 83 .

الافتراضات التي يتقبلها الإنسان على أنها مسلمات يرتقي إليها الشك، وكنت قد اعتدت أن أتهم بعبوديتي للعقل، واعتقدت أنه يستطيع أن يعطيني جرعة منعشة من اللاعقل، ولا شك أنني اكتسبت منه منبها وحافزا "[1].

ويذكر أيضا علاقته مع "جوزيف كونراد" حيث يرى أن الإنسان يصبح حرا لا بإطلاق العنان لنوازعه، ولا بانعدام السيطرة والاهتمام، ولكن بإخضاع البواعث المنحرفة من أجل فرض السيطرة، وأن النظام يجب أن ينبع من الداخل وهو يحتقر انعدام النظام، ويكره النظام الذي يفرض من الخارج لا أكثر، ورغم وفاة "كونراد" إلا أن نبله المتأجج الشديد كان ساطعا في ذاكرة "راسل" كأنه نجم يراه الرائي من أعماق بئر، وبالرغم أن منزله حطمه (هتلر) أثناء الحرب، ولقد كانت هذه جل علاقات راسل في حياته.

وإذا حاولنا معرفة منهج "برتراند راسل" علينا أولا تحديد طبيعة الفلسفة التي عاصرها وما نوع الفلسفة التي تبناها؟

أولا:إن الفترة التي عاصرها "راسل" تؤكد أن طبيعة الفلسفة هي المعاصرة وإن تحديد بداية هذه الفلسفة تعتبر عام (1831) السنة التي توفى فيها "هيغل" البداية التقريبية للفلسفة المعاصرة، وكما أعتبر مؤتمر باريس (1914) أن خصائص الفلسفة المعاصرة بما تناوله الفلاسفة المعاصرين منذ "هيغل" هي نفس المشكلات الفلسفية التي تناولتها الفلسفة الحديثة[2]، ولكن اتخذوا منحا خاصا على ضوء التجربة متأثرين بالكشوف العلمية الهائلة في العلوم الطبيعية والفيزياء ونتيجة لانقلاب الحياة الاجتماعية وتحول المجتمعات من إقطاعية تجارية إلى صناعية تجارية وثورات اجتماعية وسياسية، وأن العلم في حقيقته يعتبر ثورة عمت المجتمع في جميع نواحيه وإحداث انقلابا ضخما في مضمون الحياة الإنسانية في محتواها وتتجلى خصائص هذه الفلسفة فيما يلي:

* انهيار الأساليب القديمة للحياة وأصبحت الحياة أكثر تعقيدا مما اعتاد عليه الناس

* انهيار أساليب التعبير التي كانت مشتركة وهي اللغة اللاتينية، وازدياد التباعد بين

[1]- رمسيس عوض، برتراند راسل ،الانسان، سبق ذكره .ص 89 .90.

[2]- - إ-م- بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوربا،ترجمة عزت القرني،دط ،سبتمبر1992 ص85.

الفلسفة والعلم في القرن السابع عشرة ومع تجلى الارتباط الوثيق بين العلماء والفلاسفة مثل" راسل وفيجشطاين(Ludwig Wittgenstein) وهوايتهد "، ازدياد النزعة التفاؤلية العلمية (التقدم التكنولوجي السريع) وسرعان ما عاد القلق بالأسلحة في القرن العشرين، ما خلفته التكنولوجيا من مشاكل كأخلاقيات البيولوجية، الكشوف العلمية وزعزعة النظرة النيوتونية وظهور نظرة "ماخ" العلمية،ومع اتفاق كل الفلسفات على رفض المثالية الهيجلية ودحضها من أن فلسفة القرن التاسع عشرة بعيدة عن الواقع ولكن آثر الفلاسفة المعاصرون العودة إلى أرض الواقع الملموس[1].

يمكننا أن نستنتج أن الفكر المعاصر متجدد ومستمر جاد نتيجة زيادة التبادل الثقافي بين مختلف أرجاء العالم وذا أثر جاد نتيجة ازدياد الثورة المعلوماتية وتضاؤل المسافات بين أرجاء الكرة الأرضية، يمكننا تقديم تصنيفات للفلسفة المعاصرة بصفة عامة : المذهب البراغماتي" وليم جيمس" والمذهب الوجودي ممثلا من طرف "كارل ياسبرس، سارتر"،والمذهب المثالي "برادلي" ، المذهب التحليلي" راسل ، مور، فيتجشطاين"، أما الظواهرية "هوسرل"(Edmund Husserl) ، الواقعية الجديدة "هوايتهد، راسل ،صمويل الكسندر"[2].

لكن هناك تقسيمات الفلسفة المعاصرة بالنسبة إلى "كوانتون" دمج راسل في الفلسفة الواقعية والتحليلية وذلك كما يلي :

يرى أن المرحلة الأولى في الواقعية لراسل ومور وهي السنوات الأولى للقرن العشرين من خلال كتاب"مشكلات فلسفية"لراسل"، ومقال" بعض مشكلات الأساسية" (1923) وبعض كتب قبل (1914) وهي رد فعل على الفلسفة المثالية .

وأما المرحلة الثانية هي فلسفة التحليل المنطقي وهي كتابات "راسل" بعد (1920) وفلسفة"فتجشطاين" من خلال رسالة منطقية فلسفية (1922) وهذا ما سمي بالفلسفة الذرية المنطقية، إضافة إلى الوضعية المنطقية "دائرة فينا "، وأما المرحلة الثالثة فلسفة اللغة وازدهرت منذ المرحلة الحرب العالمية الثانية[3].

---

[1]- سماح رافع محمد ، المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة المدبولي ،مصر ،الطبعة الأولي ،1973،ص 123.

[2]- ماهر عبد القادر محمد علي، فلسفة التحليل المعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، دط، 1985، ص105 .

[3]- ماهر عبد القادر محمد علي، فلسفة التحليل المعاصر ، مرجع سبق ذكره، ص108

ولكن هذه التقسيمات لم يرضى عليها"راسل" مؤكدا أنه تبنى الذرية المنطقية (1889) ويفضل مصطلح الذرية المنطقية على الواقعية ودليل ذلك مقال بعنوان الذرية المنطقية (1924) ثم (تطوري الفلسفي) (1959) بقوله :" ما أريد تأكيده يتمثل في أن منطقي ذري لأنه يوصلنا إلى حقائق ذرية نهائية تكون مستقلة منطقيا الواحدة عن الأخرى ومستقلة عن معرفتنا لها بصورة جازمة ولذا فإنني أفضل أن أصف فلسفتي بالذرية المنطقية أفضل من وصفها "بالواقعية "عن كتاب"راسل" "المعرفة والمنطق"،مما يجعلنا نتساءل عن مبررات "راسل" للاتجاه الذري؟ وهذه المبررات متصلة بالبحث العلمي :

1- تشير إليه الصفحات الأولى من معرفتنا بالعالم الخارجي " نظرا لأن الأفكار المطروحة فيه تبين طبيعة التحليل المنطقي في الفلسفة وفعاليته وحدوده لأن هذا المنهج يمكنه أن يقدم لنا ما يمكن الحصول عليه من المعرفة العلمية الموضوعية.

2- وإن مثالية "كانط وهيغل" غير كافية ولا تقدم الفلسفة من خلال مناقشات "مور".

3- إن العلوم التجريبية أثبتت جدارتها في نتائج المنهج المستخدم و كذا الفيزياء وما حققته في الثلاثة قرون، فشهد العالم في القرن العشرين تقدماً علمياً كبيراً، والذي كان له التأثير العميق في التيارات الفلسفية المعاصرة، ومن أبرز سمات هذا القرن تظافر التقدم الذي أحرزته العلوم الرياضية والعامة مع هذا التقدم العلمي، فقدمتا للإنسانية أفاقا واسعة من المعرفة والكشوف التي لم تكن تخطر على بال البشر، وليس أدل على ذلك من تفتيت الذرة، ورد الماديات الموجودة في العالم إلى جزئيات صغيرة،ومن تم تحطيم هذه التجزيئات الذرية وكشف جوهرها والاستفادة منها.

كل هذا أحرزه العلم بمنهجه التجريبي في ارتباطه في الرياضة ومنهجها التحليلي، لذا فقد أصبحت السمة المميزة للقرن العشرين هي أنه عصر التحليل مما شجع المفكرين المعاصرين إلى التحول إلى الاتجاه الواقعي غافلين عن الاتجاه المثالي.

إذ أن الأرضية التحليلية لهذا القرن تدعو إلى أن تكون الثمار الفكرية واقعية سواء أكانت الواقعية مادية أو تحليلية، طبيعية أو إنسانية، على أن هذا لم يمنع من وجود بعض من الاتجاهات المثالية المعاصرة، إلا أنها نادرة.

من هنا كان الطابع العام للفلسفة المعاصرة هو الطابع التحليلي الواقعي المتناسق مع روح العصر الرياضية، مسايراً لأحدث الاكتشافات وآخر التطورات الرياضية[1] ذلك أن الفلسفة تعبير عن العصر الذي تنشأ فيه، كما أنها تعميق نظري للأحداث الخاصة به، من أجل هذا ثار غالبية الفلاسفة المعاصرين على المطلق والمثالي وغيرها من المذاهب المشابهة التي سادت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وذلك لعدم مسايرتها روح القرن الحديث، رغم أن كثيرا من الفلاسفة الواقعيين والتحليليين المعاصرين بدءوا أولاً في مذاهبهم الفلسفية كتلاميذ "لكانط" و "هيجل"، لكنهم سرعان ما تحولوا عن مثاليتهما واطلاقيتهما إلى اتجاهات أخرى واقعية ومادية وتحليلية تتفق مع ظروف القرن العشرين.

وتعد الفلسفة التحليلية أبرز اتجاه فلسفي معاصر عبر عن الروح العلمية الرياضية، والذي يضم عدداً من المذاهب المتجانسة مثل الواقعية الجديدة، ومؤسسها الفيلسوف الإنجليزي "جورج مور" والذي سار في طريقها بعد ذلك"راسل" وكذلك الوضعية المنطقية التي ظهرت أولا على يد "موريس شليك" وحمل لواءها بعد ذلك "أير"(A.J.Ayer) و"كارناب"(R.Carnabe)،إلا أن أشهر من عبرعن الاتجاه العام للفلسفة التحليلية المعاصرة هو"برتراند راسل" إذ أنه جمع في فلسفته أحدث التطورات الرياضية وآخر الكشوف العلمية الذرية، مما حدا بالمؤرخين أن يطلقوا على فلسفته اسم 'الفلسفة التحليلية أو الرياضية' وكذلك اسم 'الواقعية الذرية.

حيث أن الفلسفة التحليلية لا نجد لها تعريفا واحدا يكون جامعا لفلاسفتها، ولكن قد يكون من الأفضل أن نحدد الملامح الرئيسية للاتجاهات التحليلية ، وعلى أن نأخذها أنها تميز الفلسفة التحليلية ،التي قدمها "سيكوليموفسكي "،حيث يرى أن ما نسميه فلسفة تحليلية هو اسم يطلق على نوع من فلسفة القرن العشرون،ومن أهم خصائصها ما يلي:

1- اعترافها بدور اللغة الفعال في الفلسفة أو بمعنى أخر الاتجاه الشعوري المتزايد نحو اللغة .

[1]-- كامل محمد محمد عويضة ،برتراند راسل ،فيلسوف الأخلاق والسياسة ندار الكتب العلمية ،بيروت ط 1، ص 08.

2- اتجاهها إلى تفتيت المشكلات الفلسفية إلى أجزاء صغيرة لمعالجتها جزءا جزءا.

3- خاصيتها المعرفية حيث أنها تتجه نحو الكشف عن العالم الخارجي ،قصد كسب المعرفة ،وفحص العالم ، وتهدف أن تكون علمية.

4- المعالجة البين الذاتية لعملية التحليل، فهي تستخدم نوعا من التحليل له معناه المشترك بين الذوات بالنظر إلى اللغة التي يتحقق فيها، فهذه هي الخصائص التي تميز الفلسفة التحليلية ،فوجود هذه الخصائص في هيكل واحد هو ما يميز هذه الفلسفة[1].

وهكذا أراد "راسل " أن تكون فلسفته ذرية الجوهر وتحليلية الطابع نظرا لأن صفة التحليل ارتبطت في العلوم الفيزيائية بصفة العلوم الفيزيائية وكذا فكرة الذرية المنطقية ارتبطت في بدايتها بالرياضيات عند "راسل" بقوله :" إن نوع الفلسفة التي أود الدفاع عنها .... أسميها ذرية منطقية ، أحد الموضوعات التي فرضت نفسا عليا وأن بصدد التفكير في فلسفة الرياضيات، رغم أن الصعوبة بمكان أحدد بدقة مدى العلاقة المنطقية بينهما ".

ومنه ووفقا لهذه التبريرات ومع اهتمام (راسل) بالرياضيات قبل الفلسفة فأن منهجها التحليلي يمثل في مرحلته الأولى فلسفة ذرية منطقية ، ويمكن اعتباره المرحلة الأولى في الفلسفة الانجليزية المعاصرة،ولكن هل يمكن الاعتقاد أن فلسفة "راسل" الذرية مستوحاة من فكر "فيجشتاين "؟

ليس كما يعتقد البعض لأن ما قدمه"راسل" هو مستقل تماما عن "فيجشطاين " وأنها تعبر عما يعتقده في هذا العالم كما أن "راسل" لم يلتقي بتلميذه إلا بعد (1911) وأن كتاب "مبادئ الرياضيات" (1910) أشير فيه إلى الواقعة الذرية وربما عمق فكره بعد لقائه به ولما كان "برتراند راسل"في طليعة الذين قاموا بالتحليلات المنطقية وخاصة في مقدمته الطويلة لكتاب "لودفج فنجشطاين" رسالة في المنطق، الذي يعتبر بمثابة الإنجيل لأتباع الوضعية المنطقية ،فقد كتب عن "فنجشطاين" في (1951) عندما علم فقال :"لما التقيت لقاء التعارف بفجشطاين أخبرني أنه معتزم أن يكون مهندسا وذهب إلى "مانشستر" وهذا الهدف نصب عينيه،غير أنه خلال دراسته للهندسة أغرم

[1]-محمد مهران- فلسفة برتراند راسل –دار المعارف .مصر .د.ط- 1976 ص 12.16.18.

بالرياضة، ثم خلال دراسته للرياضة أغرم بأصول الرياضيات ،وسأل الناس في مانشستر ـ كما انبأني ـإن كان ثمة موضوع كهذا، وإذا كان قد تناوله بالدرس واحدا من العلماء، فأجابوه بأن مثل هذا الموضوع قائم ،وأنه يستطيع أن يزداد بالأمر علما إذا هو زارني في "كامبريدج"، وهكذا فعل، وأخذ في الدراسة معي وسرعان ما تقدم في المنطق الرياضي، ولم يلبث أن ألم بكل ما عندي من علم أستطيع تعليمه إياه، وأظنه لم يكن حينئذ يعرف "فريجيه" معرفة شخصية لكنه قرأه وأعجب به إعجابا شديدا، ولم أعد أراه بطبيعة الحال خلال الحرب العالمية الأولى لكنني تلقيت منه خطا بعد الهدنة بقليل، كتبه من "مونت كاسينو" أخبرني فيه أنه وقع في الأسر وكان معه ـ لحسن الحظـ مخطوطة الذي هو كتابه "رسالة في فلسفة المنطق" فاستخدمت كل ما أملك من قوة لأحمل الحكومة الايطالية على إطلاق سراحه من الأسر، ثم التقيت به في "لاهاي" حيث ناقشنا كتابه " رسالة في المنطق " سطرا سطرا..."[1] .

ثانيا :يقوم التفلسف العلمي عند "راسل" على غاية واحدة وواضحة في كتابه "الفلسفة بنظرة علمية " قائلا:"فالغاية التي يجب على الفلسفة أن تضعها نصب عينها وأن تحاول بلوغها عن وعي وعن عمد،هي أن تفهم العالم ما أمكنها من الفهم من سبيل"[2]، وأن هذا الفهم ليس فهم التجريبي لظاهرة طبيعية ما أو الفهم التأملي الخاص بالفلاسفة المثاليين، لكن ما يقصده "راسل" من هذا الفهم هو فهم الخطاب الذي يقوله العلماء والفلاسفة عن الإنسان والعالم .

ولحرص"راسل" على تمييز الفلسفة عن العلم، ولا يكون ذلك برأيه إلا إذا اتخذت موضوعا خاصا بها يختلف عن موضوع العلوم الطبيعية، وقيام الفلسفة العلمية عنه على خلفية فكرية ذات طابع منطقي ورياضي بقوله "فنوع الفلسفة التي أود الدفاع عنها والتي أسميها ذرية منطقية هي أحد الموضوعات التي فرضت نفسها علي وأنا بصدد التفكير في فلسفة الرياضيات "، وحيث يعتقد أن فهم اللغة يمكننا من

[1]- مصطفي غالب . برتراند راسل ،دار مكتبة الهلال،طبعة جديدة ،د ط ،1991، ص56.
[2] - برتراند راسل،الفلسفة بنظرة علمية : تلخيص وتقديم ،زكي محمود نجيب ،مكتبة الأنجلومصرية ،القاهرة ، 1960 .ص266.

فهم الواقع الذي تتحدث عنه، حيث يقول " ...أما من جهتي فإنني أعتقد بيقين أننا نستطيع الوصول جزئيا إلى معرفة بعض الحقائق عن بنية العالم عن طريق دراسة النحو"[1] فمن هذه العوامل فإن أفضل منهج للتفلسف العلمي هو منهج التحليل المنطقي حيث يؤدي المنطق دور حاسم لدرجة جعله المنطق جوهر الفلسفة، بأن يبين لنا ما هي المشكلات الحقيقية بقوله :"إما أن كانت المشكلة الفلسفية مشكلة حقيقية أم ليست، لا تكون مشكلة فلسفية على الإطلاق ..."[2]

حاول "راسل" أن يقرب بين الفلسفة والعلم ،مؤكدا أن إذا أوريد للفلسفة أن تحقق بالفعل تقدما ملموسا، فلابد لها أن تتخلى عن تلك الآمال العريضة في بناء نسق ميتافيزيقي متكامل، لكي تنصرف إلى دراسة بعض المسائل الجزئية"منطقية أو طبيعية" وفقا لمنهج علمي صارم، إنه يعترف أن الفلسفة قد تشبه الدين من حيث أنها تدرس طبيعة الكون وتحاول التعرف على مكانة الإنسان فيه، ولكنها أيضا تشبه العلم أيضا، من حيث أنها تحاول حل المشكلات التي تلتقي بها عن طريق المناهج العقلية الصرفة ،وعند حديثه عن العلم لا يقصد بها العلوم الطبيعية أو غيرها من العلوم التجريبية، بل هو يعني العلوم الصورية كالرياضيات والمنطق ، وفي أبحاثه أنشأ منهجا فلسفيا أضافه إلى ذخيرة المعرفة، وقد قال: "كل مشكلة فلسفية حقيقية هي مشكلة تحليل " وأيضا " مشاكل التحليل خير منهج هو أن ينطلق الإنسان من النتائج ويصل إلى مقدمات "[3]

وإن الفلسفة العلمية التي أرادها "راسل" ليست مجرد نظرة عقلية تصطنع المنهج الرياضي فحسب، بل هي أيضا جهد عقلي متواضع يرفض كل محاولة لبناء "نسق" فلسفي موحد، فالفلسفة التحليلية ترفض كل إقامة لمذهب ميتافيزيقي، نظرا لإيمانها بمعالجة المشكلات الفلسفية واحدة بعد الأخرى عن طريق اصطناع مناهج التحليل المنطقي، مما جعله يؤكد أنه لابد للفلسفة من أن تتقدم على طريقة "جاليليو" و"نيوتن" الفيزيائية في الاكتفاء بالوصول إلى نتائج جزئية تقبل التحقق، وهذا المنهج

[1]ـ الزاووي بغوره، مدخل جديد إلي فلسفة العلوم،دارالهدي عين مليلة ،دط،دت ص65.
[2]- الزاووي بغوره،المرجع السابق ص66.
[3] - ألان وود ، برتراند راسل في تطور فلسفة، سمير عبده، منشورات دار علاء الدين دمشق، الطبعة الأولي ،1994،ص35 .

قد يوصلنا إلى ضرب من التنسيق العلمي، وذلك حين تجيء الكشوف الجزئية فتتماسك وتتناسق فيما بينها، لتكوين نظاما متألقا من المعارف، فربط"راسل" للفلسفة والعلم تعبيرا عن تخوفه من كل"خرافة ميتافيزيقية " وثقته بقدرة العقل التحليلية وبإحلال النزعة العقلانية المنطقية بدلا من النزعات الأخرى الروحية والصوفية ....

ومن ناحية أخرى فإنه إذا نظرنا إلى فلسفته وجدناه يستخدم منهجا شكيا لمعالجة المشاكل الفلسفية المطروحة أمام الفكر، متسائلا هل هناك في هذا العالم أي معرفة يقينية لا يمكن لإنسان عاقل أن يشك فيها ؟

لكنه لا يستخدم الشك لغرض الشك، بل لديه وسيلة منهجية منظمة بالمعني الديكارتي، وأداة صالحة لمنهج التحليل المنطقي الذي يخضع له مذهبه العام واستخدامه للشك كتأكيد لامتحان الأسس التي تقوم عليها اعتقاداتنا والتي من خلالها يتبين أن كثيرا من القضايا التقليدية لا يمكن البرهنة على صدقها، ومن تم فإن استخدامه للشك المطلق الذي تنتفي معه إمكانية قيام أي معرفة[1].

وإن الفارق بين الفلسفة العلمية والفلسفة القديمة كما يتصورها يكمن في أن القديمة مستوحاة من بعض الأفكار الأخلاقية والدينية، أن الفلسفة العلمية لا تقبل فكرة الكون ككل من جهة ولا يكون محور تفكيرها هو مسألة الخير والشر من جهة ثانية، فتفسير الفلسفة القديمة لم يتجاوز هذان المفهومان، وهذا ما جعله يستبعد من مجال الفلسفة العلمية مسألة الوجود ومسألة التفاؤل والتشاؤم، وإذا أردنا للفلسفة أن تكون بحثا موضوعيا نستهدف من ورائه فهم العالم،لا مجرد العمل على تحسين الحياة الإنسانية، فلن يكون للمفاهيم الأخلاقية أي دور في مثل هذا البحث النظري الخالص، ولعل هذا ما جعل "راسل" يستبعد "الأخلاق "من دائرة البحث الفلسفي الصرف .

وإنه لا يوافق على اتخاذ بعض الاكتشافات العلمية "مقدمات "لأية نظرية علمية،ولكن هذا لا يمنعنا من الاستناد إلى بعض حقائق العلم من أجل تكذيب أية نظرية فلسفية تجوز على بعض الوقائع العلمية، أو تقحم نفسها بطريقة غير مشروعة على المجال العلمي نفسه، ويجب أن تكون أي قضية فلسفية واضحة (الوضوح) ومفصلة

[1] - ماهر عبد القادر، فلسفة التحليل المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص100.

(التفصيل) بحيث تجيء متسقة مع الحالة الراهنة للعلم، دون أن يكون في أي جزء من أجزائها ما قد يتعارض مع المعتقدات القائمة حاليا في مضمار العلم .

إن ما يمكن أن يعاب على "راسل" أن أقصى ما يستنتج أن الفلسفة في الغرب قد اختارت لنفسها طريقا معينا، مرتبطا بالعلم، ولكن هذا لم يمنع على الإطلاق تصور فلسفات أخرى تسير في طريق مغايرا، ترتبط بالأخلاق والسياسة، الدين والمجتمع ولكن تفرد الفلسفة الغربية بالارتباط بالعلم لا يعني أنها الجديرة بالاهتمام لا يمكن اعتباره مقياسا نحكم به على جميع الفلسفات، كما أنه كل من حضارة الشرق[1] والغرب نمت نموا مستقلا عن الأخرى، ولكن العرب اعتمدوا على اليونانيون والنهضة الأوربية أرسى قواعدها المسلمون، كما أنه أعلى من شأن الفلسفة النفعية الانجليزية، ومن شأن الفلاسفة الانجليز الرياضيين ك"توماس هوبز"مقارنة ب"بيكون" كما أنه تجاوز العداء الألماني وتحدث في حكمة الغرب "هيغل" و"نتشه" تلك لمحة عن جوانب التفكير لدى "راسل"وما يمكن الاعتراف بقيمة التحليل المنطقي الذي اصطنعه "راسل" في علاجه للكثير من المشكلات الفلسفية، ولو لم يكن لفيلسوفنا في مضمار الانجازات الفلسفية سوى ما حققه في فلسفة الرياضيات، لكان هذا كاف لتخليد اسمه في سجل عظماء القرن العشرين، ولكن"راسل" لم تقتصر جهوده على الرياضيات و المنطق بل أيضا المجتمع والسياسة والدين و الأخلاق ... وليس من شك أن كل واحد من هذه المواضيع يقبل المناقشة ولكن نلمح دوما ضربا من التقديس العجيب للحقيقة والموضوعية، حتى ليكاد المرء يعجب لهذا الموقف الديني أو الشبه ديني الذي لطالما اتخذه من العلم بوصفه العدو الأكبر للوهم والخرافة .

حيث أننا نجد نشاطه الفلسفي لم يتوقف عند هذا الحد، بل وقف أفكاره ونظرياته في سبيل الإنسان وحريته الاجتماعية والسياسية وإنقاذه من طغيان التقاليد وظلم الحكومات الموجودة في كافة العصور.

بحكم أنه أعتبر فيلسوف حر يرفض الأفكار المسبقة، وينبذ النزاعات المذهبية ويحتقر الخرافات، وإن كان منهج "راسل " هو يرمي إلى الاقتصاد في عملية

[1]- برتراند راسل، حكمة الغرب ، ترجمة فؤاد زكريا ، عالم المعرفة ،الجزء الأول،ديسمبر ،1983 ،ص 11 .

التفسير و الاهتمام بالمشكلات الصغيرة وتحويلها إلى المشكلات الكبيرة وتفتيتها إلى جزئيات صغيرة قصد بحثها واحدة تلوى الأخرى، مما يجعلنا نتساءل هل هذا الانقسام الفلسفي تعبيرا عن تمزق الإنسان المعاصر؟ وهل يجوز لنا أن ندين الفلسفة لأنها لم تستطع أن تحقق التفاهم بين العقول، برغم من إدعائها الدائم بأنها هي وحدها التي تخاطب العقول بموضوعية ونزاهة ؟ هل هذا أقوى مظاهر الإخفاق في الفلسفة ،أم هو أعظم مظاهر نجاحها ، حين تجد نفسها قادرة على التعبير بوضوح عن ذلك "الانقطاع "و"اللا تفاهم" الذي يميز حياتنا المعاصرة ؟ بين الأخذ والعطاء وبين المجتمع والفرد ؟ وبين الحرب والسلام والعنف والقوة والسلم؟

الفصل الثاني : الحرب كظاهرة إجتماعية

المبحث الأول : الحرب المفهوم والدوافع عند راسل

تعتبر الحرب ظاهرة إنسانية،وإن الصراع الدموي عملية ارتبطت بظهور البشرية، وهي إن كانت تعتبر من الويلات التي تصيب البشرية وحرمتها تشريعات الإنسان الوضعية، وقبلها الديانات السماوية،إلا أنها لم تحرم تحريما مطلقا،لأن ما حرم منها هي الحروب العدوانية فقط،أما "الحروب الدفاعية "فقد قيل عنها بأنها "استخدام مشروع للقوة "، كما أن الحروب تحرم تحريما مطلقا،فان مصائبها ليست مطلقة،إذ لا تخلو في نظر بعض المفكرين من أوجه وجوانب تؤدي في نتيجتها إلى فوائد للبشرية كالتقدم التقني والعلمي مثلا، كما أن العلاقات الدولية بين الدول لا تحدها القيم والمبادئ والمثل العليا، بل تحددها مصالح كل دولة مع الدول الأخرى... فالمصلحة هي النور الذي ينير طريق السلام المليء بألغام الحرب.

فالحرب إذن مجسدة للسلوك الإنساني وهي المحور الأساسي الذي من حوله تدور تكتيكات العمل السياسي بصورة مختلفة،ولقد وصف "غاستون بوتول " الحرب بأنها " أروع الظاهرات الاجتماعية بلا خلاف " في حين أن "دوركايم" "يرى التاريخ مفهوما على صورة ما، وأن الحرب هي التي ولدت التاريخ، والتاريخ بدأ في الواقع بكونه تاريخ المعارك المسلحة دون غيره، ولعله سيبقي دوما "تاريخ المعارك" حيث أن الحرب هي إبراز لمعالم التي يستند عليها التاريخ، وبالحروب كادت تزول كثير من الحضارات وبها كادت كل الحضارات الحديثة تشق طريقها، فالحرب هي العامل الأساسي الذي يؤدي دورا عظيما جدا في ضروب التقدم والتطور[1].

وإن كانت الحرب ظاهرة اجتماعية صاحبت البشرية منذ الخليقة، ولم يخلو عصر من العصور من أهوالها ومصائبها، وقد نكب العالم خلال الأعوام التسعة والعشرين التي انقضت منذ وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها بستين حربا، من بينها حروب اتسع نطاقها إلى درجة مفزعة، وحروب طال أمدها بالرغم من ضيق نطاقها، وحروب خاطفة بلغت أقصى درجات الشراسة والضراوة على الرغم من أنها لم تدم طويلا، وهذا ما يدل أن البشرية تواجه الحروب مرة كل خمسة أشهر على وجه التقريب،وغالبا ما ينجم عن ذلك كوارث إنسانية مروعة وخسائر جسيمة في الأرواح

[1] –محمد توهيل، علم الاجتماع السياسي ، دار المستقبل للنشر والتوزيع عمان ، الطبعة الاولي ، 1998 ص57 .

والأموال، فقد أثارت الحرب بوصفها ظاهرة مستمرة عبر التاريخ اهتمام وعناية الفلاسفة والمفكرين في جميع الأزمان، وفقد صدم هؤلاء وأولئك بما تثيره من الألأم والمحن والكوارث للمجتمعات الإنسانية التي تبتلى بها، فانصرف تفكيرهم إلى مشروعيتها والبحث عن الحلول التي تقلل منها أو تحظرها، ولكن المتتبع لأراء الفلاسفة يظهر اختلافهم حول الهدف منها، حيث اعتبرها المفكرين في العصور القديمة أنها وظيفة دائمة من وظائف الوجود الإنساني، وادعى البعض إنها ضرورية ونافعة وكما ادعى البعض إنها نظام الهي، إذ هي تجربة سامية تمر بها الشعوب[1] .

غير أن أغلبية المفكرين كان يشدهم الحنين إلى السلم ونبذ الحرب، من أمثال هؤلاء "شيشرون" و"بلاطو"، وكما أن الأديان السماوية وقفت مواقف متباينة منها فاليهودية مجدت الحرب وأباحتها ولم يضعوا القيود على ممارستها فقانونهم" السن بالسن"، وربهم هو رب الانتقام، في حين أن المسيحية تقوم في الأصل على فكرة السلام الخالصة، ومن تعاليمها الثابتة النهي عن القتل والتحذير منه، والأناجيل الأربعة مجمعة على أن من يقتل بالسيف يقتل ، والرب هو رب السلام والمحبة .[2]

كما أن الإسلام يرى أن الحرب ليست أصل العلاقات بين المسلمين وغيرهم والآيات القرآنية صريحة في ذلك، والأحاديث النبوية وأعمال الرسول تقطع بذلك والسلم هو أصل العلاقة بين المؤمنين وغيرهم لقوله تعالي "وأدخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان "[3]، وحرم الإسلام حروب التشفي والانتقام والإساءات الأدبية فقال "ولا يجرمنكم شنئان قوم إن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا"[4]،كما أنكر الإسلام حروب التخريب والتدمير وحروب الفتح والتوسع والاستعلاء فقال: " تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا "[5].

[1] - - محمد رفعت ، التعاون الدولي والسلام العام، دار الكتب الحديثة مصر دط، دت ص 9 .
[2] - محمد رفعت، مرجع سبق ذكره ، ص 27
[3] - سورة البقرة الآية208 .
[4] - سورة المائدة الآية 2 .
[5] - - سورة القصص الآية 38.

ويذهب بعض المفكرين إلى أن الأسباب التي تدفع الدول للحروب متعددة، ومتجددة، معقدة ولا يمكن فهمها على حقيقتها أو تحديد وبمعرفة أسباب ظواهر الحياة الإنسانية التي تفسر لنا دوافع القتال بين البشر، وبعلم الاجتماع الذي يفسر لنا طبيعة التجمعات الإنسانية وتطورها وما يكتنف تلك التجمعات من مظاهر التنافس الاقتصادي والسياسي، وبعلم التاريخ الذي يسجل لنا مراحل ظهور الدولة وتطورها ونشأة القوات المسلحة، وتطور أسلحتها، وما طرأ على ذلك من أسباب التقدم والنمو وتأثير ذلك على النظريات السياسية، وعلى حياة الإنسانية ذاتها [1].

إذا كانت أسباب الحروب متنوعة ومتجددة على هذا النحو فإن النظرة إلى الحروب من زواياها المتعددة، سواء من الوجهة الاجتماعية والسياسية والعسكرية، أو التاريخية، أو الفلسفية إنما يقدم انطباعات تختلف باختلاف زاوية الرؤية مما يستدعي إحاطة بالمواضيع من وجهته الخاصة، وإذا كان"راسل"عرف كواحد من أشهر فلاسفة القرن العشرين وتوج كأهم أعلام المنطق منذ العصر الإغريقي، فإن حضوره لم يكن مقتصرا على ساحات العلم والبحث التنظيري، إلى جانب أثره الكبير في هذه الجوانب العلمية والفكرية، أصبح كذلك له شخصيته المؤثرة التي لها صوتها الخاص واللافت والمثير للجدل على الساحة العالمية في قضايا اجتماعية وسياسية، إضافة إلى جانبه النضالي كمنخرط في العمل السياسي والاجتماعي ومناصرا للقضايا التقدمية والتحررية وفي مقدمتها السلام ولكن لا سلام إلا بوجود حروب وقضاياه النضالية إزاء الحرب العالمية مما كان سببا لاعتقاله مرتين(1918) بسبب دفاعه عن السلم ومعارضته الحرب العالمية الأولى وإطلاقه لتصريحات تضر العلاقات الأمريكية والبريطانية (1961) محرضا على العصيان المدني في حملة ضد تخصيب اليورانيوم وهذا ما جعل اليأس يمتلكه من الحرب وخوفه على الجنس البشري بقوله "الحب وحب المعرفة بما أمكنني ارتفعا بي إلى السماء ولكن الحسرة على الإنسان ردتني إلى الأرض، كم رغبت في تحقيق الشر فلم انجح ولذا عانيت".

[1]- محمد رفعت، المرجع السابق الذكر، ص 74.

إذا كانت محاور الحرب والسلام تمثل محورا آخرا من محاور فلسفة "راسل" السياسية، ويمكننا القول دون مبالغة أهم محاور فكره السياسي على الإطلاق لا من خلال مدى الاهتمام الذي أولاه لقضية السلام في فكره ونضاله العلمي فحسب، بل بالقياس إلى أهمية قضية السلام بالنسبة لقضايا عالمنا المعاصر فقد قاده وعيه الفلسفي ونظرته المتعمقة إلى جذور الحرب وأسبابها،والبحث عن دوافعها قصد البحث عن أسباب ووسائل تحقيق السلام كما يتصورها .

يعتبر "راسل"" الحرب هي صراع بين مجموعتين تحاول كل فيها أن تقضي علي أكبر عدد من المجموعة الأخرى أو إصابتها بالعجز- بقصد تحقيق هدف معين ترغب في تحقيق وعادة ما يكون هذا الهدف هو القوة أو الثروة "[1]، حيث أن علاقات الأفراد تؤكدها الحرب من خلال صراع بين قبيلتين في الماضي تستأصل إحداهما الثانية وتضم إقليمها، فالقتل ليس مكلفا ولكن المتعة في الإثارة، ولكن الغريب هو استمرار الحروب، مع تغير الأسلوب فالقتل أصبح مكلفا جدا مثلا فالحرب العالمية الثانية مع الألمان لم تكن فيها منافع بل مساوئها أكثر من منافعها، لكان الإنسان أكثر ثراء لو لم تقعا هذان الحربين .

إن ملاحظتنا لهذا التعريف تجعلنا نضع بعض التحفظ من الناحية القانونية أو السياسية، حيث تتجلى لأول وهلة أن الحرب بنظره مجرد وسيلة لقتل أكبر عدد ممكن من الأفراد الفريق الآخر، ولكن ما يرفع التحفظ وهو عودتنا إلى منهج "راسل" تحليله لظاهرة الحروب وذلك نظرا لما يمكننا توضيحه من خلال تحليله لأسباب الحرب بتحليله لها بطابع سيكولوجي من خلال ربطه هذه الظاهرة بدوافع السلوك الإنساني بشكل عام و وبغريزة القطيع التي أخذت شكلها المعاصر بما يسمى بالقومية ، إذ يمكن التنبيه إلى أن الهدف النهائي للحرب هو تحقيق مصلحة معينة تستهدف المتحاربون تحقيقها، إذا قد نتصور إن هذه المصلحة لأول وهلة هي الدافع الوحيد للحرب، في حين أن الحقيقة بعيدة كل البعد عن ذلك.

[1]- كامل محمد محمد عويضة ، برتراند راسل فيلسوف الأخلاق والسياسة ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ص 75 .

إذ أن هناك أسبابا دفينة في وجدان الإنسان، وهي ما يطلق عليه "راسل" دوافع الحرب، وإن ما يرغب الفرقاء المتحاربين في تحقيقه فما هو في حقيقة الأمر إلا محركات عارضة لهذه الدوافع الدفينة، بدليل ذلك هو أنه لو كانت الأهداف المأمولة هي المحرك الوحيد لقيام الحرب ما لكانت الأدلة المنطقية وحدها الكفيلة بمنع قيام الحرب إن لم يكن جميع الحروب التي عرفها البشر، فالتحليل المنطقي يبين أن الحروب التي تبغي تحقيق مكاسب اقتصادية يترتب عليها من ناحية المخالصة المحاسبية الخالصة من المغارم أضعاف ما يمكن أن تجنيه من المغانم، ومنه فإن القرار الاقتصادي الرشيد المتعلق بما يتمثل من الناحية المنطقية في أنها مشروع اقتصادي خاسر، ولكن رغم ذلك فإن البشر يقومون بهذا المشروع الخاسر بكل فخر واعتزاز، ذلك أن الحقيقة النهائية لا تتمثل في رأي "راسل" على سبب اقتصادي أو سياسي، كما أن دوامها ليس راجعا إلى صعوبة ابتداع الوسائل الكفيلة بتسوية المنازعات الدولية سلميا، إذن الحقيقة في النهاية تتمثل في أن الحرب تنشب لأن جانبا كبيرا من البشر لديهم من دوافع العدوان أكثر مما لديهم من دافع الائتلاف.

إذ يؤكد أن الأنظمة الاستبدادية هي الأكثر رغبة في إشعال فتيل الحرب ونارها وإن كانت الديمقراطية أقل من ذلك ولا تقف على الحرب بصورة مطلقة، ويرجع "راسل" أسباب ذلك أن أصحاب المناصب والسياسة يحبذون وحدهم ثمار الحرب ولكن عبئها لا يتحمله إلا الرجل العادي، فمن المنطقي أن يعرف الرجل العادي عن الحرب أكثر مما يعرف عنها رجل السياسة،وإن ما يحرك رجال السياسة هو شهوة القوة، وهذه الشهوة تدفع إلى اندلاع الحرب، و لا تحرك العاديين من الناس بقدر ما تسيطر علي رجال السياسة والسلطان[1] .

الحرب إذن ليست في رأيه نتيجة لأسبابها المباشرة اقتصادية أو سياسية قدر ما هي نتيجة للدوافع البشرية فما المقصود بالدوافع المهمة في السياسية ؟ وما دوافع الحرب وكيف تؤدي إليها في رأيه ؟

[1] - رمسيس عوض، برتراند راسل المفكر السياسي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1966، ص 100.

يرى "راسل" أنه يكمن النظر إلى حياة الأفراد من عدة وجهات نظر مختلفة يتسنى لنا النظر إليه من الناحية البيولوجية ومن خلال أنه نوع من الثدييات بمحاولة تأقلمه مع الطبيعة في شتى الظروف، ويدين الإنسان في نجاحه إلى أشياء تميزه عن الحيوانات كاللغة والنار، الزراعة، الكتابة والأدوات ولكنه مليء بالنزاعات والانفعالات كالحيوانات، وبحكم ملكة الذكاء أدرك أن الانفعالات تكون عاملا لإخفاقه ويمكن إشباع رغباته بصورة أتم وهذا ما جعله يقسم الأفراد إلى أصدقاء و أعداء وهو مفيد لأولئك المنتصرين في الحرب، واستدل بصراع الرجل الأبيض مع الهنود الحمر بقوله:"إن الآدميين ينفعلون وهم أيضا عنيدون وبهم مس من الجنون، وهم بجنونهم يتسببون لأنفسهم ولغيرهم، في كوارث قد تكون ما حققه، ولكن بالرغم من أن حياة الاندفاع خطرة، إلا أنه يجب المحافظة عليها إذا أريد للوجود الإنساني ألا يفقد نكهته، وعن طريق هذا الصراع، الذي يجري في أعماق طبيعة الإنسان تنبعث حاجته للأخلاق[1] .

عمد" راسل" إلى تحليل السلوك البشري بوجه عام، وخلص إلى أن كل وجوه النشاط الإنساني تنبع من الرغبات والدوافع، حيث أن الإنسان أكثر تعقيدا في نزعاته ورغباته، إذ أن طبيعته تترنح بين الاجتماعية والفردية، فهو ليس اجتماعيا تماما كالنمل والنحل، ولا انفرادي كالأسود والنمور، إذن هو حيوان شبه اجتماعي، بعض نزعاته ورغباته اجتماعي وبعضها انفرادي، ويستند "راسل" في ذلك على مثال واقعي ألا وهو أن الناس الذين يعيشون في مناطق مزدحمة مثل لندن ينمو لديهم جهاز دفاعي من السلوك الاجتماعي لحمايتهم من المغالاة في الاتصالات الآدمية غير المرغوب فيها، فيرى الناس الذين يجلسون بجانب بعضهم البعض في سيارة عامة من الضواحي لا يتحدثون إلى بعضهم البعض عادة، لكن إن حدث حادث مثير مثل غارة جوية ... يحس الغرباء أنهم أصدقاء وهذا يصور لنا التذبذب بين الجانبين الاجتماعي والفردي في الطبيعة البشرية، ولأننا لسنا اجتماعيين فنحن بحاجة إلى الأخلاق لتوحي لنا

[1] - برتراند راسل ، المجتمع البشري في الأخلاق و السياسة ، ترجمة عبد الكريم أحمد المكتبة الأنجلومصرية ، القاهرة، دط ، دت، ص 09 .

بالأهداف وإلى قواعد أخلاقية لتفرض علينا قواعد التصرف، فالنمل ليس بحاجة إلى مثل هذا، فهو يتصرف دائما بما تمليه عليه مصلحة الجماعة .

يرى "راسل" إن الحكمة تتطلب دراسة علمية للطبيعة البشرية في المجتمع يتعلق بتصرفات الجماعات الاجتماعية، وأن نكون واضحين بما يتعلق بأهمية الدوافع التي تتحكم في سلوك الأفراد والجماعات، وقسم الرغبات المهمة سياسيا إلى مجموعتين : أساسية وثانوية، ففي المجموعة الأساسية ضروريات الحياة من المأكل والملبس والمأوى، لما تصبح هذه الضروريات مما يصعب الحصول عليه يستعملون كل السبل منها العنف، وما يدل على ذلك انتشار القبائل الجرمانية من جنوب أسيا إلى انجلترا ثم إلى "سان فرانسيسكو" كانت دوافعه مماثلة، ولكن رغبات الإنسان لا تنتهي ولم يعد الجوع دافعا، بل أربع رغبات تحث على النشاط والعمل وهي "حب التملك" "التنافس " "الخيلاء" " حب القوة " [1].

ويقصد بحب التملك الرغبة في حصول و حيازة أكبر قدر من المتاع أو الحق في متاع ودافع ذلك هو في الأصل يرجع إلى عامل مشترك بين الخوف والرغبة في الضروريات، وبالتحليل النفسي لا ننكر أن "حب التملك" هو أهم وأكبر الدوافع وبالخصوص لدى الناس الأكثر قوة،ولأنه أحد الدوافع اللانهائية، فمهما كان الذي حصل عليه الإنسان فإنه دائما يرغب في الأكثر، إذ أنه الباعث الأساسي في النظام الرأسمالي، ولكن "حب التملك" ليس بأي حال أقوى الدوافع بعد إشباع الجوع بل التنافس أقوى منه بكثير، والتاريخ يؤكد ذلك مثلا التنافس الذي امتلك تاريخ المسلمين وسلاطينهم، وكانت نتائج ذلك حروبا أهلية عم على أثارها الدمار، وما عرفته أوربا الحديثة، ويظهر "راسل" تفاؤليته حول العالم لو كان حب التملك أقوى من التنافس ولكن ما يحدث إن كثير من الناس يقبلون الحرمان بسرور إذا استطاعوا أن يقضوا على منافسيهم تماما.

أما الخيلاء فهي دافع له إمكانيات هائلة، وهذا ما تؤكده طبيعة الطفل الصغير الذي لا ينقطع عن القيام بحركات غريبة لا تنتهي، يكفي القول: "انظر إلى" قصد

[1]- برتراند راسل ، المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة ،المصدر السابق ، ص 142.

إظهار الرغبات البشرية، التي تسعى إلى الشهرة بعد الموت وهذا ما ينطبق على رجال السياسة و الأدب، ومن صعوبات الخيلاء أنها تنمو على ما تتغذى به، فكلما زاد حديث الناس عنك زادت رغبتك في حديثهم عنك.

ومهما كانت أهمية هذه الدوافع فهناك دافع أقوى وهو "حب القوة " ويتصل بدافع الخيلاء اتصالا وثيقا، ولكنهما ليس نفس الشيء، حيث أن المجد هو ما تحتاجه الخيلاء لإشباعه، ومن الممكن الحصول على المجد دون قوة، فعلى الرغم من التحالف الموجود بين نزعتي القوة والمجد، إلا أنهما لا تكونان رغبة واحدة أو رغبتين متشابهتين، وهذا ما نؤكد عليه بأن ملك انجلترا يحض بالمجد أكثر من رئيس الوزراء ولكن رئيس الوزراء أكثر قوة من الملك، ولكن أكثر الناس برأيه يفضلون المجد على القوة[1] ويرى فيهم "راسل" أنهم لا يؤثرون في مجريات الحياة شيئا، ويزيد دافع القوة لدى أولئك الذين جربوها، ولا يرفض حب القوة لأن فيها بعض الايجابيات، فالباعث الأساسي للمعرفة هو"حب القوة" وألوان التقدم العلمي في الأساليب الفنية وفي السياسة كذلك، على رجل السياسة أن يتمتع بحافز حب القوة، ويشاهد حب القوة في أنقى صوره الممكنة في أنماط مختلفة من الرجال كالجندي المغامر، و"نابليون" الذي بلغ من العظمة بانتمائه إلى فرنسا وليس لإمبراطورية أخرى .

أما الدوافع غير الأساسية بالنسبة إلى "راسل" في السياسة " أولها هو "حب الإثارة" أما محاولة تحديد السبب الأصلي لها قد مال إلي تحديد ذلك بأن الجهاز العقلي مكيف تبعا للمرحلة التي مر بها الإنسان ففي مرحلة الصيد لم يوجد الضجر، أما مع مرحلة الزراعة التي كانت تقوم فيه المرأة بكل الأعمال، أصبح لديه وقت للتكفير في فراغ الحياة، ولابتكار الخرافات والنظم الفلسفية، فجهازنا العقلي يلائم حياة من العمل الشاق البالغ القسوة، واستشهد "راسل" بقضائه اليوم في صغره بالمشي خمسة وعشرون ميلا،وعندما يأتي المساء لم تكن في حاجة إلى شيء من الضجر وللمحافظة على الجنس البشري لابد من إيجاد وسائل أخرى لتهيئة متنفس بريء للطاقة البدنية

[1]- برتراند راسل، السلطان (أراء جديدة في الفلسفة والاجتماع)، ترجمة خيري حماد، منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، دط، دت .ص12 .

غير المستعملة التي تنتج عن حب الإثارة، وخطورة الإثارة تتعدد، فتكون مدمرة عندما تأخذ صور العنف، وعندما تؤدي إلى الحرب، فالإثارة حاجة متأصلة إلى درجة أنها تجد لنفسها متنفسات ضارة من هذا النوع، إلا إذا وجدت متنفسات بريئة ولكن بجدية يجب بذل المجهود لتهيئة متنفسات بناءة لحب الإثارة، والشيء الأكثر إثارة في العالم هو لحظات الاكتشاف و الاختراع المفاجئ .

كما أنه يوجد انفعالان يميل لهما الإنسان، وهما وثيقا الارتباط الخوف والحقد ويتدخلان مع عدة دوافع سياسية أخرى، ومن الطبيعي أن نكره ما نخاف منه، وما يحدث، وأننا نخاف مما نكرهه، واستند "راسل" على البدائيين الذين كانوا يكرهون ويخافون كل ما لم يألفوه، فهم أعضاء في قطيعهم، والجميع داخل القطيع أصدقاء والقطعان الأخرى أعداء فعلا أو عدوانهم أمر محتمل، ولمواجهة الخوف لابد لنا من تقليل الخطر الخارجي، والتحلي بجلد الرواقيين، ويمكن تدعيم الطريقة الثانية بتحويل أفكارنا عن مصدر الخطر إلا إذا كان الأمر يتطلب يتصور فوريا ، والانتصار على الخوف أمر مهم، فالخوف يحط من قدر الإنسان ، ويتسلط به، مما ينتج عنه حقد نحو الشيء الذي يخاف منه المرء مما يؤدي إلى المغالاة في القسوة، فلابد من إنشاء نظام دولي يقضي علي الخوف من الحروب، ويخيم الخوف على البشرية بسبب القنبلة الذرية والبكتريولوجية التي هي في يد الشيوعيين والرأسماليين.

ويحاول "راسل" أن يقدم لنا أسباب كرهه للشيوعيين بأنهم يحاولون الاستيلاء على ممتلكتنا،بيد أن اللصوص يحاولون ذلك، ولكن لا يوحون إلينا بنفس الخوف ونكرهم لأنهم لا دينيون، ولكن حتى الصينيين لا دينيون، ونكرهم لأنهم لا يؤمنون بالديمقراطية، ولكن لا يرى في ذلك سببا يدعو إلى الكراهية، نحن نكرههم لأنهم لا يسمحون بالحرية، وواضح أنه ليس من بين هذه الأسباب ما يعتبر حقيقا لهذه الكراهية من جانبنا إننا نكرههم لأننا نخشاهم وهم يهددوننا[1].

يمكننا أن نستنتج أن السياسة تتعلق بالقطعان لا بالأفراد، والانفعالات المهمة في السياسة، هي تلك التي يستطيع أفراد مختلفون من قطيع بذاته أن يشعروا بها معا

[1] -برتراند راسل، المجتمع البشري بين الأخلاق والسياسة ، مرجع سبق ذكره ، ص151 .

والجهاز الغريزي الذي لا بد أن تبني عليه دعائم السياسة هو جهاز مكون من التعاون داخل القطيع والعداء نحو القطعان الأخرى، وفيما يتعلق بالعلاقات بين القطعان الأخرى، نتج عن الأساليب الفنية الحديثة صراع بين المصلحة الذاتية والغريزة .

أما عن دوافع الحرب عند "راسل" فإن الحرب في نظره ليست نتيجة لأسبابها المباشرة الاقتصادية والسياسية قدر ما هي نتيجة لدوافع بشرية، خلص "راسل" إلى أن كل وجوه النشاط البشري تنبع من الدوافع والرغبات، وبكل بساطة ندرك أهمية الدوافع في حياتنا، فعندها يشتهي الإنسان شيئا ما ويتصور أنه سيجلب له السعادة لو كان قريبا أو بعيدا، وآيا كانت الوسائل المؤدية إليه إذ أن الراغبات لا تتحكم إلا في جانب محدود من مظاهر سلوكنا ونشاطنا وهو الجانب الواعي المتحضر، أما الجانب الغريزي من حياتنا فتحكمه الدوافع التي تدفعنا للقيام بنشاطات معينة كافية في حد ذاتها.

فالفرق بين النزعة والرغبة، يكون التصرف وليد نزعة عندما يقوم به الإنسان دون هدف شعوري، ويكمن ذلك في الأفعال المنعكسة، والانفعالات التي لا يتحكم فيها الإنسان (الغضب)، فالرغبات الواعية هي تفكير في وضع مرغوب فيه ثم تبحث عن وسيلة لتحقيق هذا الوضع المرغوب، وبانتصار الرغبات الواعية تتحكم في النزعات حيث أن النزعات تدفع إلى تصرفات غير حكيمة من وجهة الرغبة الواعية ، فكلما كانت النزعات قوية يكون التحكم فيها مؤلما، يرفض "راسل" التحكم في الرغبات أكثر من الحد المعقول يفقدها نكهتها،وتصبح خاوية دون بهجة، فحين يجب التحكم في النزعات المتطرفة "النزعة نحو القتل"، إما بواسطة الفرد أو القانون، فيجب أن يسمح للنزعة بنطاق واسع في الحياة البشرية، وقد أستغل الذكاء في التحكم في النزعة لصالح الرغبة الواعية[1].

إن الكثير من أفعالنا في الواقع هي دوافع دون أن نفطن إلى ذلك وأن الذين يتصورون الإنسان كائن عاقل قد غفلوا عن جانب كبير من الحقيقة، فالإنسان في كثير من حالاته حيوان غير عاقل، إذ العقل ليس وحده هو الذي يحركنا في مواقف كثيرة

[1] - برتراند راسل، المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، مصدر سابق، ص156.

فإذا أحدنا وجد نفسه مدفوعا إلى المباهاة في ظروف معينة كان العقل فيها يدعوه إلى عكس ذلك حتى يجنب نفسه امتغاص الآخرين وضيقهم، غير أن هذا لا يعني أن نعمل على قمعها بل إن قمع دوافعنا هو من أخطر الأمور.

ونلمس التقارب بين "راسل " و"فرو يد " عندما تكون لدينا دوافع ولا نطلق لها العنان لها، سوف تبحث عن متنفس آخر فتطفو على الشعور في شكل رغبة في القيام بنشاط معين من شأنه أن يحقق لنا في النهاية إشباعا بدلا من الإشباع الذي كان يستهدفه الدافع الأصلي، وبطبيعة الحال فإن النشاط الأخير قد يكون من تلك النشاطات التي ترتب نتائج ضارة، وهذه الحالة ينشأ صراع بين الدافع الأصلي الذي هو المصدر الحقيقي لرغباتنا في القيام بهذا النشاط، وبين بصيرتنا مما قد يدفعنا إل محاولة خداع أنفسنا والتهوين من شأن الأضرار التي سوف تترتب على نشاطنا المستهدف فمعظم سلوكياتنا هي من هذا القبيل، فالذي يحركنا هو رغباتنا وأهدافنا المباشرة فحسب ،فهذه الرغبات ما هي إلا ستار يخفي دوافعنا الدفينة، ولكن لا نعتقد أن كل دوافعنا تتحول إلي رغبات ذات نتائج ضارة، هي تتحول أحيانا إلى سلوك مثمر وبناء، وأبرز الأمثلة على نتائجها الحميدة هي الأعمال الفنية والأدبية، ومن ثم فإن الذي ينبغي أن نستهدفه في رأي"راسل" ليس إضعاف الدوافع أو القضاء عليها، بل هو توجيهها التوجيه الصحيح وما يدعو إليه بعض الأخلاقيين يعتبره "راسل" نظرية وهمية تماما يتقدم بها هؤلاء مقتضاها أن الإنسان يستطيع أن يقاوم الرغبة في سبيل الواجب والمبادئ الأخلاقية وهذا وهم، ليس لأنه لا يوجد رجال يعملون بوحي الواجب، بل لأن الواجب لا يؤثر في صاحبه إلا إذا رغب فيه، لمعرفة الناس لا تكتفي بمعرفة ظروفهم المادية بل عليك معرفة نظام رغباتهم وقوة كل رغبة عن الأخرى، وإن ما يدعو إليه بعض الدعاة الأخلاقيين من القمع التام للدوافع لا يقل شرا عن إطلاق العنان لها في مسار غير صحيح، فلئن كانت الدوافع العمياء هي مصدر النزوع إلى الكراهية والحرب، فإن الدوافع المشرقة هي مصدر العلم والفن والحب [1].

[1] - برتراند راسل ، المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، المصدر السابق، ص 142.

إن أسوء المجتمعات هي التي تعمل على إرغام الناس لقبول نمط واحد مضطرد من الحياة التي لا تجد متنفسها الخاص ومن ثم تتحول حياتهم إلى حياة خاوية تغيب فيها كل مظاهر الخصوبة من أهمها المجتمعات الصناعية والعسكرية الصارمة، حيث لا يحظى هذا السلطان من رعاياه بأكثر من مجرد الإذعان الناتج عن الخوف لا عن رغبة في التعاون[1].

يتفق "راسل" مع الفوضويين والاشتراكيين أن أسباب الحروب الحديثة هي رأسمالية، وأنها ستزول إذا زال النظام الرأسمالي، يرى نصفه حقيقي والحقيقي منه مهم، إلا أن النصف الأخر غير حقيقي، عندما يساويه في الأهمية عندما يكون إعادة بناء المجتمع من أساسه موضع بحث .

ويشير إلى أن عوامل رأسمالية معينة تعمل على إشعال الحرب وهم محقون في ذلك، وأول هذه العوامل هو ما يتطلبه المال من إيجاد حقول جديدة لاستثمار في البلاد المتخلفة، وحاول "راسل" أن يقدم هذه الوجهة من النظر وفقا للأساس الاقتصادي وهو المحرك الرئيسي الذي يوجه كل توسع امبريالي حديث، هو ضغط الرأسمالية في بحث الأسواق قصد الاستثمار وأسواق فائض من إنتاج الصناعات المحلية ،ويزداد الضغط عندما يشتد تركيز رأس المال، وحينما يسود نظام الحماية الصارمة ، وهذا ما يتطلب أسواق أجنبية ومحمية.

والسبيل الوحيد هو توسيع نطاق السيطرة السياسية، وهذا ما أحدثه السياسة الأمريكية الخارجية وكما بدت الحرب الاسبانية، وفي ضم الفلبين، ولاعتبار جنوب أمريكا سوقا مفضلة لاستثمار الأرباح، إذا تم إدخالها في إتحاد جمركي تحت السيادة الأمريكية، مما يؤدي بأقطاب المال الذين يتحكمون في مصائر السياسة الأمريكية إلى الضغط الدبلوماسي والقوات المسلحة، وإلى الاستيلاء على الأقاليم لتحقيق السيطرة، لو حلت اتحادات تتصف بطابع التعاون تذهب فيها الأرباح إما إلى العمال في شكل أجور أو إلى جماعات كبيرة من المستثمرين في صورة أرباح لأسهمهم محل المنافسة مما

[1]- برتراند راسل، السلطان، مرجع سبق ذكره ، ص39.

يؤدي إلى الزيادة في طلب الأسواق المحلية إلى حد يتطلب استخدام جميع القوى المنتجة لرأس المال المركز.

ولما كان هناك كتل من الأرباح يضاعف نفسها وتعبر عن وجودها في صورة ائتمان جديد يتطلب استثمارا في الخارج، إن أرباح الاحتكار التي تجنيها الاتحادات من عمليات الإنشاء والعمليات المالية والصناعية، هي التي تكون ذلك الوفر المتجمع من ائتمان يضاعف نفسه، وحيازة الممولين لهذا الائتمان تؤدي إلى تحديد الطلب على البضائع وبالتالي إلى الحد من استخدام رأس المال في الصناعات الأمريكية، ويمكن تخفيف حدة الحالة بتنشيط التجارة الخارجية مع رفع التعريفة الجمركية تمنع التدخل في الاحتكار القائم في الأسواق المحلية،و من الصعب جدا على موثقات تكيفت حسب مقتضيات سوق محلية مقيدة مربحة أن تعدل من وسائلها بتعديل وسائلها باتفاق مع منافسة حرة في سوق عالمية على أساس حركة تجارية مستمرة تحقق أرباحا، وهذا لا يصلح إلا لموثقات معينة، فعقدة النظام الرأسمالي هي العقدة الحاجة المتزايدة إلى حقول جديدة لاستثمار الأرباح، ويلجأ رجال المال إلى قوة الصحافة للحصول على تأييد الرأي العام [1].

العامل الثاني هو الصحافة التي هي مصدر الحرب الحديثة، حيث أن إصدار جريدة كبرى يتطلب رأسمال ضخم، وملاك الصحف هم من الرأسماليين، ويحددون الأخبار التي يسمح بقراءتها، ولا يسمح إلا بما يثير العواطف ويخفوا العكس، فجمهور السكان بالصحف يكره ويحب بلد ما ويستدل "راسل" على السياسة الخارجية التي مارستها "انجلترا" مع روسيا حين العداء، وحالما تغيرت السياسة اختفت المواضيع من الصحف، وأضحى سماع سيئات الألمان، مع اختفاء قدرة النقد لدى الناس فسوف يبقون يقفون موقف الحذر إلى حين ذلك.

يبين "راسل " أهمية هذان العاملين في إثارة الحروب فيتفق مع نقاد الرأسمالية مع تغافلهم عن عامل يعتبر أساسي ولم يولوه أهمية كبري هو "نزعة حب القتال " التي تنمو عند رجال الذين لديهم عادة إصدار الأوامر مما يضاعف المجال لحوافز السلطان

[1] - برتراند راسل،سبل الحرية ، ترجمة عبد الكريم أحمد ، وزارة التربية والتعليم مصر، دط ، دت ص 148.149 .

عند الجريئين من الرجال[1]، مادام المجتمع الرأسمالي موجودا ستكون السلطة في يد رجال المال بتوليهم مراكز عظمي، وتعودهم على الطاعة، ومؤيدهم رجال في مراكز حكومية وإدارية كبيرة، مما يكون لديهم روح الاستبداد عن طريق إعطاء الأوامر ومما يؤدي إلى غضب الرجل الذي تعود الطاعة عند المعارضة،مما يجعل اقتناع غريزي أن المعارضة شر ويجب سحقها، ومن لديه أكبر قدر من السلطة يميلون إلى القتال وهذه مساوئ التي تلازم تركيز السلطة، ولا سبيل إلى علاجها إلا بإلغاء الرأسمالية شرط أن يكون النظام الجديد لا يسمح إلا بقدر من السلطة لأشخاص فرادى أقل مما هو عليه الحال الآن، فيجب الحد من سلطة الدولة إذن تركيز السلطة ليس سببا في زيادة خطر الحرب، بل الحرب والخوف من وقوعها يجعلان تركيز السلطة أمر ضروري، فوجود أشخاص تعودوا السلطة يزيد من خطر الحرب، وخطرها يجعل استحالة إقامة نظام لا يملك فيه أي شخص بمفرده سلطة واسعة، وطالما أن هناك خطر فإن حربا وشيكة الوقوع فيستحيل تجنب سلطة الدولة، وإن الحرب هي التي أنجبت سلطان الدولة الحديثة المفرط[2].

هل يمكن إلغاء الرأسمالية حتى نتجنب الحرب ؟ يرد" راسل " على التساؤل بالرفض إذ أن الفوضويين والاشتراكيين ألغوا الغرائز الأساسية في الطبيعة البشرية مما جعل التساؤل عن الحروب قبل وجود الرأسمالية إذ كانت موجودة أو لا؟، والقتال أمر عادي بين الحيوانات، ودور الصحافة في الضرب على الأوتار الحساسة لغرائز الإنسان، من طبعه القتال والمنافسة والاقتناء، وما تقدمه الصحف يجد صداه في غرائزه، وان يجدوا لطبيعتهم إشباعا معينا في نضالهم.

لم ينكر "راسل " الدور الذي تؤديه الرأسمالية في إثارة الحروب، واحتمال أن تكون أقل تدميرا لو ألغيت الملكية الخاصة، فإلغاء الملكية الخاصة ورأس المال خطورة ضرورية نحو عالم مستقر يعيش أفراده في سلام، هذه الخطوة ضرورية ولكن لا تكفي وحدها بل توجد أسباب أخرى تؤدي إلى الحرب أبعد غورا في أعماق الطبيعة

[1] - برتراند راسل، السلطان، مرجع سبق ذكره ، ص 16 .
[2] - رمسيس عوض، برتراند راسل المفكر السياسي، مرجع سبق ذكره ،ص111.

البشرية من أسباب التي قدمتها الاشتراكية، ويستدل"راسل" أن كراهية سكان أستراليا وكاليفورنيا كراهية للشعوب الصفراء، أهمها المنافسة في العمل، وحقد غريزي أساسه اختلاف الجنس، يمكن التغلب على صعوبة المنافسة لو لم توجد تلك الكراهية العنصرية .

إذ أن الطبيعة البشرية، كما هي عند النساء والرجال والبالغين، ليست ثابتة، بل هي وليدة ظروف وتربية وفرص تترك أثرها في فطرة ذاتية قابلة للتغير بسهولة، يرى "راسل "أن جميع الدوافع التي تدفع إلى الحرب يمكن ردها لأصل غريزي واحد هو "تأكيد الذات" في مواجهة الآخرين،ويمكن تفريع هذا الأصل إلى مجموعة من الدوافع أهمها تأكيد الذات من خلال دافع العدوان على الآخرين أو رد العدوان، أو تأكيدها من خلال حركة متجددة التي تكسر رتابة الحياة المألوف.

1ـ تأكيد الذات من خلال دافع العدوان ورد العدوان : يؤكد "راسل" أن محاولة تأكيد الذات من خلال العدوان على الآخرين هو من أهم الدوافع التي أدت إلى الحرب في مراحل تاريخية مختلفة "فهو يقف موقف الصداقة والتعاون داخل قبيلته ويناصب العداوة ما عداها من القبائل، كما يؤدي إلى اصطدام قبيلة نامية ممتدة بقبيلة مجاورة والنصر حليف المجموعة المتفوقة"، ومن العقائد ما يعد تعبيرا صريحا ومباشرا عما تحمله جماعات معينة من النزوع على العدوان على الآخرين، وأن النوازع الشريرة مسؤولة في إلحاق الأذى بالجنس البشري، فالدين مسؤول عن مظاهر القسوة في هذا العالم، وخاصة إذا اتخذ صورة قهر البدن كما يتجلى في المسيحية[1]، ومن أبرز الأمثلة ما يؤكد الاعتقاد بالتفوق لجماعة التي ينتمي إليها شخص ما، بأن جماعته تمثل أنها شعب الله المختار، وهذا ما يبرر أنها الجديرة بالاهتمام، وأما الجماعات الأخرى ما هي إلا تجسيد لانتصارات الشعب المختار، حيث يكون للقومية دورا بارزا في الحرب بقوله: "إن الإنسان مصاب بداء القومية يعتقد أن بلده أكثر البلاد تمدنا وإنسانية في العالم".

[1]- رمسيس عوض ، برتراند راسل ، مرجع سبق ذكره ، ص70.182.

في حين أن أعداءه موصومون بكل ضراوة ووضاعة يمكن أن تخطر على بال "، وهكذا يسير دافع العدوان برد العدوان، وليس اقترانهما مجرد اقتران الفعل برد الفعل، بل هو في الحقيقة دافع مثله مثل العدوان ذاته، فهما ينبعان من نفس المصدر ويسعيان إلى نفس الغاية وهي تأكيد الذات، وما يدل عليه وجها القومية من حيث أنها ما يعرف بالاستعمار وما يعرف بتقرير المصير، وهذان الوجهان على الرغم من اختلافهما إلا أنهما تتشابهان في جذورهما الغريزية[1]، فالتاريخ يؤكد أن العديد من الجماعات تعرضت للعدوان فاكتسبت من صمودها طاقة اندفاع حولتها إلى جماعات تواصل العدوان بعد الدفاع ويستدل "راسل" بمسلك (بولندا) بعد أن نالت استقلالها من سيطرة روسيا القيصرية، فبمجرد توفر أسباب الاستقلال تحولت هذه الدولة المظلومة المضطهدة إلى دولة متعدية توسعية، ترغب في بطش روسيا القيصرية التي أذاقتها كؤوس الذل والهوان وهذا مسلك طبيعي في الإنسان .

ب- تأكيد الذات من خلال حركة التجديد: يؤكد "راسل" أن الدوافع تشل نتيجة لعدم وجود الجو البيئي المناسب لإبراز خصائص تلك المجتمعات التي تفرض على أفرادها نوعا معينا من رتابة الحياة، مما يؤدي إلى حالة إحباط وملل تجعله يؤيد الحروب بحماس قصد تجاوز الرتابة في الحياة العادية، سواء بالنسبة إلى أولئك الرجال الذين ينشطون في حقل الأحداث العامة أو الناس العاديين، ذلك أن الأشخاص المؤثرين على سير الأحداث في العالم تحكمهم عادة رغبة ذات ثلاثة جوانب أولها أن يجدوا ذلك النشاط الذي يستلزم كل ما يحسون أنهم يمتلكونه من ملكات يبزون غيرهم فيها وثانيهما إحساسهم بالنجاح في الانتصار على العقبات، وثالثها احترام الآخرين لهم بناء علي ما يحققونه من نجاح[2].

أما الأشخاص العاديين الذين ليست لديهم مواهب، يحملون نفس الرغبة وأقل وضوحا، إذ أن الأفراد الذين تعودوا الذهاب يوميا إلى مكان عملهم، يرجعون متعبين في المساء، ليستمعوا إلى نفس العبارات، كالتأمين وغيرها، وهدفه من الحياة الاستقرار

[1] - رمسيس عوض، المرجع السابق، ص 133 .
[2] - الشيخ كامل محمد محمد عويضة، برتراند راسل فيلسوف الأخلاق والسياسة، مرجع سبق ذكره ، ص80.

فقط، ولما يحقق ذلك يشعر بالملل، وهؤلاء يعتبرون ضحايا المجتمع القائم على الرتابة وما ينقذ هؤلاء إلا حادث مثير كالحرب،فتخيل إليه أنها الخلاص، فيكون مصيره محكوم بمصير الأمة التي ينتمي إليها، فيشتعل حماسه ورغبته لتعاد إليه غريزته المدفونة فيمكن أن نشير أن القومية هي الإطار العام الذي يمكن أن تصنف من خلاله المجموعات المتحاربة بمعنى أن الحرب في الغالب صراع بين قومية معينة، أو تحالف لعدة قوميات في مواجهة قومية ثانية أو في مواجهة تحالف بين عدة قوميات .

هذا ما جعل "راسل" يؤكد على أن القومية لها جذور غريزية في الإنسان بولاء للجماعة التي ينتمي إليها وهو ولاء يحدده إطار جغرافي، وهذا ما يجعلها مسؤولة عن الشحناء بين الأمم[1]. ومن كل هذا يتجلى الجانب العميق من السيكولوجيا البشرية في الحرب، يؤكد لنا نظرته من أن الدوافع هي مظهر سلوكياتنا، فمنبع الحوافز المتوحشة يكون قائما منذ طفولة تعيسة أو في تجارب حروب أهلية، تترك أثرها ألامها، وقد يكون الافتقار إلى منفذ مشروع للنشاط في المراهقة له نفس الأثر، فلابد أن تتاح لهم فرص التعليم المبكر والحكيم[2]، لتجنب العنف ومناظر الحرب، ومنه أن كثير من الدوافع التي تقود إلى الموت في الحرب هي نفسها التي تقود إلى الحياة إذا اتخذت المسار الصحيح من التوجيه والتعليم الحكيم والمرشد في الطفولة، فالمشكلة تكمن في كيفية الحفاظ على الدوافع بحيث لا ينتج عنها الحروب.

يجب على الإنسان أن يعيش الحياة بكل أوجهها من فزع وشقاء وسعادة، بعيدا عن كل الأفكار الخيالية، وأن يسعى إلى السعادة بالعمل على تحقيقها، فأقصى ما نصيبه من السعادة يبنى على أقصى ما نبذله من جهود، وتبقى الخلافات بين الأفراد والأحزاب السياسية، والتي تنشأ بين المال وأصحاب العمال، فطالما لم تصل هذه الخلافات إلى حد الحرب والتدمير تعتبر متنفسا حميدا لدوافع الإنسان في حب القتال، وسوف تساعد على تطوير النظم والمؤسسات، وهذا ما يؤدي إلى توظيف طاقات البشر في إطار بناء وغير هدام كالذي تؤدي إليه الحروب والنزاعات المدمرة.

[1] - رمسيس عوض ، مرجع سبق ذكره ، ص134.
[2] - برتراند راسل ، السلطان، مصدر سبق ذكره ، ص 300.

يمكن أن نجعل أسباب الحرب هي دوافع سيئة أو الدوافع المحايدة أخلاقيا، وهي الأقوى والأكثر من الدوافع الإنسانية، وهذا لا يمنع عدم فعالية الدوافع الإنسانية وهذا ما تؤكد عليه حالة الهيجان التي عرفتها انجلترا في أوائل القرن التاسع عشرة ضد الرق فلا شك انه إنساني، وأنه كان فعالا، وكذلك بتنازل "انجلترا" عن أشياء هامة علي نبذ تجارة الرقيق[1]، وليست أسباب اقتصادية أو سياسية محضة، وأن نعتبر الحرب هي السبيل الرئيسي المروج للاستبداد، وأنها عقبة وأداة تقف في طريق إقامة نظام يجتنب فيه السلطان غير المسؤول قدر الإمكان، ومنع الحرب أهم جزء في فلسفة "راسل"، فإذا تخلص العالم في يوم ما من الخوف من الحرب، فيمكنه مهما كان نوع الحكومة القائمة فيه والنظام السائد اقتصاديا، أن يجد طريقا إلى كبح جماح الحكام الشرسة والشريرة، والمشاركة الوجدانية بحكم أن بعض الناس يؤلمهم ما يعانيه الآخرون من آلام، وبالمشاركة الوجدانية نتج التقدم الإنساني في الكثير من المجالات، فكلما زال الخوف من الحرب فأثرها يزداد ولعل خير أمل لمستقبل الجنس البشري بإيجاد طرق زيادة المشاركة الوجدانية وتعميقها.

وإن كان من الجائز أن نتكلم عن حروب عادلة، التي لها تبرير مشروع، وكل حرب تنشب لمقاومة الغزو أو العدوان فهي حروب عادلة، ولقد كان العدل كل العدل في جانب "الانجليز" الذين شنوا الحرب على أسطول "الأرمادا" الاسباني ،وكذا حرب المجريين من أجل انتزاع حريتهم حربا عادلة، فحرب الاستقلال الأمريكية كانت لها الشرعية، ومن أمثلة الحروب غير العادلة التي لم يكن لها أي تبرير مشروع، احتلال الرجل الأبيض لشمال القارة الأمريكية وإن كانت عادت بالفائدة والنفع والخير ولكن لم يكن لها سند قانوني، وإن هناك أربعة حروب وهي حروب الاستعمار الاستيطاني وتكمن غايتها في زحف شعب بأسره إلي منطقة ما، وحروب المبادئ مثل تلك دارت بين البروتستانت والكاثوليك، وحروب الدفاع عن الذات، وهذا النوع من الحرب يبرر دائما من كل الناس وفي كل الأزمان وحروب الهيبة والكبرياء القومي.

[1] - برتراند راسل ، المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة ، مصدر سبق ذكره ، ص152 .

لقد فرق "راسل" بين أنواع الحروب في مقال معنون ب" أخلاقيات الحرب قائلا " أن هناك بعض الحروب المبررة، فهزيمة الهنود الحمر على أيدي الاستعمار الأمريكي "تمثل حرب استعمارية "ولها ما يبررها، لحملهم الحضارة الراقية، "لو حكمنا بالنتائج، فإننا لا يمكن أن نأسف على حدوث مثل هذه الحروب "، وليس هناك ما يدعو إلى مضايقة أنصار السلام مما يجعله يظهر طابع المنفعة في المعالجة حيث أن الحروب القديمة للاسكندر وحروب القيصر فغزواتهما غير مبررة قانونيا، ولكن عادت بالنفع، فحروب الاسكندر نشرت الثقافة الهلينية في الشرق، كما نشرت ثقافة اللغة اليونانية، وحافظت على تراثهم، وهذا ما يؤكده فضل اليونانيون على الحضارة والفضل الأعظم لحروب "الاسكندر"، ومثلا حروب القيصر جعلت بلاد "الغال"من العالم المتحضر وساعدت على نمو اللغة الفرنسية[1]، وكمثال عن حرب المبادئ أورد "راسل" حرب الهولنديين في عهد شارل الثاني، أما حرب "الدفاع عن النفس " نادرا ما تكون مشروعة " لا يمكن تدمير انجلترا حتى لو تم إغراق أسطولنا واحتل الألمان لندن، فالحضارة الانجليزية واللغة الانجليزية والمنتجات الانجليزية ستظل قائمة، من الناحية السياسية العملية "، أما "حروب الهيبة" لا يمكن تبريرها على الإطلاق ويقول في هذا الشأن"عندما يتقاتل كلبان في الشارع،فإن أحدا لا يتصور أن هناك ما يدفعهما إلي ذلك سوى الغريزة كما يتصور أن الغايات النبيلة السامية هي التي تحركها، فهما يتشاجران لمجرد أن أحدهما يستثير الآخر، وما يصدق على الكلاب في الشارع يصدق أيضا على الأمم في الحروب"[2].

يمكننا أن نؤكد في الختام أن "برتراند راسل" يتفق مع "سيجموند فوريد " إلي وجود دوافع فطرية وأسباب ذهنية في نفوس الناس تدفعهم إلى شن الحرب ويسميها (دوافع الحرب) ويرى "راسل" أن جميع الدوافع التي تدفع للحرب يمكن ردها إلى أصل غريزي واحد وهو تأكيد الذات في مواجهة الآخرين، وتميز الإنسان

[1] ـ برتراند راسل ، محاورات برتراند راسل "شيخ فلاسفة العصر ،ترجمة "جلال العشري "،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1979،ص 26 .

[2] ـألان وود، برتراند راسل بين الشك والعاطفة ،ترجمة رمسيس عوض،دار الأندلس بيروت، ط1،1984،ص 97 .

بالطابع الأناني والشراسة وحتى لو وجدت أسباب معينة للحرب سواءا كانت اجتماعية أو سياسية ،أو دينية،فالدوافع هي التي تتحكم في وقوع الحروب.

المبحث الثاني : أثر العلم في المجتمع وعلاقته بالحرب

أرجع "راسل " أسباب الحرب إلى دوافع نفسية فالنوازع الشريرة مسؤولة في أغلب الأحيان عن إلحاق الأذى بالجنس البشري أكثر من الآراء الفاسدة وقد تشكل حجرعثرة في سبيل التقدم الإنساني، ولكن رغم ذلك طور الإنسان جميع قدراته العلمية في شتى المجالات، ومع بداية القرن العشرين تحول"راسل" فجأة إلى داعية سلام وعارض حرب البوير التي نشبت بين "بريطانيا " و"المستوطنين البيض" (الأفريكان) من الأصول الهولندية في جنوب إفريقيا، في أثناء الحرب العالمية الأولى، حيث قاد "راسل" حملات ضد الحرب وغرم مبلغ مئة جنيه إسترليني عام (1916) لمعارضته الحرب، كما طرد من منصبه التدريسي بكامبريدج، واستمر بكفاحه مما أدى إلى سجنه ستة أشهر في سنة (1918)، لكنه مع قيام الحرب العالمية الثانية ساند دحض "هتلر" واعتبره مقدمة ضرورية لأي شيء حسن، ولقد كانت محاضرة "راسل" المعنونة (الخطر على الإنسان) التي أذيعت بالإذاعة البريطاني عام(1954) وهي نقطة تحول جديدة، إذ هاجم فيها بشدة اختبارات القنبلة الهيدروجينية التي أجرتها الولايات المتحدة الأمريكية في جزيرة "بيكيني"، وكما تبع ذلك الاحتجاجات التي أصدرها "أنشطاين" مع بعض الحائزين على جائزة "نوبل " ضد الاستخدامات الحربية للطاقة الذرية، وهذا ما يدل على تطور العلم ولكن ماذا يقدم لنا العلم ؟ كيف يمكن الاستفادة منه ؟ وما هو تأثيره على الأفكار والتقنيات والأنظمة السياسية والاجتماعية ؟وما علاقته مع الحرب ؟ ما علاقة العلم بالتقاليد؟

ويمكننا أن نلج عالم "برتراند راسل " الهام بالنسبة إلى مجتمعاتنا التي تحتاج لثورات علمية على أصعدة مختلفة لتغير حال البشر والمجتمعات، و في المحاضرات التي ألقاها "راسل" في كلية "رسكن" الانجليزية ثم في الجامعة الكولومبية وأخرى التي ألقاها في الجمعية الملكية للطب،تحدث عن أثر العلم والمعرفة العلمية في المجتمع ومناقشا تأثير العلم في الفلسفة، وبشكل مبسط أثره على معتقدات الناس، في محاربة الخرافات والشعوذات التي كانت منتشرة في العصور الوسطى وعصر النهضة "إذ يعود تواجد العلم كعامل أساسي في تقرير معتقدات البشر لنحو (300 سنة) ، في حين

أصبح مصدرا للتقنية الاقتصادية منذ(150سنة) وحسب"[1] ،في هذه الفترة القصيرة برهن العلم أنه قوة ثورية هائلة، رغم هذه الفترة الوجيزة سمت قوة العلم، يمكن اعتباره في بدية عمله لتسهيل حياة الأفراد، واحتمال دراسة تأثيراته للتقليل من مجازفاته، وأثر العلم متعدد ومتباين، منها التأثير الفكري المباشر، كزوال بعض المعتقدات التقليدية وقيام البعض الآخر، بالإضافة إلى بعض تأثيراته على التقنيات في الصناعة والحرب، مع إحداث تغيير على النظام الاجتماعي، وتغييرات تدريجية في الحياة السياسية، ومع تغير موقع الإنسان في الكون مع الفلسفة الحديثة ، فحاول "راسل" البحث عن هذه التأثيرات على مظاهر الحياة الإنسانية، ومن أثرها في إذابة المعتقدات التقليدية كالسحر ثم بحث في التقنية العلمية، مع الثورة الصناعية، وكيف تجلى انتصار العلم من جهة، وكيف أوحى إلى انتشار اللاحكمة وفي عواقبه المصحوبة بالحروب والفجائع.

يتحدث "راسل" عن إدراكه عند دراسة علم الأجناس البشرية (الأنتروبولوجيا) كم كانت المعتقدات كثيرة ولا أساس لها من الصحة، فتردي المحاصيل الزراعية يرجع إلى غضب الآلهة والأرواح الشريرة، وتقدم القرابين البشرية للنصر في الحرب وخصوبة الموسم الزراعي ..." لقد كانت حياة الإنسان البدائي تحيط بها المحرمات ويترتب على مخالفة أي من هذه المحرمات عواقب وخيمة "[2].

تحرر العلم من التقليد وكان مضادا للخرافة، فالخسوف والكسوف يعود لهما الفضل في الخروج من الخرافة إلى العلم كظاهرتين طبيعيتين، فمع البابليين استطاعوا التنبؤ بهما وحساب الخسوف بدقة، واستغلت هذه المعرفة لبسط سطوة الكهنة على البسطاء، كما أعتبر الخسوف والكسوف غضب من الآلهة، وقدموا القرابين لرفع الكوارث، واستمرت هذه المعتقدات لوقت أحدث، فيذكي" ثوقيديدس" كسوفا للشمس ويقول أنه حدث عند ولادة قمر جديد، واكتشف الفيثاغوريون بعد ذلك بقليل النظرية الصحيحة لكل من الخسوف والكسوف، واستنتجوا أن الأرض كروية من ملاحظة ظلها على القمر " واستمرت المعتقدات إلى وقت أحدث، كما يشير "راسل" إلى أن

[1]- برتراند راسل، أثر العلم في المجتمع ترجمة "صباح صديق" الدملوجي مراجعة حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة ط1 2008 ص19 .

[2]- برتراند راسل، المصدر السابق، ص 20.

حريق لندن وانتشار وباء الطاعون كان بسبب غضب الآلهة وانتشار كتب "توماس هوبز"، فتم منع كتبه وعلق على ذلك ساخرا "ويظهر أن هذا القرار كان فعلا، إذ لم تصب لندن بالطاعون كما لم تحترق بكاملها منذ ذلك الحين"[1].

ثم يشير إلى الشد والجذب في قضايا السحر للقرون الوسطى، وإلى مفارقة جديدة مع أعمال رجال القرن السابع عشرة بتآكل الاعتقاد بالمعجزات والسحر، مما أدى إلى الحديث عن ثلاث مكونات مهمة في تكوين النظرة العلمية الميكانيكية للقرن الثامن عشرة بإدخال للفكر الإنساني مفاهيم جديدة وهي :

1- أن بيانات الحقائق تبنى على الملاحظة بدلا من الاستشهاد غير المسند .

2- أن العالم المادي يتمتع بنظام ذاتي الفعل وذاتي الديمومة، تخضع كافة التغيرات فيه قوانين طبيعية.

3- أن الأرض ليست مركز الكون، وإن الإنسان ليس غاية الكون، ولا نفع للغاية.

حيث أن في العنصر الأول يجب التأكد من الحقائق بالملاحظة وليس بالمشاورة " في عصر النهضة غدا الاعتقاد بالتنجيم صيغة للمفكرين الأحرار، لا السبب محدد بل لمجرد كونه مدانا من قبل الكنيسة،المفكرون الأحرار لم يكونوا أكثر علمية في نظرتهم إلى الحقائق التي يمكن ملاحظتها من مناوئيهم في الرأي"، أن كثير من الحالات يتطلب تبيان قدر كبير من الحقائق لتبديد هذه الاعتقادات.

أما عن استقلالية العلم فقد كان أهم عامل في القضاء على النظرة العلمية السابقة هو قانون الحركة الأول لغاليلي الذي نص على "أن أي جسم متحرك يستمر في الحركة في نفس الاتجاه والسرعة حتى يتم إيقافه من قبل شيء آخر، وقبل "غاليلي" ساد الاعتقاد بأن أي جسم غير حي لا يتحرك بذاته، وأنه إذا كان متحركا فإنه سيخلد إلى السكون تدريجيا، وأن الكائنات الحية فقط يمكنها الحركة دون وساطة خارجية "ولكن "غاليلي" و"نيوتن"، فيما بينهما برهنا على أن حركة الكواكب والمواد غير الحية على الأرض وتسير وفق قوانين الفيزياء وأنه متى بدأت الحركة فتستمر في ذلك

[1] - برتراند راسل – المصدر السابق –ص 24

إلى ما لانهاية ، ولا حاجة للعقل في هذه العملية ،أما نيوتن فكر في أن قوة الخالق كانت ضرورية لبدء الحركة " [1].

أما عن خلع "الغاية " عن عرشها فقد ركز "راسل" على الأسباب وأسقط البحث عن الغايات،لأن الغائية لا توجد في السرد العلمي، لنأخذ مثلا يوضح لنا رفض العلم لفكرة الغرض القابعة وراء الأشياء، افترض وجود فندق مبني على قمة جبل، إذا فكرت في السبب المباشر الأرسطي طاليسي نذكر نقل أدوات البناء إلى الأعلى للتشييد ولكن إذا فكرنا في السبب الغائي النهائي وهو إيواء السائحين ... ،ومنه العلم الحديث حسب "راسل" لا يفكر في الغاية والغرض بل يفكر في الأسباب المباشرة، "(فإذا سئلت ' لماذا يموت هذا العدد من الناس بالسرطان فسوف لا تجد إجابة واضحة، لأن الإجابة المطلوبة هي التي تعي السبب الفاعل)"[2] والأهم في كل هذا هو خلع موقع الإنسان الذي انزاح عن مركز الكون، حيث أصبح الكون الحديث مختلفا جدا، مع انتصار نسق "كوبرنيكوس"الأرض ليست مركز الكون ومع تطور الوسائل والمراصد زادت معرفة الإنسان بالمجرات والكواكب بقوله "من الصعب إدامة الاعتقاد بأهمية الفرد الكونية عند النظر إلى هذه الإحصائيات المذهلة " [3]، وإن نظرة "كوبرنيكوس" الفلكية تخصص الإنسان والكون مكانا أكثر تواضعا مما كان يتمتع به حسب النظرية البطليموسية[4] .

من الناحية التأملية للعلم، كانت الفكرة السائدة قبله، أن الإنسان والأرض التي يعيش عليها محور الكون ومركز الأشياء، ولكن هذه النظرية الفلكية تغيرت مع مكتشفات "كوبرنكوس" الذي أثبت أن الأرض ليست مركز الكون كما كان يحلو للأوليين أن يتصوروا ذلك مرضاة لغرورهم، إنما الأرض لا تخرج عن كونها كرة تافهة وضئيلة تحتل جانبا مهملا من الكون المترامي الفسيح، أما من الناحية التطبيقية

[1]- برتراند راسل ، المصدر السابق ، ص 31.
[2] - المصدر السابق، ص 32 .
[3] - المصدر السابق .ص 35 .
[4] - برتراند راسل ،تاريخ الفلسفة الحديثة . سبق ذكره، ص 16 .

منه فإننا نبجل العلم وننظر إليه نظرة إجلال للانتصارات العلمية الهائلة التي تمكن من تحقيقها.

حاول "راسل" أن يعرض هذه النظرتان المتعارضتان في "الكوميديا الإلهية " "لدانتي" و "مملكة السدم" "لهبل " ،وتتجلي أهمية الإنسان في "الكوميديا الإلهية " وكما يتضح هو أن شأنه في "مملكة السدم لهبل "، فالأرض عند" دانتي" هي مركز الكون وأن عشرة دوائر تدور حولها، والكون محدود وتزور سماواته في أربع وعشرين ساعة ... وكل شيء فيه متعلق بالإنسان وتتلخص في معاقبة الرذيلة ومكافأة الفضيلة[1]، واستعرض "راسل" المعلومات والإحصائيات الفلكية التي تضمنها "مملكة السدم "، والتي تدل على أن الأرض لا تعدوا أن تكون شيئا تافها في الكون الواسع، فالجانب التأملي من العلم الذي تجاهلته الماركسية وأولاه "راسل" كل تقدير حيث أن الجانب التأملي بين هو أن شأن الإنسان وضآلة في الوجود، أما النظرة الماركسية فتعلي من شأن الإنسان وتمجده وتتجاهل الجانب التأملي، وأهم نتائج "راسل" في سيطرة الإنسان هو خلق فلسفة جديدة تتضمن مفهوما مختلفا عن مكانة الإنسان في الكون، ففي عالم ما قبل العلم، كان الاعتقاد أن القوة هي للآلهة، وكانت التعاسة تخيم على الإنسان إذا تعرض لغضبها، متمثلا في الزلازل والأوبئة وخسارة الحروب ... وفي العالم العلمي يختلف كل هذا، فإدراك الأشياء يكون بمعرفة القوانين الطبيعية، يؤكد ذلك "بأن قوة العلم لا حدود لها ... ، واليوم يقولون أن القنابل الذرية تزيح الجبال ".

إن النظرة التأملية التي لا يهتم بها أصحاب النظرة العلمية قد تفضي بنا إلى التفكير في الكون فقد نجده لا يبعث على الارتياح "الشمس قد تفقد حرارتها أو تنفجر والأرض قد تفقد جوها وتصبح غير قابلة للسكن " أما أصحاب النظرة العلمية فلا يكترثون بهذا التأمل العلمي ويقولون "إن الإلحاح على هذا النوع أمر غير ذي طائل

[1] - أثر العلم في المجتمع .ص35 .

ويمثل نزعة رهبانية، دعنا نستمر في عملنا في تخصيب الصحراء، وإذابة جليد القطبي، وقتل بعضنا البعض بتقنيات دائمة التحسن ..."[1].

يتجلى من خلال ما سبق أن "راسل" حاول أن يرتبط بالعلم كفلسفة أكثر منه كتقنية، وحسب ما يبدو أن العلم قد عظم حاسة القوة البشرية إلى حد كبير، وأن ما يقال دائما في فلسفة العلوم أن الإنسان تعرض إلى ثلاث صدمات كبرى، أثرت في وضعه في الكون، الأولى تجلت في الثورة الكوبرنيكية والتي هدمت مركزية الأرض، حين أثبت دورانها حول الشمس، والثانية كانت في الداروينية، والصدمة الثالثة تجلت في انطلاق أفعال الإنسان من اللاوعي ودور اللاشعور الذي أعطاه "فرويد" مركزية كبيرة في تحليله النفسي .

ما النتائج العامة للتقنية العلمية بين السلب والإيجاب؟ حاول أن يقدم نتائج التقنية العلمية، من خلال تقديمه لوظيفة العلم أيام العرب :الأولى التمكن من معرفة الأشياء والثانية :التمكن من فعل الأشياء والإغريق ماعدا "أرخميدس" فقد اقتصروا الاعتماد على الناحية الأولى، نظرا من أن الأعمال الحرفية كانت من نصيب العبيد، بين أن استخدام العلم العملي جاء من الخرافات والسحر، ومن العرب الذين حاولوا اكتشاف "حجر الفلاسفة " و"إكسير الحياة " وتحويل المعادن ومما مكنهم من معرفة حقائق كيميائية دون أن يضعوا لها قوانين مهمة، ولقد خرج بنتائج تحمل كثير من المفارقات وأن نهاية العصور الوسطي حققت اكتشافين مهمين هما *البارود وبوصلة الملاحة*.

ويتجلى أثر البارود في سيطرة الحكومة المركزية على الأفراد بالخضوع لها وخاصة المتمردين منهم، فقوة هذه الحكومات بدأت مع نهاية القرن الخامس عشرة نتيجة استخدام البارود، بعدما ما عرفت فترة العصور الوسطي الفوضى والاستبداد ومنذ تلك الفترة تزايدت سلطة الدولة علي الأفراد ولم يعد من السهل أن يتمرد أحدهم على سلطان الدولة وكان من المصلحة تثبيت سلطان الدولة وإقرار القانون، غير أن تركيز السلطة في يد الدولة قد تفاقم في العصور الحديثة بسبب التقدم العلمي وتحسن

[1]- برتراند رايل، المصدر السابق، ص 37.

سبل الاتصال والموصلات[1]، وكان هناك أثر كبير لتحسن الأسلحة، وهذا ما يلخص سلبية العلم وأثاره السيئة وضرورة تجنبها.

أما بوصلة الملاحة فتحت مجال الاكتشافات الجغرافية بفتح عالم جديد، وتدشين عصر الاستعمار، وباكتشاف الطريق إلى الرجاء الصالح ، فتح الباب لاتصالات مهمة بين أوربا والصين، مما أدى إلى تزايد أهمية القوة البحرية بسيادة أوربا للعالم، وهكذا كشرت التقنية العلمية عن أنيابها لحظة الثورة الصناعية بمآسيها التي يصعب حصرها وخاصة بما خلفته القنبلة الذرية من فاجعات، وفي "انجلترا"و"أمريكا "،والمآسي التي أضيفت للإنسانية بسبب مصانع القطن وعمالة الأطفال في "انجلترا" وإيجاد أسواق لتصريف البضائع القطنية في الهند وإفريقيا كأهم مثال عن التصنيع في المراحل الأولى للثورة الصناعية، أما في "أمريكا "صناعة القطن العلمية أفرزت تجارة العبيد لمزارع الجنوب، ولكن على الرغم من أن المصائب الناجمة عن التقنية العلمية ليست جديدة ولكن عمالة الأطفال في "انجلترا " انتهت وحرمت، والرق حرم دوليا (1808) واستعمار الهند انتهى، ولكن مصائب العلم مازالت تتجدد ولا علاقة لها بالقطن،وكان للبخار دوره في الثورة الصناعية، باستخدامه في النقل، في السفن والقطارات،ولم تصاحبه سلبيات المراحل الأولى للتصنيع ،وسبب ذلك تحريم الرق ونمو الديمقراطية.

أما المرحلة التالية المهمة في الرفع من شأن التقنية فتتعلق بالكهرباء والنفط وماكينة الاحتراق الداخلي، وباستعمال الكهرباء لفترة طويلة لتشغيل التلغراف كمصدر طاقة وإنارة، ويكمن دورهما (الطاقة والإنارة) في إمكانية استباق الرسائل للإنسان وفي تسهيل دور الإدارة العليا بالتحكم الدقيق في سير العمل ويبين"رسل" دور التلغراف ساخرا " فلو كان التلغراف موجودا لرأينا "بوليقريطس يمسك فيثاغورس"، ولرأينا حكومة أثينا تقبض على "أناكساغوراس"، ولاستطاع البابا الإيقاف "وليام الأوكامي" ولولا سرعة إرسال الرسائل لكان عدد كبير من خيرة الألمان والروس ممن قاسموا بطش "هتلر" و"ستالين " قادرين على الهرب "[2]، وأدى وجوده إلى زيادة

[1] - رمسيس عوض، برتراند راسل المفكر السياسي ، مرجع سبق ذكره، ص 84 .
[2] - - برتراند راسل، أثر العلم علي المجتمع،ص 47 .

التحكم المركزي للحكومات في الأفراد،وهذا ما يدل على أثرالتلغراف في تسهيل حياة البشر، وجعل الثورات أصعب، وحيث يمكن السيطرة على جماعة من البشر بقطع الكهرباء، ولكن دون أن نتناسى دور تطوير الطيران، فنجاح الثورات يكون بفضل القوة الجوية، فتساهم الحرب الجوية في قوة الدول وفي خلق اللاتوازن بين الدول العظمى والضعيفة.

ونصل في نهاية المطاف إلى آخر استخدام للعلوم الفيزيائية، وهو الطاقة الذرية حيث يغيب وجهها وتقديرها السلمي، بل يتجلى بوضوح استعمالها المسيء، بتأكيد السوفيات على استخدامها، لتغيير الطبيعة الجغرافية،كنسف الجبال وتحويل الصحاري لكن رغم ذلك لا يمكن للقوة الذرية اكتساب أهمية سلمية توازي الحربية.

كان هذا مجمل التقنيات المستخدمة من الفيزياء والكيمياء،ولكن تقنيات علم الحياة وعلم النفس لها أثرها الكبير الذي لا يقل أهمية عن الفيزياء والكيمياء، فتحدث عن مشكلة الغذاء وعدد السكان، بحكم زيادة عدد السكان أصبح الغذاء يتناقص نتيجة سوء التسيير في الزراعة وتدمير الغابات، مما يهدد بانفجار الوضع بحروب، دون أن نلغي فكرة أن هذا الوضع قد يؤدي إلى تحسين تقنيات جديدة ومع احتمال تزايد عدد السكان وانعدام الغذاء ومنه ظهور مجموعة فقيرة ويتزايد سكانها ومجموعة غنية وثبات عدد سكانها، وهذا لا يمنع ظهور حرب عالمية، والحل لكل هذا هو ثبات عدد سكان العالم مع زيادة التقنية العلمية، وما يدل علي إمكانيتين آثار تدميرية لحرب ضارية فينقص السكان أو الأمم العلمية قد تخسر الفوضى التي تدمر التقنية.

أما في مجال البيولوجيا فقد تطور علم الوراثة، فتغيرت سلالات الماشية والنباتات الزراعية، وأدى إلى تغيير الجينات الوراثية وهذا ما جعل إمكانية وجود حركة لتطبيق التقنية العلمية على تكاثر الإنسان، ولكن لا يمنع وجود عوائق دينية وعاطفية، أما موضوع سيكولوجيا الجماعات ليس متطورا بل يمكنه أن يخطو تطورا لو أنه تعهده علماء يعملون في ظل حكم استبدادي مبني على العلم، لأن من نتائج العلم المقززة يمكن الحديث عنها تحت "الثلج الأسود " وكيف يمكن للدعاية والإعلام والعوامل النفسية والاجتماعية السيطرة على جموع البشر وتشكيليهم بشكل مخيف

ومرعب،وأن ننتج قطيعا من البشر يؤمنون بسواد الثلج"فالإغريقي "أناكساغوراس" استمر في ادعائه أن الثلج أسود"[1]، وهذا ما حدث بشكل صارخ في ألمانيا النازية، حيث نكتشف أنه بالأضواء والشعارات وحشد الجماهير والخطب الرنانة يتساقط كل ما في أذهاننا عن الإنسان العقلاني والمنطقي، الذي نخاطبه محاولين إقناعه بالحجج يمكن للعلم أن يتحول في نهاية الأمر إلى طاغية ضارة ، باستخدام الوسائل العلمية المستمدة من علم النفس وعلم وظائف الأعضاء والأحياء في مجالات التعليم يمكن للقائمين بالحكم على خلق أجيال من الناس كالآلات الصماء تفكر كما يريد لها حكامها أن تفكر فتنعدم قدرتها على التمييز والتفكير في المستقبل.

إن أكثر نتائج العلم السلبية هي "المجتمع أكثر عضوية "ويقصد به ازدياد اعتماد أجزائه على بعضها البعض، فالمجتمع العلمي الحديث عضوي أكثر من قبل في تاريخ الإنسانية ،فهو مجتمع متشابك المصالح يعتمد كل جزء فيه على الأجزاء الأخرى فالفلاح المعدم الفقير الذي ينتج بنفسه حاجاته الأولية التي يقيم بها أولاد عائلته يتمتع بحرية واستقلال لا يتوفران لنظيره الذي يزرع بطريقة علمية ،إذ أن تصريف إنتاجه مرتبط ارتباطا وثيقا بعوامل سياسية واقتصادية خارجة عن إرادته.

وهذا التشابك العضوي بين أجزاء المجتمع العلمي الواحد من جهة، وسائر المجتمعات الإنسانية من جهة أخرى، يستدعي ضرورة خضوع كل دولة للنظام وسلطان القانون الدولي الشامل، من شأنه أن يتجاوز مصالح الدول المختلفة كوحدات قومية متناحرة إلى مصلحة المجتمع الإنساني ككل، وهذا ما استدعى "راسل" ضرورة إقامة سلطة عالمية لتنظيم شؤون الأجزاء المختلفة من العالم[2]،فسبب غالبية مشاكلنا هو فشل توسيع سيادة القانون لتشمل فض النزاعات التي تصبح عند تركها لتحكيم القوة مجرد فوضى وأضرار .

إن في الحكم الأوليغاركي يشير "راسل" إلى تنامي قدرات السيطرة والتجسس والسطوة الأمنية في الأنظمة الشمولية بفضل التقنية العلمية، مما جعل سيطرة فئات

[1] - - برتراند راسل ،المصدر السابق، ص 55 .
[2] - رمسيس عوض، برتراند راسل المفكر السياسي ، ص84.

محدودة من المجتمع على الباقين واستعبادهم أمر في متناول هذه الأنظمة، بالإضافة إلى تشكيل معتقداتهم وأرائهم من خلال الأنظمة الشمولية ، فإن الأوليغاركية العلمية تتجه إلى ما ندعوه بالحكم الشمولي، أي أن كافة الأشكال المهمة للقوة أو السلطة تصبح محتكرة من قبل الدولة، هو في اعتقاد "راسل" عيوبه أكثر من ايجابيته ،فهذا النوع من الأنظمة يكرس منافعه الخاصة على حساب المنافع العامة، بحكم الطبيعة البشرية الأنانية، ولكن لابد من جرعة المعقولية الضرورية للبقاء، ويمكن للحكومة الشمولية ذات الصفة العلمية أن تفعل كل ما من شأنه أن يظهر لنا مريعا ومثيرا للاشمئزاز[1]، ويستدل بذلك على النازيون الذين كانوا أكثر علمية من الروس، وأميل إلى الفظائع، باستخدامهم لسجناء المعسكرات كمواد لمختلف التجارب التي يكون الموت فيها مؤكدا بعد العناء والألم، ولو كتب للنازية النجاح، لاعتمدوا على طرق التناسل العلمي قصد تحقيق أفضلية عسكرية كبرى، ولمنع الفضائح العلمية فلابد من وجود الديمقراطية ولكنها غير كافية، وأكد أن الحل لتخلص من هذه الصورة المعتمة سيكون باحترام حقوق الفرد والإنسان .

يقسم "راسل"الفلسفات السياسية إلى ثلاث فلسفات: يمكن النظر إلى الفرد على أساس أن الإنسان عادي في الديمقراطية، أو كبطل في الأنظمة الفاشية، أو جزء من ماكينة في الأنظمة الشيوعية ، ويؤكد على ضرورة الاستفادة من الأشياء الجيدة في كون الإنسان "بطل" أو" جزء من ماكينة "مع تحقيق روح المبادرة لدى الإنسان، حتى لا يتوقف التطور العلمي،ففي نظام اجتماعي جيد يكون كل إنسان في ذات الوقت رجلا عاديا وجزء من ماكنة وبطلا، ولكن إن امتلك واحدة من هذه الصفات دون الأخرى فسوف دوره يتقلص، بوصفه بطلا لابد أن يتمتع بالمبادرة ، وإن كان رجلا عاديا يجب أن يتمتع بالأمان، وكجزء من ماكينة يجب أن يكون ذا فائدة،ولنيل التطور يجب وجود هذه الصفات، أشار "راسل" إلى تخلف الإتحاد السوفياتي علميا مستقبلا بسبب سلب العلماء استقلالهم وضرورة أن تكون آرائهم السياسية مطابقة لرؤى الدولة، كما يريد الحزب الشيوعي، مما يحد من طاقاتهم، وإن أظهروا مواقف فكرية وسياسية مختلفة

[1] - برتراند راسل ،أثر العلم في المنجتمع مصدر سبق ذكره ، ص 71.79.

فإنهم يبعدون عن العمل العلمي ويشير هنا إلى سيطرة التحيزات السابقة "لستالين" "الجاهل علميا" على أبحاث الاتحاد السوفياتي " أما روسيا، فإن محصول الحبوب فيها كان يمكن أن يكون أقل لو أن "ستالين" لم يصر"على تبني نظريات "ليسنكو" ومن المحتمل جدا حدوث تدخل حكومي مشابه في حقل بحوث الفيزياء النووية في روسيا قريبا[1]".

هل العلم يفتش عن الحقيقة أو المنفعة؟يقوم التفلسف العلمي عند "راسل" على غاية واحدة واضحة ومحددة "الغاية التي يجب علي الفلسفة أن تضعها نصب عينيها وأن تحاول بلوغها عن وعي وعن عمد، هي أن تفهم العالم ما أمكنها إلى الفهم سبيل"[2] إذا كان الشيء الرئيسي عند"أفلاطون " و"أرسطو" هو السعي لفهم العالم وربما حسب "راسل" هي مهمة التي ينبغي على الفلسفة أن تؤديها، وعندما سئل عن "ماركس" هل يمكن اعتباره فيلسوف "أجاب نعم فيلسوف ، فهناك من يؤيدون الأوضاع القائمة، وهناك من يستهدفون التغير و"ماركس" ينتمي إلى النوع الثاني لقوله "إن السؤال عن عائدية الحقيقة الهادفة إلى التفكير الإنساني ليس سؤالا نظريا بل هو سؤال عملي فحقيقة الفكرة ـأي واقعيتها وقوتهاـ يجب أن تظهر عمليا، فالجدل حول حقيقة أو عدم حقيقية فكرة منعزلة عن التجربة هو السؤال الفلسفي .... فالفلاسفة قاموا بتفسير العالم بأساليب مختلفة لكن المهمة الحقيقية هي تغييره "[3] ،ولكن مهمة الفيلسوف الحقيقية ليست تغيير العالم بل فهمه ـ وهذا عكس ما ينادي به "ماركس" .

يبين "راسل" أن هناك نقاط وصل بين البراجماتية والماركسية، حيث أن البراجماتية لا تعنى باستقصاء "الحقيقة " التي تستبدلها " بالمنفعة " وهي تبارك آية نظرية أو مبدأ إذا تضمن منافع وفوائد، دون الاهتمام بصحته أو زيفه، ويتحدث عن "ديوي " كأبرز فلاسفتها بأنه لا يحفل بأية نظرية من حيث الصحة ولا إلى استنادها إلي الواقع أو لا، فالأساسي والمهم هو تطبيقها الناجح، وإمكانية العمل بها "أنها تعمل" وربما كان هذا سبب إيمان الشعوب القديمة بالأساطير حسب تقدير "كارين ارمستونغ"

[1] ـ برتراند راسل،أثر العلم في المجتمع، ص 84.
[2] ـ راسل ،الفلسفة بنظرة علمية ، تقديم زكي محمود نجيب، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة،1960،ص 266.
[3] ـ برتراند راسل ، أثر العلم في المجتمع ، ص 115.

يؤمنون بالأساطير لأنها مؤثرة لا لأنها حقيقة"، ويعترض "راسل" على"البراجماتية " في هذا المجال القائم على استعداد قبول نظريات قائمة على الوهم والزيف لا لشيء إلا لأنها نافعة وناجحة عند التطبيق، ويعلق على ذلك "راسل" بما يلي: " النتائج الخطيرة المترتبة على البراجماتية أن نفس الشيء قد يكون صحيحا في وقت ما وزائفا في وقت آخر"ففي سنة (1920) كان "صحيحا"أن "تروتسكي" كان له مساهمة كبرى في الثورة الروسية أما في سنة (1930) فإن ذلك الاعتقاد كان "باطلا " وقد بين لنا "جورج أور ويل " في كتابه (1984) وجهة النظر هذه بطريقة بديعة "[1] ، فكلا المذهبان يستمدان قوتهما من الجانب التطبيقي من العلم لأنه جانب نافع ومفيد ويمنح صاحبه السيطرة على الطبيعة وتتماشى هذه السيطرة مع قوة الطبيعة التي هي الرغبة في امتلاك الإنسان لأسباب القوة والسلطان " وإذا تغلب حب القوة فستصل إلى رأي "ماركس" " القائلة أنه ليس من المهم فهم العالم لكن المهم هو تغييره" و"البراجماتية" هي تعطيك القدرة على فبركة الحقائق وتقوم على اللجوء إلى القوة، بسبب انعدام أي معنى قياسي للعدل نجد أنه من المبرر أن يكون المجتمع ديمقراطيا من الداخل واستعماريا في الخارج، وتعطيك أكثر مما توقعت،فإذا كنت تتحكم في قوة الشرطة فإنها تعطيك ما يشبه قوة الآلهة في "صنع الحقيقة" "فأنت تستطيع أن تجعل الشمس باردة، لكنك تستطيع إضفاء " حقيقة" براجماتية على هذا الاقتراح إذا تأكدت أن كل من ينكره "يصغي" أشك أن "زيوس" كان بإمكانه أن يفعل ذلك "[2].

وإن تمجيد المذهبان للجانب العملي مع فكرة أن إحساس الإنسان بأنه مركزالكون والأرض التي يسكنها مركز الأشياء وهؤلاء الأفراد العمليون يرغبون في التغيير فقط على سطح الأرض ولهذا فهم على استعداد لقبول فلسفة تعالج كما لو كان الكون بأسره ولكن قوتنا محدودة حتى على سطح الأرض ومن جنون العظمة أن ننسى أن هناك حقائق مستقلة عن رغباتنا، والأسباب التي دفعت "راسل" إلى رفض "الماركسي"هي نفسها الأسباب "البراجماتية " إذ يظهر بجلاء رفضه لحبس الخيال في سجن الوجود

[1] - -برتراند راسل ، مصدر سبق ذكره، ص115 .
[2] - برتراند راسل، مصدر سبق ذكره ، ص 117 .

الأرضي ومما يظهر رغبة جياشة في البحث عن السعادة وانطلاق بالخيال إلى رحاب واسعة "لإجمال الموقف نقول أن البراجماتية تروق للمزاج الفكري الذي يجد على سطح هذا الكوكب جمع مادة تخيلاته، والذي يثق بإمكانية التقدم ولا يشعر بالتحديات غير البشرية لطاقة الإنسان كما أنه يحب المعارك مع كل ما يصحبها من أخطار لعدم وجود شك حقيقي لديه حول إحراز النصر".

كما أن الروح العلمية تضاد التطرف و الأصولية، حيث تقوم المجتمعات المتطرفة على الكراهية المتبادلة، ويضرب "راسل" بالمجتمع الكاثوليكي والمجتمع الشيوعي، ففي المجتمع الشيوعي يخبرونك بأنهم يحبون الطبقة العاملة، وهم بالتأكيد يبغضون الأثرياء، كما أن من يخبرك بأنه يحب جاره، يبغض من لا يتفق معه في هذا الحب، وربما كان للعلم شروره، في تنامي الاستبداد والحروب، لكنه بذات اللحظة يحوي جانبا أكثر بهجة وتفاؤلا، يؤكد عليه "راسل" في حديثه كمثال عن الرعاية الصحية، التي قللت من خلال التطعيم والأمصال وفيات الأطفال، وزادت من متوسط عمر الإنسان "هناك شران قديمان يمكن للعلم إذا أستخدم من دون حكمة أن تفاقمهما وهما الاستبداد والحرب، لكنني الآن مهتم بالإمكانيات المبهجة أكثر من اهتمامي بالإمكانيات المكررة، فالعلم يمكن أن يضفي نوعين من المنافع : يمكنه تقليل الأشياء السيئة، ويمكنه الإكثار من الأشياء الجيدة"[1]، فما علاقة الحرب بالعلم ؟

يرى "راسل" أن هناك علاقة وطيدة الصلة بين العلم والحرب وبينها من خلال بدايته الأولى مع "أرخميدس" الذي ساعد "ابن عمه" "سيراكوزا" في الوقوف معه ضد هجوم الرومان سنة(212ق.م) على(مدينته، وقد سجل ذلك في كتاب "بلوترك" المعنون "حياة مارسيلوس" الذي يصور الآلات المستعملة في الحرب "عندما قام "أرخميدس" بتشغيل آلاته وأعطاها الحرية في العمل انطلقت في الجو أعداد لا تحصى من القذائف وأحجار ضخمة مذهلة بصوت وقوة هائلين لا تصدقان...هكذا تفرقت جموع المهاجمين "، ولكن رغم ذلك هزم "سيراكوزا" وقتل "أرخميدس" وبرهنت الآلات المستحدثة لم تستطع الصمود أمام القوة التقليدية المستعملة من قبل.

[1] - -برتراند راسل ، أثر العلم في المجتمع، مصدر سبق ذكره ، ص 120 .

لقد لعب العلم دورا هاما وحاسما في الحروب فالنار اليونانية أبقت الإمبراطورية البيزنطية لوقت ما، كما أن ظهور المدفعية ساهمت في زوال النظام الإقطاعي مما جعل مهارة رماة السهام اليونانيين تنتهي لتحل محلها مهارات رجال عصر النهضة في العلوم الحربية وتجلى ذلك بوضوح في رسالة "ليوناردو دافنشي" إلى دوق ميلانو بإعلامه عن تحسينات أدخلها على فن التحصين، أما "غاليليو" اعتمد علي حساباته لخط انطلاق قنابر المدافع لاستحال الوظيفة عند "دوق توسكانيا "، في حين أن الثورة الفرنسية فقد حافظت على رؤوس العلماء الذين يستخدمون في الحربية،لكن في الحرب أصبح كل شيء مباح وإن كانت توجد حادثة واحدة تمت فيها استشارة "فاراداي" في حرب "القرم "عن استعمال "الغازات السامة "رفض ذلك لدوافع إنسانية رغم فعاليتها، ولكن ماذا عن استعمالاتها اليوم؟ كل شيء ممكن ومباح.

يبين"راسل" كيف أن الحروب الحديثة تختلف عن القديمة فكم كان القدماء يفتخرون بالجنود الذين يتميزون بالشهامة والشجاعة، ولكن اليوم فيزيائي نووي واحد يعادل أكثر من العديد من فرق المشاة، إن ما يضمن الانتصار في الحرب ماعدا الاستخدام لأحدث الأساليب العلمية لم يعد الحماس الجماهيري بل الصناعة الثقيلة وهذا ما برهنت عليه حسبه "الولايات الأمريكية بعد "بيرل هاربر"، فلا أمة أظهرت ضروب الشجاعة ما أظهره اليابانيون، لكن الإنتاجية الصناعية الأمريكية قهرتهم في النهاية "[1]، فبدلا من الحديث عن الحماسة العسكري فلابد من السعي وراء النفط واليورانيوم والصلب للأمم الحديثة ، ويكمن الاختلاف بين الحروب القديمة والحديثة أن القديمة كانت أشد ضراوة وأكثر إهلاكا للأرواح من الحروب العلمية الحديثة ،نتيجة للتحسينات التي قدمها العلم في مجال الصحة ومحاربة الأوبئة ،وإن كانت هذه الأخيرة أعظم فتكا لأرواح البشر "فعندما حاصر "سنحاريب" أور السالم "فإن (185000) من جيشه ماتوا في ليلة واحدة ، وفعل الطاعون في أثينا الكثير ليقرر نتيجة الحر "البيلوبونيز"، وكذلك انتهت الحروب العديدة بين "سيراكوزا"وقرطاجة عادة بانتشار الأوبئة ....".

[1] - برتراند راسل ، مصدر سبق ذكره ، ص 108.

وبين"راسل"أن نسب الوفيات في الحروب اللاعلمية أكثر بكثير من الحربين العالميتين الأخيرتين،ولكن ليس معنى ذلك أن الحروب العلمية المقبلة والمستقبلية ستحمل نفس الانخفاض في عدد الوفيات، ولم يصل العلم إلى حد الآن أن يجعل الحرب مدمرة وهذا ما لا يقبله البعض.

يشير "راسل" إلى شرور الحرب وأن تأثير الحروب الحديثة على معنويات الأفراد يكون كبيرا وأكثر فداحة، وسببا في فقد النظام ومدمرا لنفسيات الشعب مقارنة بحروب "نابليون "، ويظهر ذلك من خلال الحروب الدائمة التي عرفتها فرنسا (1792-1815) ، ومنيت بالهزيمة في النهاية ، ولكن لا يقارن بشعور الشعوب الذي عانه سكان أوربا الوسطي بعد (1945) .

وإن محاولة وضع شروط وقوانين عامة غير ممكن في الحروب بدليل أن بعض الحروب الماضية كانت بنفس مستوى الحرب العالمية الثانية، من حيث التدمير والإخلال بالنظام في أماكن الحرب، "إذ أن شمال إفريقيا لم تستعد الرخاء الذي عرفته في عهد الرومان، وسوريا لم تستفق من حكم الأتراك وبلاد فارس لم تستفق من غزو المغول ".

يظهر "راسل" نوعين من الحروب "حروب خسائرها كاريثية وحروب تكون فيها الهزيمة فحسب ، ولكن المؤسف أن العالم الآن يتجه نحو النوع الأول من الحروب بسبب القنبلة الذرية، وبدرجة أكبر القنبلة الهيدروجينية، مما يوضح مساوئ العلم الجديدة إضافة إلى السابقة، ومما يثير الخوف والشك حول أثره على الإنسانية، وهذا ما جعل بعض العلماء ومن بينهم "أنشطتين " يبين أن هناك حرب إبادة لكل أنواع الحياة على الأرض،ولكن حسب"راسل" هذا لا يمنع حدوثه في الحروب القادمة في الخمسين سنة القادمة وإن كان هذا التوقع ممكن فنحن أمام خيارين :إما السماح للجنس البشري إبادة نفسه، وإما أن نتنازل عن بعض الحريات الغريزية الخاصة بنا، وخاصة قتل الأجانب حين نشعر بذلك، ويعتقد باحتمال الإبادة وإن كان إقناع أنفسنا يختلف عن ذلك بأن الحق ينتصر والإبادة لاتكون،وربما يعيش الإنسان آخر عهوده ويدين للعلم بإبادته.

وإن قررنا الحفاظ على الجنس البشري فعلينا القيام بتغيرات جذرية في طرق تفكيره وشعوره وسلوكاته، وعلينا "أن نتعلم أن لا نقول "كلا الموت ولا العار " [1]، مما يجعلنا تلتزم أمام القانون حتى لو كان مفروضا من طرف أجانب نكرههم، والذين ننظر إليهم أنهم متعامين عن الحق، ويعود بنا "راسل"بنظرة واقعية فاحصة للعلاقات الدولية التي عايشها، فالصراع العربي الإسرائيلي نتيجة التحكيم فيه لصالح العرب فسيكون مصير رئيس الولايات الأمريكية الزوال بصعود المعارضين للعهدة القادمة لأن مساندته للسلطة الدولية تفقده أصوات الناخبين اليهود في نيويورك، وإذا كان التحكيم لليهود سيعم سخط العرب المسلمين ويسانده في ذلك الناقمين وأنصار السلام، وهل تستطيع السلطة الدولية الفصل في نزاع إذا طالبت جمهورية "ايرلندا" باضطهاد البروتستانت في "ألستر" فأمريكا تساندها في ذلك وبينما بريطانيا تساند "ألستر" فما الحل ؟ مع العلم أن المصالح والمنافع أهم من الاستمرارية على الكوكب.

إن ما يوجد في طريق تحقيق استمرارية الجنس البشر هو مجرد أهواء شريرة في أذهان البشر فقط كالخوف و شهوة والقوة والكره والتعصب، ولا ينكر "راسل" أنها موجودة أكثر شيوعا في الشرق منها في الغرب، وإن السيطرة الغربية التي ستأتي بالسلام إلى العالم بعدما تقضي إحدى القوتين (الولايات المتحدة الأمريكية - الإتحاد السوفيتي) على الأخرى، ولتقدم الجنس البشري لابد من التخلص من عدم الثقة المتبادلة بين الشرق والغرب، وإذا كانت الشعوب الغربية هي السائدة، فإن الاستجابة والرضا سيحلان محل القوة، ولكن ما العمل ؟ الشيء الوحيد هو منع الانفجار والتفاؤل على أن تحل الحكمة مكان الحرب مع مرور الزمن، وأن يتعلم البشر ضبط العواطف وعليه الخضوع للقانون حتى مع اعتقادنا أنه غير عادل وجائر، يجب الاختيار بين هلاك الجنس البشري وبقاءه وهو قرار الاختيار بين التعقل و الموت، ولكن معنى التعقل هو الخضوع للقانون كما تقرره السلطات الدولية، والخوف من اختيار الموت والأمل في السلام .

[1] - برتراند راسل ،مصدر سبق ذكره ، ص110 .

وربما كان هذا الهاجس الأبرز لدى "راسل" يتلخص في السلام، الذي لن يتأتى إلا مع الحكومة العالمية الواحد والتي ستملك كل القوات المسلحة وستبدأ بنشر العلم والمعرفة والرفاهية في العالم بالتساوي، ثم تقوم على خفض معدلات الزيادات السكانية مما يحفظ الغذاء والتربة في العالم، وهذه الرؤية صعبة في الوقت الراهن،ولكنها ممكنة وضرورية في يوم ما، وضرورية لاستمرار الإنسان وتقدمه وحضارته.

ولكن على الرغم التقدير "لبرتراند راسل" وأنه أهم أعلام الفكر الغربي الحديث إلا أنه بدأ حديثه عن علاقة العلم بالحرب مع "أرخميدس" مما يعطينا مثلا عن تعالي الغرب وإنكاره لانجازات الحضارات الأخرى حيث أن موسوعة الموصل الحضارية تحمل الكثير من الأخبار عن تطوير الجيش الأشوري للمركبات القتالية والدبابات كلها تمثل استخداما للعلم في الحروب و الأشوريين ليسوا إلا واحدة من الأمم التي سبقت الإغريق ولا يمكن الاعتقاد أن قدامى المصريين والصينيين وغيرهم من الأمم الشرقية القديمة، كانوا أقل شأنا أو وعيا واستخداما للعلم من الإغريق ،لا بل إن الاحتمال المنطقي أن الإغريق أنفسهم تعلموا ذلك منهم ، كما تجلت الأفكار التقليدية عن نظرة الغرب إلي الشرق في أفكار "راسل" وتعليقاته، حين "يقول " الأهواء الشريرة أكثر شيوعا في الشرق منها في الغرب " وأن الغرب هو الذي يسود العالم ليحلل السلام والرضا محل القوة.

تعتبر أراء "راسل" حول "الماركسية" لأول وهلة تبين أنه يحس بنوع من العطف والميل إلى هذا المذهب في كتاباته المبكرة "الطرق إلى الحرية" و"مستقبل الحضارة الإنسانية "، مما دفع البعض إلى الاعتقاد بأنه تبني مبادئ الماركسية وعلينا أن ندرك أنه اعتقاد خاطئ ولا أساس له من الصحة، فالكتابات اللاحقة تظهر بما لا يدع مجالا للشك أنه تخلى نهائيا عن لهجة الاعتذار عن نظرية "ماركس".

والمحير أن "راسل" الملحد الذي يمجد العلم والعقل والتشكيك ويتحدث بلغة تنقلنا من عالمنا الأرضي ومشاكله الصغيرة إلى نطاق عالم علوي رحيب، وتجعل الاعتقاد أن أجمل في الحضارة المسيحية موجود في أعماقه، مهما حاول إنكار ذلك ويكفي التدليل على ذلك بقوله "أما الذين يشعرون إن الحياة على هذا

الكوكب ستكون حياة في سجن بغير النوافذ التي تطل على عالم أوسع خارجه، ولأولئك الذين يظهر لهم أن الاعتقاد بقدرة لا متناهية للإنسان هو نوع من العنجهية، والذين يفضلون حرية كبح العواطف التابعة من السيطرة على الشهوات بدل تفضيل السيطرة النابليونية التي ترى مملكة العالم تحت قدميها، وبعبارة أخرى : لمن لا يجدون للإنسان غاية ملائمة لعبادتهم، سيظهر العالم البراجماتي ضيقا وتافها يحرم الحياة من كل ما يعطينا القيم ويجعل الإنسان نفسه أصغر بحرمانه من الكون الذي يتأمل فيه العظمة والسناء"[1].

وما يستغرب اعتماد "راسل" على نص من التوراة على ما فيه من مبالغة غير واقعية ورغم تصريحات "راسل" أنه " ليس مسيحيا " إلا أنه في اعتماده على هذا النص يعكس تأثير تربيته الأولى على يد جدته التي حملت أراء المتطهرين والتي هي طائفة انجليزية ذات أسس كالفنية ويعتقدون بالتوراة .

[1] - - برتراند راسل، أثر العلم في المجتمع، ص 119.

المبحث الثالث :مميزات المجتمع العلمي

لا يكــاد مفكر سياسي أن تخلو أفكاره من تنــاول مشكلــة النظــام الاقتصادي والاجتماعي الأمثل الأفضل للبشرية، فقبل "أفلاطون " وحتى وقتنا الحالي، المفكرون يولون جانبا من العناية إلى الحديث عن ملامح النظام الأفضل والأمثل ومقوماته والتي يمكن إجمالها في مجموعة من السمات،من حيث شكل ملكية وسائل الإنتاج ، وطبيعة العلاقات الاجتماعية والقانونية التي تربط المشاركين في عملية الإنتاج من جهة، وبالدولة من جهة ثانية، وكذا القيم والمعايير التي يتم توزيع الناتج بناء عليها، وكذلك الهدف الذي يستهدف النظام تحقيقه في ظل مؤسساته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

ولقد عرف التاريخ نظما شتي من المجتمعات ، كما عرف تاريخ الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي أنماطا مختلفة من المفكرين الذين أولوا مشكلة النظام الاقتصادي والاجتماعي جانبا كبيرا من الاهتمام من خلال مناهج ومداخل مختلفة للبحث والتحليل، ومنهم من كان اهتمامه الأساسي منصبا على تحليل النظام القائم وإظهار مساوئه، والبحث عن النظام الأمثل، ومنهم من جعل جل اهتمامه تشييد بناء نظري يصور فيه ملامح المجتمع الفاضل في رأيه ، و"برتراند راسل " ليس استثناءًا من هؤلاء فقد أولى مشكلة النظم جانبا مهما من تفكيره إذ قام على المستوى النظري الخالص، بمناقشة ونقد آراء عدد من الاتجاهات التي عنيت لنظم، كما قام على المستوى الواقعي بدراسة ملامح أهم الأنظمة الرئيسية التي عاصرها وخاصة أهم الأنظمة الرأسمالية والاشتراكية مظهرا مزايا كل منهما ومساوئه في محاولة لطرح البديل، مع أن أهم الأنظمة التي عاصرها راسل في الفترة قبل الحرب الأولي جعلته يكرس موقفه من الرأسمالية والاشتراكية ويحدد مآخذ كل منهما، وكيف يكون المجتمع العلمي مستقرا؟

ستكون محاولتنا لعرض وجهة نظره لأهم هذه الأنظمة وأسسها ،ونقده لهذه الأسس ثم نعرض لأرائه لبعض الاتجاهات من خلا ل المبحث الثالث من الفصل الثاني كمحاولة لتحديد موقفه من الحضارة الصناعية ، مع تقديم الحلول المناسبة

لتجاوز عيوب النظم القائمة للخروج بوجهة نظره حول المجتمع الأمثل والأفضل والعملي الكفيل بتحقيق ذلك ؟

يتنبأ راسل بخطر العلم وأثره على المجتمع عندما بين أن العلم، بقدر ما يتيح للإنسان مستوى أفضل من الرفاهية، مقارنة بأي شيء في العصور السابقة، إلا أنه يعتبر أن هذا الرخاء ليس سوى « حالة آنية قد نفتقدها خلال جيل أو جيلين »، وذلك لأن العلم يتيح لنا « الرخاء بشروط »، وإذا لم تتحقق هذه الشروط، فإن « المردود السلبي للعلم سيفوق مردوده الايجابي أضعافا مضاعفة » ! ولكن ما هي الشروط التي حددها راسل من أكثر من ستين سنة ولم يتم الالتزام بها ولا تخطيها؟

يشترط راسل للاستفادة من العلم دون انعكاساته الجانبية، التخلص من الحروب واستقرارعدد السكان، وتوحيد السلطة ضمن حكومة عالمية تحكم العالم بصورة عادلة وتحتكر القوة المسلحة، وانتشار الرفاهية في العالم،وتوفيرعنصر المبادرة لدى الأفراد في العمل وفي اللهو، وتفويض السلطة والمسؤولية، ولكن رغم ذلك تساؤل عن هل يمكن لمجتمع الفكر والتقنية فيه علميين أن يستمر لفترة طويلة كما استمرت مصر الفرعونية مثلا؟ وهل يحوي ضمن ذاته قوى يجب أن تسبب له يوما الانحلال والانفجار ؟

يسمى "راسل" المجتمع العلمي استنادا على الدرجة التي تؤثر فيه المعرفة العلمية والتقنية المستندة لتلك المعرفة علي الحياة اليومية والسياسية والاقتصاد وهذا يعتبر قضية نسبية، حيث أن العلم في مراحله الأولى كانت له تأثيرات اجتماعية ضئيلة، باستثناء أثره على قلة من الناس الذين لديهم رغبة فيه، ولكن أضحى في الفترة الأخيرة يُغير في الحياة العادية وبتزايد مستمر.

ولكن ما معنى المجتمع المستقر عند راسل ؟ يراد باستخدام "راسل" لكلمة المستقر نفس المعني المستعمل في مجال الفيزياء "فالمصرع يعتبر مستقرا طالما بقي يدور بسرعة تزيد على حد معين، ثم يصبح غير مستقر ويقع، والذرة غير الفعالة

إشعاعيا هي مستقرة إلى أن يمسك بها فيزيائي نووي، والنجم يكون مستقرا لملايين السنين ثم ينفجر يوما ما [1]" فما المغزى من استقرارية المجتمع عنده ؟

لم ينظر "راسل" في أيهما أفضل إستقرارية آم عدمها لأنها مسألة تتعلق بالقيم وتخرج عن نطاق النقاش العلمي، فتساؤله كان حول ديمومة المنهج العلمي للمجتمعات متوقعة أم لا، لوأن المنهجية العلمية تواصلت لكان لابد من اعتماد المجتمع عليه بشكل أكبر، فالمعارف تتراكم، وإن كان العكس فسيكون شأنه الاضمحلال والزوال، مما يؤدي إلى ظهور أثار الاضمحلال من خلال الإعياء، أما الانفجار سيظهر كثورة أو حرب غير متوقعة .

وهذا ما جعل المشكلة احتمالية مثلا بالنظر إلى قياس الزمن ،حيث أن الفلكيون يؤكدون أن الأرض سوف تبقى صالحة للعيش لملايين السنين، إذا سار كل شيء على ما يرام، سيكون مستقبله أطول من ماضيه، وإن الواقع يؤكد على أن الإنسان في سباق بين المهارات لإنشاء الوسائل وطيشه قصد غايات تخصه، ولو أنه حصلت زيادة في المهارة لتحقيق قدر من الطيش فهي زيادة للأسوأ، وإن الواقع يبين ذلك السباق اللامتناهي حتى الآن،وإن اجتمعت المعرفة مع الطيش فبقاءه غير ممكن وإن المعرفة قوة، وقد تكون للخير كما للشر، ولابد أن تزداد حكمة الإنسان بقدر زيادة علمه، وأن زيادة العلم معناها الحزن والمأساة.

ويحاول "راسل" أن يضع ويحدد أسباب عدم الاستقرار تحت ثلاث أبواب الطبيعية والبيولوجية والسيكولوجية حيث أن الأسباب الطبيعية تكمن في استخدام الإنسان للصناعة والزراعة بأشكال سيئة تهدر موارد العالم من موارد طبيعية ويتجلى ذلك في استعمال الإنسان لأول الأرض، ماعدا وادي النيل الذي يتمتع بظروف خاصة، إذ أن الإنسان كلما استنزف أرضا ما، وعندما أصبحت لا تأتي بالمردود الوافر تركها، ثم أصبح يقدم القرابين للمنفعتين هما التقليل من الأفواه الواجب إطعامها وزيادة المحصول، ولكن استبدلت بالحرب ولكن لم تخفف من عدد

[1]- برتراند راسل، أثر العلم في المجتمع ، ترجمة :صباح صديق الدملوجي ، مراجعة حيدر حاج إسماعيل ، المنظمة العربية للترجمة لبنان،الطبعة الأولى ،2008 ، ص135 .

السكان، وبقى إنهاك الأراضي مستمرا حتى يومنا هذا "وكان لحدوث حوض التراب في الولايات المتحدة الأمريكية أثر في جلب الانتباه لهذه المشكلة [1]" إذ أن الطلب على الطعام أضحى ملحا وهذا يتطلب حكومة ذكية وقوية لتطبيق الإجراءات المطلوبة وإن كانت الحكومة ينعدم فيها الذكاء والقوة حاليا .

أما الصناعة فإن مواد الخام لا تقل جسامة عن الزراعة بدليل أن المناطق الغنية بالقصدير أستنزفت، والمناطق الجديدة سيكون حالها حال السابقة، وعاجلا أم آجلا ينفذ القصدير والمواد الخام الأخرى، وإن كان النفط له دوره حاليا في الازدهار الصناعي والحروب، ولكن سينفذ أيضا لاستخداماته في الحروب، وحتى وأن قال أحدهم الطاقة الذرية تحل محله ما سيحدث عندما تقضي خامات اليورانيوم والتوريوم على الإنسان والحيوان ؟.

وبما أن الإنسان يواصل الكشف عن وسائل جديدة ليستخدمها في الصناعة والزراعة، نظرا للحاجة التي تستدعي ذلك، فإن العالم كان يعيش على رأسماله، وبما أنه عالما صناعيا فعليه الاستمرار بذلك، وهذا مصدر لعدم استقرار المجتمع ولا يمكن التخلص منه إذن كيف تتجلى الأسباب البيولوجية؟

أما الأسباب البيولوجية فتكمن في نجاح الإنسان، ففي بداياته الأولى، كان صنفا نادرا، وأهم ميزاته استعمال اليدين والتعبير باللغة عن الخبرة والاختراعات، ويقر "راسل" بوجود ثلاث خطوات ساهمت في زيادة السكان هي : بداية بتدخين الحيوانات مرورا بالزراعة ،ووصولا للثورة الصناعية، وهذا ما ساعد على وجوده بأعداد هائلة ويحاول "راسل" أن يقدم فرضيته من خلال أن الطب بإمكانه أن يساهم في عد السكان "مما لا شك فيه أن الطب لو عرف كيف يكافح الموت الأسود في القرن الرابع عشرة، فان سكان أوربا في النصف الثاني كانوا سيصبحون أكثر مما هم عليه ... والنتيجة أن أعدادا أكبر من الأطفال يموتون من المجاعة في سن الخامسة والسادسة" وإن عدد السكان يعتمد على المدى البعيد على كمية الغذاء المتوفرة وليس على شيء أخر.

[1]- برتراند راسل، أثر العلم في المجتمع ، مصدر سبق ذكره، ص 137.

ومنه ما الذي ساهم به العلم في سبيل زيادة السكان ؟ فقد ساعد العلم على زيادة غلة "الأيكر "بفضل الماكينات الزراعية والأسمدة وكان له تأثير مباشر بزيادة إنتاجية ساعة العمل من الجهد البشري، أما التأثير الأخر ذا أهمية، حيث أصبح من الممكن بواسطة تحسين وسائل النقل لمنطقة ما إنتاج فائض من الغلة الزراعية، بينما الأخرى تنتج المواد الخام، بشرط عرض المنتجات بين مناطق العالم، ولكن قد تعاني هذه القاعدة الفشل في حالات الضيق "في روسيا بعد الحرب العالمية الأولى كان للفلاحين كمية كافية من الغذاء إلا أنهم لم يقبلوا مقايضتها بمنتجات المدينة عن طيب خاطر[1] " ونستنتج أن الصناعة أداة ترف-عدا تهيئتها لمتطلبات الزراعة- حيث في حالات الضيق تصبح منتجاتها غير قابلة للبيع،ولو ازدادت فترة الضيق فإن الصناعة ستضمحل، وأن التصنيع سيتوقف رغم تطورعديد من السنوات، وإن كانت تعتبر حالة الضيق حالة استثنائية ويجب التعامل معها وفق نمط معين .

وحيث أن ما يظهر في الحربين العالميتين أنها لم تؤثر بشكل كبير على عدد السكان، فما هي النتيجة التي لا يمكن تجنبها إذا لم يتم إيقاف عدد السكان ؟ أن ما سيحدث انخفاض كبير في مستوى المعيشة، مما يستدعي تقلص الطلب على البضائع الصناعية، وتكون الكماليات من الساعات والبيانو، الكتب وسائل ترفيه يقتنها الأفراد أصحاب النفوذ، ولما افترض "راسل" العالم موحدا، فإن السكان يتزايدون عندما يكون الحاصل جيدا وتقل المجاعة، ويقلون عندما يكون ضئيلا،ويتجهون إلى الزراعة بدلا من الصناعة، هل مسألة العدد مهمة وإن كان لا فما الذي يمكن عمله ؟

لابد للمجتمعات التي يكثر فيها عدد السكان أن تنمي الوسائل المساعدة علي التحكم في الزيادة، بالحملات الدعائية والتعليمية، وليس معنى ذلك غياب المعارضة، بل تكمن في الدين والسياسة القومية،فإن معارضة تحديد النسل يجر الجنس البشري إلى أخطار كثيرة، ولكن يرى"راسل" أن تحديد النسل ليس الوسيلة الوحيدة لمنع زيادة السكان،بل أيضا هناك حسب معارضي تحديد النسل، هي الحرب ولكن الحرب لم تخفض من عدد السكان، إلا إذا كانت جرثومية مرة كل جيل.

[1] - برتراند راسل، أثر العلم في المجتمع ،المصدر نفسه .ص 141 .

فما الطرق التي يمكن أن يؤمن بها المجتمع استقراره بالنسبة للسكان ؟ إن الطريق الأول تحديد النسل، وقد مارسه سكان أستراليا الأصليون،والثاني وأد الأطفال والحرب المدمرة فعلا ،فقد مارسه "الأزتيك والإسبارطيون " وحكام جمهورية "أفلاطون "، والطريق الثالث من خلال مستوى عام من الشقاء للسكان في ما عدا أقلية متنفذة ضئيلة العدد، وهذه التي يرغب فيها الغربيين ذوي النزعة العالمية تسود العالم وتمارس في روسيا السوفيتية.

من خلال هذه الوسائل يلاحظ "راسل" أن الوسيلة الوحيدة هي تحديد النسل التي تتجنب القسوة الفائقة والبؤس لغالبية الناس، وبما أنها لا توجد حكومة عالمية سيبقي التنافس على القوة قائم بين مختلف الأمم، وإن قوة الأمة الطريقة الوحيدة لتجنب الجوع مما يؤدي إلى تكتل الأمم الجائعة ضد الأمم وافرة الطعام، وهذا ما يبين سبب نجاح الشيوعية في الصين، ومنه يبرهن"راسل"على هذه الاعتبارات أن مجتمعا علميا لن يكتب له النجاح ما لم توجد حكومة عالمية تؤمن بتحديد النسل على مستوي العالم، وأن واقع العالم يبين أن حدوث الحروب لا يمكن تجنبها، وعواقب الحرب ستكون موتا من خلال الجوع.

ويرى"راسل" أن الحربان العالميتان خفضتا مستوى المدنية في عديد الدول ويتنبأ أن الحرب القادمة ستكون كارثية على الجنس البشري، إن لم تبرز قوة واحدة أو مجموعة من القوى وتنشأ حكومة عالمية تحتكر القوة المسلحة ،"ومن الواضح أن مستوى المدينة ينخفض باستمرار إلي الحد الذي تصبح فيه الحرب العلمية غير ممكنة أي حتى يندثر العلم، وعندما يهبط الإنسان إلى مستوى القوس أو النشاب فإن الجنس البشري قد يتنفس الصعداء ثانية ويبدأ بالتسلق من جديد عبرالطريق الكئيب إلى نهاية عبثية مشابهة[1] "، إذا كانت هذه هي الأسباب البيولوجية فكيف تتجلي الأسباب النفسية ؟

نظرا للتطور الذي أحرزته العلوم الطبيعية والبيولوجية مقارنة بعلم النفس ،إلا أن الظروف النفسية لها دور في استقرار المجتمع، حيث أكد علم النفس القديم على

[1]- برتراند راسل، أثر العلم في المجتمع ،مصدر سبق ذكره ، ص 145.

أن الإنسان لو أدرك أن نمطا معينا من السلوك قد يؤدي إلى تملكته سوف يتجنبه "إذ أن في الميدان السياسي من الممكن إقناع الناس بالحجة والبرهان، حيث يقومون بتقديرات عقلية للأمور قبل اتخاذ خطوة عملية فيها[1]"، ويتجلى ذلك جيدا من خلال "جريمي بنتام" حيث أن "ما يسعى إليه الإنسان تحصيل أكبر قدر من السعادة لأنفسهم فمهمة القانون هي التأكد من أن أي شخص في سعيه إلى سعادته القصوى لن يمس حق الآخرين في السعي إلى نفس الهدف، وعلى نحو يتحقق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس[2]" فمعظم الناس يتبعون ما في مصلحتهم بطريقة معقولة نوعا ما نتيجة للتحليل النفسي بصورة أساسية.

يؤكد "راسل"أن هناك علتان نفسيتان متعاكستان تسيطران سياسيا ويتمثل العامل الأول النموذجي في العقلية النازية، وأما العامل الثاني في العقلية الفرنسية التي أضعفت مقاومتهم للألمان في الحرب العالمية الثانية، وهما مرتبطتان بصورة وثيقة بالتنظيم الشامل الناتج عن التصنيع ،ففي حالة الأمة التى تسعى في مغامرات ونتائجها وخيمة، أو في حالة الأمة التي لا تستطيع تجنب الأخطار، ولا تحمل على عاتقها مهام عسيرة، فكلا الحالتين يفسرهما مرض عميق الجذور بسبب انعدام الانسجام بين المزاج وأساليب الحياة.

ومن أسباب المرض هو سرعة تغيير الظروف المادية، إذ أن زيارة "راسل" لليابان (1921) يبين أن وجوه الناس تبين العصبية الشديدة، نظرا لسعي الياباني ليصبح شبيها بالأمريكي قدر الإمكان، وبحكم عدم التوافق بين الوعي وعدم الوعي أن يؤدي إلى تثبيط العزم أو الهيجان العنيف، وهذا ما يحدث حيثما كان هناك تصنيع سريع .

وبما أن العلم قد سرع من التغيرات الخارجية للمجتمعات إلا أنه لم حتى الآن وسيلة للتغير النفسي وخاصة حالات اللاوعي، وقليل جدا من البالغين يتكيفون بصورة غير واعية مع ظروف مختلفة لتلك التي سيطرت على حياتهم أثناء الطفولة .

[1]-. برتراند راسل ،حكمة الغرب، ترجمة فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط .دت ، ص161.
[2] -برتراند راسل ،حكمة الغرب، المصدر السابق، ص 159

لكن سرعة التغير ما هي إلا سبب واحد من أسباب التذمر النفسي، أما السبب الآخر والأكثر فعالية هو زيادة خضوع الفرد لمؤسسة ومن غير الممكن تجنبها في المجتمع العلمي، وتظهر صعوبة المشكلة من طبيعة المجتمعات الحديثة المتميزة بالارتباط العضوي الذي يجعل من الفرد و يعتمد على الجميع إلي درجة أعلى من عهود " ما قبل الصناعية" مما يؤدي إلى كبح الطموحات، ولكن هذا الكبح قد يكون مدمرا وأشد قسوة و ثورة فوضوية، ولكي لا تثور الشعوب وتحطم من ثورة غضبها كل انتاجاتها، فلا بد من إيجاد الوسائل الممكنة لإعطاء قدر من الفردية مما هو متاح للأفراد في العصر الحديث .

واستنتج "راسل" أن المجتمع ليتمتع بالاستقرار إذا كان مرضيا بصورة عامة للماسكين بزمام الحكم، وأن يكون هؤلاء غير معرضين لثورة ناجحة، وإن حصل وتعرض المجتمع لمغامرات طائشة كحرب الألمان التي قادها " هتلر"، فالمغامرة كانت تحركها الأهواء التدميرية .

وإنه بعد عرض لأسباب عدم الاستقرار يمكننا أن نتساءل عن المجتمع العلمي الذي تصوره راسل ؟ ما هو هذا المجتمع ما مميزاته ؟ وكيف يمكن أن تكون علاقة الفرد بالمجوع فيه؟ وكيف تكون التربية والتعليم فيه والتناسل؟

يقول راسل" في حديثه عن المجتمع العلمي أنه ينتمي إلى المستقبل وإن كانت أغلب إرهاصاته موجودة في الحاضر، ويتصور هذا المجتمع في من حيث استخدامه للنهج العلمي في شتى المجالات من تعليم و دعاية وإنتاج ... ويبين أن المجتمعات القديمة وجدت كنتيجة لمجموعة من الأسباب الطبيعية وعدم التخطيط، ولكي نعتبر المجتمع علميا لا بد له من بناء معين يحقق غايات خاصة، وهذا يتجلى بوضوح في ثورتين الأمريكية والروسية اللتان هدفتا إلى خلق مجتمعات بمميزات خاصة وفي أغلبها سياسية، ولم يكن لأثرها في الاتجاهات الأخرى جزءا من الغايات الرئيسة المهمة للثوريين، فالمنهج العلمي زاد من قدرة الحكومات بما أحدثه من تغيرات عميقة بالمجتمعات، أكثر من تغيرات المفكرين ك"جفرسون" و"روبسبيير" " لقد علمنا العلم أول الأمر خلق الآلات، وهو يعلمنا الآن بفضل قانون "مندل" في علم

السلالات وعلم الأجنة التجريبي أن نخلق نباتات جديدة "[1]، وإن من خلال مختلف الوسائل النفسية والاقتصادية أصبح ممكنا خلق مجتمعات صناعية كأنها الآلة البخارية ليكون العلم اجتماعيا ومكتملا، وأن المجتمعات الصناعية تتصف بخصائص لم يهدف إليها صانعوها، إن صنع مجتمع قائم على تخطيط هو حافز عند من يجمعون بين الذكاء والنشاط وفقا لخطة معينة، ويرى "راسل" أن إمكان خلق مجتمع صناعي متمثل في العصر الحالي في اليابان وروسيا السوفيتية وألمانيا النازية، ويستشهد "راسل" بأروع الانتصارات السياسية في التاريخ كله باليابان الحديثة وكان هدفها المحافظة على الاستقلال القومي، مع إدخال التعليم الغربي وأساليب الصناعة الغربية بوسائل الضغط الحكومة، وفقا لمقتضيات تاريخ اليابان وظروفها ،لقد أبانت اليابان عن تكييف العلم وفق مقتضيات السياسية.

أن العلم قد يكون من حيث القوة العقلية هو مدمر للتماسك الاجتماعي، أما كقوة صناعية فيزيد من قوة وحجم المنظمات، وسلطة الحكومات المركزية، فكان على الحكومات مصادقته وتبنيه، وإن الإنسان سواء في الغرب أو اليابان يحتضن المعتقدات ، "أما العلماء سواء في اليابان أو الغرب- كانوا باستثناء القليلين- طائعين راضخين لمعتقدات الحكومة، لأن معظمهم مواطنون في المحل الأول، وخدام للحقيقة في المحل الثاني فقط "[2] .

كما حاول "راسل" أن يعرض مقارنة بين البناء العلمي في كل من اليابان والحكومة السوفيتية، بأن التجربة السوفيتية كانت أكثر طموحا وتهدف إلى تغيير عظيم في النظم الاجتماعية وإلى إنشاء مجتمع يختلف عن السابقة، ولم يبدي "راسل" رأيه حول نجاح أو فشل هذه التجربة ولكن أبرز عناصر التخطيط التي تقربنا إلى المجتمع العلمي أولها تحكم الدولة في الإنتاج والتوزيع، وثانيها رسم منهج تعلمي وثالثها إحلال الدين الخاص للدولة في مكان مختلف العقائد، ورابعها رقابة الصحف والأدب وتوجيههما حسب أغراض الدولة ،وخامسها إضعاف سلطة الأسرة من حيث

[1] -برتراند راسل، النظرة العلمية ، ترجمة عثمان نوية ، دار الثقافة والنشر دمشق ، الطبعة الأولى 2008 .ص188 .
[2] - برتراند راسل ، النظرة العلمية ، مصدر سبق ذكره ، ص 192 .

أنها تمثل نوعا من الولاء ينافس ولاء الدولة ، وسادسها أن تسعى الحكومة لتحقيق التوازن الاقتصادي في الحرب والسياسة الخارجية قصد الراحة المادية للأفراد وتتفوق الإدارة المركزية في التجربة السوفيتية عن ما يوجد في العالم.

لقد قويت طرق الدعاية الحديثة، كما قويت وسائل الحرب الحديثة من طائرات وقنابل ذرية، مما جعل الثورة أمرا عسيرا، ما لم يؤيدها رجال الطيران والكيمياء وإن المنهج العلمي يتطلب التنظيم، فلابد من تنظيم عالمي للإنتاج الصناعي يؤمن الرخاء لكل أقطار العالم، "وإن مزايا التنظيم العالمي في الوقاية من الإسراف الناتج عن المنافسة الاقتصادية أو في تجنب خطر الحرب، هي مزايا ضخمة بدرجة تصير معها شرطا أساسيا لبقاء المجتمعات ذات المنهج العلمي"[1]، إن الحكومة العالمية ضرورية ليرقى بها الجنس البشري، ومن فوائد الحكومة العالمية أمان من الحرب وتوفير كامل للجهود والنفقات المخصصة للتسلح، وأدوات الحرب الوحيدة هي الطائرات والحرب الكيميائية، كما تدعوا الحكومة إلى استبدال الدعاية القومية التي هي سبب للفوضى بالدعاية للولاء للدولة العالمية، مما يسمح للكسب الاقتصادي بالتطور ويمنع الإسراف في الإنتاج التنافسي، فلا توجد مشاكل البطالة والفقر، وإن العامل سيعيش الراحة، ومن لا يمارس عملا يودع السجن، وإن وجدت أعمال تستنفذ أدوارها ولم يعد الأفراد بحاجة لها، فسيكون على صاحب الحرفة البحث عن عمل أخر يتقنه، وفي أثناء التدريب، سيكفل له المجتمع رزقه، ويكون دور الاقتصاد المحافظة على ثبات عدد السكان، ويمنع عن الأفراد كل ما هو مفجع ومأسوي، مع وجود تربية رشيدة وحكيمة وتغذية ملائمة يمكن أن تشفي الناس من نزعتهم الجامحة تصبح الحياة سعيدة.

يضع "راسل" ضرورة وجود لغة عالمية إما "الإسبرانتو" أو" الانجليزية الدارجة المبسطة"، مع شريطة أن لا تتم ترجمة الشطر الأكبر من الأدب القديم بسبب أنه يؤدي إلى الاضطراب، فقلة من لهم مزية دراسة التاريخ،وهم الجادين مع ترخيص من الحكومة، أما العامة منهم محضورعنهم ذلك لتمجيدهم القتل الفردي، مع منع كتب

[1] - برتراند راسل، النظرية العلمية، سبق ذكره ، ص 195 .

القراصنة والهنود الحمر عن الأطفال، ومنع عنهم موضوعات الحب لما لها من شرور، مما يجعل من الفضيلة ميزة للحياة السعيدة، وبحكم ما يحمل العلم من خير وشر، فلابد أن يكبح جماح الدوافع الهدامة.

حاول "راسل" أن يتحدث عن الحرية الفردية التي لاحظ أنها مقيدة بسبب المنهج العلمي الحديث يجعل المجتمع متماسكا ووحدة، وعلم الاجتماع الحديث الذي يزيد من إدراك الناس للقوانين العلية، التي تجعل أعمال الناس ضارة ونافعة، ويرى أن تبرير الحرية الفردية في المجتمع مستقبلا ستكون من وجهة الصورة التي تنفع المجتمع ككل، ويستدل "راسل" على فكرة استثمار الأموال الذي تكون فائدته الاجتماعية أعظم، وليس تحقيق أكبر الأرباح، ويستشهد بمثال من يستثمر في السيارات وسكة الحديد، وحتى لو كانت أرباح السيارات مجزية مقارنة بالسكة الحديد ولكن بما يتعلق المجتمع فهو على النقيض من ذلك.

كما يعتمد "راسل" على موضوع الإسكان، ليبين أن تفضيل الانجليز منازل صغيرة خاصة على شقة في منزل كبير، مما يؤدي إلى تناثر لندن في القبح والكآبة ويجد الأطفال أنفسهم يعانون الحشر في أبنية خانقة، مما كان من "راسل" أن يفكر في أن يعيش المجتمع بحكمة، بواسطة إقامة الأسر في منزل ضخم يتوسطه فناء، وبه طهي جماعي وتقدم وجبات عامة، مما يجعل الأطفال يقضون يومهم بقاعات واسعة بها تهوية، مع وجود مربيات يسعدن الأطفال، أما النساء فيجب تفرغهم للعمل خارج المنزل ويستدل بتجربة أنجت الأطفال من الكساح بمدرسة حضانة "راشيل مكميلاز".

ما المقصود الحكومة أهل هي التي تحتوي على العلماء ؟ لا يعني "راسل" بالحكومة العلمية ليس مجرد حكومة تحتوي على العلماء، فحكومة "نابليون " كان فيها الكثير من العلماء، وإنها نسبة لقدرتها على إحداث نتائج مقصودة ،"كلما زاد عدد النتائج التي تستطيع القصد إليها وإحداثها "[1].

بفضل المعرفة يمكن للحكومة أن تصل إلى نتائج مقصودة، وبمرور الوقت تستطيع الحكومات تحقيق نتائج معتبرة، من الوجهة النظر التكنولوجية دون الوجهة

[1] - برتراند راسل، النظرية العلمية،مصدر سبق ذكره ، ص 209

النفسية مما جعل "راسل" يبين مثلا أن تحسين السلالة البشرية هو في وقت ما سياسة عملية، وقد تحل محله طرق مباشرة لإجراء عمليات على الأجنة، ولما يصير ذلك ممكنا فإنه حتما ستجد من العلماء المثاليين العمليين، ويرى أن أغلب العلماء المثاليين هم من نموذج الحالمين والفاعلين والمثالي يتوسطهما " لقد كان "وليم موريس" يجد السعادة في يوتوبيا "أخبار من لا مكان " ،أما "لينين" فلم يجد قناعة حتى يستطيع إلباس أرائه ثوب الواقع "[1]،إن النموذج الذي يحقق المجتمع العلمي هو الفاعل، وأبرز أمثلته هو "لينين".

إن العلم في السنوات الأخيرة أخذ على عاتقه قيادة الصناعة، فظروف المدينة الحديثة فرضت الاستناد على الصناعة والعلم التطبيقي لتحقق رخائها، وإن العاملين به يحتلون مناصب مرموقة بالمجتمع، وأنهم يسعون أيضا للسلامة الاجتماعية والصناعية، مع تشجيع على البحث، وهذا ما يوضح أن معرفتهم تفرض عليهم نوعا من المسؤولية اتجاه المجتمع، وكل من يأمل في مجتمع منظم يسعى لترجمة حلمه علي الرغم من العقبات كالقصور الذاتي والعادة، فالأخلاق المسيحية كانت في القديم تهتم بروح الفرد، في حين الأخلاق الحديثة نامية مع المنهج العلمي فهي أكثر عناية بالمجتمع منها بالفرد وهكذا تتبدل الأخلاق التقليدية بالتعود على النظر إلى المجتمع من أنه كل.

ما السبيل إلى تنظيم الحكومة العلمية في أمور الحكم ؟ يفترض "راسل" قيام حكومة علمية، وأن الحرب العالمية التالية إن لم تنتهي بالتساوي بين الاتحاد السوفيتي و أمريكا، حتما ستكون السيادة لروسيا أو أمريكا، وبهذا ستنشأ الحكومة العالمية وأن يحكم السلطة هم الخبراء، وبتعود الحكام على العيش الكسل فإنهم يتركون سلطانهم ليغتصبها الخبراء، وبمرور الوقت يصبح الخبراء هم الحكومة الحقيقية للعالم فجماعة الخبراء تتضمن الرجال البارزين في العلم فتملك الأسلحة الحديثة وأسرار فن الحرب وتسيطر على الدعاية والعلم، مما يمنع الحرب ومقاومة غير العلمين لها، وتعلم الولاء للحكومة العالمية، فتبث الخضوع للغالبية العظمى من السكان " تقصر الابتكار وتعود

[1] - برتراند راسل، النظرية العلمية، مصدر سبق ذكره ،ص210 .

السطوة على أعضائها أنفسهم، وقد تخترع وسائل بارعة لإخفاء سلطتها، وتترك التشكيلات الديمقراطية على حالها، وتترك الأغنياء يعتقدون أنهم يديرون التشكيلات بمهارة، ولكن حين يرين الغباء على الأغنياء بسبب الكسل، فإنهم سيفقدون ثروتهم لأنها ستسرب إلى الملكية العامة التي تسيطر عليها حكومة الخبراء، وكذلك لن يكون للشكل الخارجي من أثر، مادامت السلطة الرئيسية ستتركز في أيدي من يحذقون استخدام العلم"[1].

لكن رغم هذا التخيل الجامح إلا أن أغلب الظن أن الحضارة العلمية لا تحمل روح الاستقرار فالصور تؤكد أن الاختراعات العلمية ما هي إلا وسيلة للهجوم بدلا من الدفاع، ووضع احتمال أن تستعيد الاختراعات دورها الدفاعي قبل الحرب التالية ولوأنه لم يتحقق ذلك فإن إما أمريكا أو روسيا ستكون بعد الحرب هي المخولة للتنظيم حكومة عالمية، فهذه الحرب ستغير ظروف العالم فلا تبقي الحضارة، وما يكون من مستثمري الأموال إلا استغلال مأمون لأموالهم في دول العالم القديم، كما أن انخفاض نسبة المواليد يؤدي إلى عدم استقرار الحضارة، بدليل الدول الأوربية قل عدد المواليد فمثلا فرنسا أصبحت تعتمد على الفرق الإفريقية، وما الحل ؟ يسعى "راسل" إلى إتباع طرق صناعية لاستكثار الجنس البشري ورفع عدد المواليد.

كيف ستنتظم الحضارة العلمية في الاقتصاد ؟ يرى "راسل" أن ذلك يتطلب تنظيم عالمي،فيكون تنظيم الإنتاج على أساس قومي بالحواجز الجمركية، وكل أمة تحاول أن تنتج في بلادها كل ما تستهلكه من السلع، مثلا "بريطانيا " تحاول زيادة صادرتها إلى الحد الأقصى بإتباع مبدأ حرية التجارة واستخدمت العزلة الاقتصادية نسبيا،وإن تنظيم الإنتاج يتم وفقا تحديد مواطن معظم المنتجات الصناعية في العالم ويكون موطنا لصنع الإبر والدبابيس، موطن لصنع المقصات والسكاكين، وآخر للطائرات وآخر للآلات الزراعية، ومن أول واجبات هذه الحكومة التنظيم العالمي للإنتاج، ويسير وفق أوامر الحكومة العالمية، وتتحكم سلطة مركزية في الإشراف على المواد الخام في كل مجتمع علمي، وتتحكم السلطة العسكرية في المواد الخام وإن

[1] - برتراند راسل، النظرة العلمية، المصدر نفسه، ص217

استعمار الدول قصد الحصول على المواد الخام يجب أن تؤول للدولة العالمية وتوزعها بحسب المهارة، ولو حدث أن لاحظ الخبراء نفاذ مادة خام ما عليهم إيجاد البديل، مع احتفاظ السلطة العالمية على " اليورانيوم" و" الثور يوم"، أو أي مادة خام تصلح لتوليد الطاقة الذرية.

أما عن الزراعة كان لابد من وجود حرير صناعي وخشب ومطاط صناعيين وبمرور الزمن يمكن الحصول على غذاء صناعي "ولكن في الوقت ذاته سيزداد تصنيع الزراعة، سواء في أساليبها أو في عقلية المشتغلين بها "[1]، مما يزيد من استخدام الآلات الصناعية ومع إنتاج محاصيل كثيرة في الأسواق الكبيرة بالمدن وكما يمكن إقامة الزراعة المركزة بواسطة وسائل التدفئة للتربة صناعيا.

ويسمح ذلك للانتشار بالريف محطات لتوليد الطاقة يتجمع حولها السكان وهذا ما يمنح جميع أفراد المجتمع فرصة العمل مع تدريب مستمرعلى الحرف الجديدة وإن المناصب ذات النفوذ للأكفأ وتكون حسب امتحانات الذكاء، وأن الأعمال الدنيا من اختصاص الزنوج، وأفضل الأعمال التي لها أجرمرتفع هي الممتعة لما لها من مهارة فنية، ومما لا شك فيه آن التمييز العنصري بين العمال، وسيكون وراثيا فلا وجود لمساواة، وستغدو الحياة خالية من المغامرة إلا للخبراء الذين لهم أعلى المرتبات "إن الناس ما برحوا منذ فجر الحضارة يتشوقون إلى الأمن كما لم يتشوقوا إلى شيء أخر وهذا سيتحقق لهن في هذا العالم، ولكنني لست على ثقة من أنهم سيرون أن سيتحقق الثمن الذي استقضاهم تحقيقه "[2].

كيف يمكن تربية الأفراد في المجتمع العلمي ؟ يرى "راسل" أن هدفا التربية هو تكوين العقل وإعداد المواطن فاختار الأثينيون الهدف الأول وركز الاسبرطيون علي الثاني، ويمكن فهم التربية مقارنة باليسوعيين، فقدم اليسوعيين نوعا من التربية حسب نوع الأفراد بين من يكون من جماعة اليسوع ومن يكون من الرجال العاديين، وعلي هذا الشكل يمكن أن يقدم المجتمع العلمي التعليم لرجاله ونساءه حسب من

[1] - برتراند راسل، النظرة العلمية ، سبق ذكره، ص221 .
[2] - برتراند راسل ،سبق ذكره، ص222 .

يمارس زمام السيطرة العلمية ومن هم من العاديين فيشترط فيهم القناعة ومن يكفل هذه الصفة هي أبحاث التحليل النفسي والسلوكية و الكيمياء الحيوية .

فالتربية للأطفال تكون وفق منهج يمنع حدوث العقد النفسية، بعيدا عن نزوات الآباء، وبإتباع أفضل أراء علماء الكيمياء الحيوية، ومنحهم أوقات في الهواء الطلق لصحتهم، وتقدم المعارف الضرورية بالتدريب العسكري والطرق الأنعم المتبعة من طرف الكشافة، والتعليم يتم في سن مبكرة للبنات والأولاد بغرس روح التعاون ، مع تثبيط روح الابتكار فيهم، ولا وجود لعقاب على التمردات بل بأوامر التدريب العلمي.

يكون تعليمهم يدويا إلى أقصي حد ممكن ،وبانتهاء الدراسة يعلموا حرفة ما يقدرها الخبراء بحسب استعدادهم، ويقدم الدروس الشكلية على الإذاعة والسينما للجميع في القطر، ويشرف على تقديمها أعضاء الطبقة الحاكمة، ويحل محل المدرس سيدة فاضلة تحافظ علي النظام وحسن سلوك الأطفال، أما أطفال الطبقة الحاكمة يختلف تعليمهم، فيهم من يُختار قبل الميلاد، ومنهم من يختار بعد سن الثالثة، وقليل من يختار بين سني الثالثة والسادسة بتطبيق كل ما توصل إليه العلم قصد تنمية الذكاء وقوة الإرادة .

كما يمكن استخدام علم تحسين السلالة البشرية، والعلاج الكيميائي للجنين ومراعاة التغذية السليمة، وستظهر النظرة العلمية منذ بداية التكلم عند الطفل، مع منعه من الاختلاط بالجهلة وغير العلميين، وفي سن الثانية عشرة يتخصص ببعض العلوم التي يبدي فيها مقدرة، ويكلف لا بمهمة تنظيم من يصغرونه سنا ويلام إن لم يلقى الطاعة منهم، وأن يتعلم الجلد الجسماني بتدحرج على الثلج والصوم أربع وعشرون ساعة من حين لآخر ويتواصل التعليم حتى سن الواحدة والعشرين.

وإن حصل وفشل أحدهم في تدريبات الثلاث شعب من كبح النفس والآخرين والذكاء، فيكون مصيره الإنزال إلى طبقة العمال العاديين، وهذا ما يدفع لتشجيع الأفراد من الطبقة الحاكمة على المغامرة والجد والابتكار، ومن واجباتهم ترقية المناهج العلمية، واستحداث الجديد دائما للعمال لتنتج المتعة من العمل، سيبث فيهم إدراك للواجب وأنهم عماد المجتمع.

فالمرحلة الأخيرة في التربية للحاكمين هي مرحلة التدريب على البحث ويرأسه المسنين قانعين باعتقادهم في الأساسيات، وأي جديد يعارض الأساسيات ينزل صاحبه إلي طبقة العمال، ويحبسوا أرائهم حتى وصولهم للسلطة، وفي أعلي مستوى، وحسب الرغبة في البحث ومقدرتهم فيه، وتحجب المعرفة عن الجميع إلا القليلين منهم .

أما العمال فلا حيلة لهم بالبحث العلم والتفكير الجدي، وتوفر لهم سبل الراحة والترفيه، بعد فراغهم من عملهم، حيث آن ساعات العمل تكون أقل، وفي الحالات النادرة التي يرتقي فهي أحد الأفراد العاديين إلى مستوى الطبقة الحاكمة فعليه اجتياز بعض الامتحانات، لكن إن لم يبدي أي ارتباط برفقائه لابد من إعدامه لأنه سيكون خطرا علي المجتمع، وقد يؤدي إلى تمرد بسبب ذكائه غير المروض.

ويفترض "راسل" أن الطبقة الحاكمة ستسعى لأن تكون وراثية، ومن الصعب أيضا آن يتم نقل الأفراد من الطبقتين وهذا وارد نتيجة لو أنه استعمل علم الأجنة في تحسين النسل فقط للطبقة الحاكمة، وهذا سيوسع من دائرة الذكاء، ولكن لن يمنع ذلك من إلغاء طبقة الأقل ذكاء، نظرا لأن الطبقة الحاكمة لن تقوم بالعمل اليدوي.

يمكن جمع مختلف الملاحظات حول المجتمع العلمي لكي يكون مستقرا :

أولا : فيما يخص الحالة الطبيعية، يجب عدم استنفاذ التربة والمواد الخام بشكل رهيب فلا يستطيع العلم تعويض خسارتها بواسطة الابتكارات العلمية، فوجود التقدم العلمي مهم للرفاهية والتطور الاجتماعي، ولإدامة فائدة المواد الخام يجب أن تراقبها هيئة دولية .

ثانيا: لمنع نقص المواد الغذائية يجب أن نستعمل الأساليب الزراعية الحسنة للتربة وأن لا يستبق النمو السكاني الزيادة التي يمكن تحقيقها في إنتاج الغذاء بواسطة التحسينات التقنية ،ولمعالجة مشكلة السكان لابد من سلطة دولية قوية، يجب إن توزع الغذاء بين مختلف أمم العالم.

وبصفة عامة نستطيع القول أن المجتمع العلمي يتعلق استقراره بمشكلة الزيادة السكانية إذا بلغ مستوى الرفاهية كمستوى أمريكا حاليا، فنجاح ذلك متعلق بالسكان، أما فيما يتعلق بالحالات النفسية للاستقرار، فنجد ضرورة الرخاء الاقتصادي

وأهميته مما يستدعي سلاما مضمونا وعددا محددا من السكان وتقنية إنتاج علمية فلا مانع من تمتع كل الأفراد بذلك، مما يوسع من طريقة الحكم الفيدرالي ومع المحافظة على نوع من الاستقلال.

ومنه المجتمع الأفضل والمستقر هو ذاك الذي لديه أولا حكومة واحدة وتملك وتحتكر القوة المسلحة وتفـرض السلام، وثانيا تحيق الرفاهية للجميع بدون استثناء وثالثا وهو ما يحققه الشرط السابق وهو تنظيم لعدد السكان ،وأما رابعا فهو توفر المبادرة الفردية في العمل واللهو وأكبر قدر من تفويض المسؤولية متماش مع إدامة الإطار السياسي والاقتصادي العام، ولكن هل بإمكان عالمنا الآن تحقيق كل هذا ؟ لا يمكن ذلك، لأن عالمنا مازال بعيدا كل البعد عن ذلك، وشقاؤه كبير ومتواصل.

بعد هذا الاستعراض لوجهة نظر "راسل" في بحثه عن المجتمع العلمي الأفضل يمكننا أن نتساءل عن النموذج الذي سعى "راسل" أن يحققه ؟ وكيف يتجلى السلام بين وحدات العالم ؟إن كان يريد أن يستمد من الرأسمالية حرصها على الإرادة الفردية، ومن الاشتراكية رفضها للاستغلال الناتج عن الملكية الخاصة، ومن الفوضوية رفضها لمؤسسات القهر الممارس باسم القانون إزاء الأقليات والأفراد والنظام الذي يتحقق فيه كل هذا هو الفيدرالية المتدرجة، وإن كان المجتمع الذي ينشده يقوم على العلم فما مدى سلبيات العلم والحضارة على الجنس البشري؟ وما مدى محافظتها على الإنسان ؟ وما مدى قيمة السلام في العالم؟ وكيف تتم المحافظة عليه؟.

الفصل الثالث : حكومة السلام العالمية : الرؤية والغايات

المبحث الاول : حكومة السلام العالمية

إذا كان المجتمع الأفضل المبني على العلم ،وهو الذي تحكم زمام الأمور فيه الحكومة العالمية والتي تملك القوات المسلحة، وتبدأ بنشر العلم والمعرفة والرفاهية بالتساوي بين أمم العالم، وتسعى إلى خفض معدل الزيادات السكانية مما يحفظ الغذاء والتربة في العالم، ولكن كيف يمكن لهذه الحكومة أن تحقق السلام في عالم تشظى خاصة مع الحربين العالميتين، ومع الحرب الباردة؟ وكيف يمكن أن نتحدث عن الحروب العادلة و غير العادلة ؟ وكيف تمكن "راسل" من أن يكون من دعاة السلام بعد أن عاش ردحا من الزمن وهو رجل فكر رياضي وكان في برجه العاجي المتعالي بعيدا عن الواقع والظروف العالمية التي تعيشها الأمم ؟

بدأ "راسل" حياته يسأل فور تعلمه الكلام فكتبت أمه بعد ثلاث أيام من مولده تقول "إنه يرفع رأسه عاليا ،ويلتفت حوله بطريقة نشيطة للغاية ..."[1]، وهكذا ظل "رسل" دائما يلتفت من حوله بنشاط وعزيمة لإقرار مبادئه حتى جاوز الثمانين من عمره[2]، بين أحاديث عن الحرب والسلام، ويقول في حديثه عن حياته، وعن موقفه منهما ، أن حياته تنقسم بشكل واضح إلى فترتين متباينتين فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، وفترة ما بعد هذه الحرب مما جعله ينفض الغبار عن كثير من التحيزات والاعتقادات، فمنذ (1902) وهو يلاحظ كل الشواهد الدالة على مآسي الحروب وأخطارها وأهوالها على نفس كل إنسان بما تبعثه من قنوط ويأس،حيث يصف "كينز" في مذكراته الحالة الفكرية في "كامبريدج" قبل نشوب الحرب" أن "برتي" بصفة خاصة صاحب رأيين متناقضين بصورة مضحكة، فقد كان من رأيه أن شؤون الإنسان تجري، في واقع الأمر، على نهج لا يخضع لمنطق العقل إلى أبعد الحدود، في حين أن علاج هذا هين يسير للغاية، لأن ما يلزمنا في ذلك هو أن نسير بها على هدي من العقل" وإذ أنه لا يمكن أن نعتبر"راسل" صاحب هذه الصورة، فنقد" كينز" يثير الدهشة بحكم أن موقف "راسل" قبيل الحرب كان في "كامبريدج" يناقش مع كل إنسان رأيه فيها ومحاولا جمع توقيعات الأساتذة على بيان الحياد لانجلترا في الحرب، ومنذ

[1]- مصطفي غالب،في سبيل الموسوعة الفلسفية "برتراند راسل" ، منشورات مكتبة الهلال،بيروت ،1982،ص12 .
[2]- محمد شطوطي ، اللغة المنطقية عند برتراند راسل ،دار مدني،الجزائر ، دط ، 2002 ،ص9.

بداية الحرب العالمية الأولى في (أوت 1914) يرى أن الناس ليسوا عقلانيين بقدر ما كان يعتقد، مما استدعى تغيير أسلوب حياته تغيرا جذريا، وكان أول أثر تركته الحرب من يأس وألم"عندما وصلت إلى انجلترا لم أكن قادرا علي التفكير في شيء سوى الحرب، ولما كنت قد صممت أن أجاهر برأي ضد الحرب، لم أشأ أن أعقد موقفي من الحرب بفضيحة شخصية قد تجعل أي شيء بلا جدوى "[1]، حيث لاحظ عشية "الرابع من أوت (1914) أن كل من يقابلهم تغمرهم فرحة المعركة، بغية التعرف علي مشاعرهم، ولكنه كان يعاني من الحرب ولا يطيقها، متحدثا عن التقاعد والعزلة، وظل اشتعالها علامة مميزة في حياته، ويعترف أنها غيرت الكثير من معتقداته الخاطئة فيما يتعلق بالطبيعة البشرية "إن الحياة في هذه الأيام هي الجحيم بعينه، كم وددت أن أموت قبل (1914)"[2]،وسرعان ما تبدلت حالته النفسية من اليأس السلبي إلى التمرد الايجابي ضد الحرب، مما جعله شخصية مهمة ومعروفة، قال "راسل" :"ليس هناك من عمل يستغرق كل حواسي ولم يخامرني فيه تردد مثل عملي في الدعوة إلى السلام التي تحمست لها خلال الحرب، ولأول مرة أجد شيئا يستغرق كل كياني، فألقى بنفسه داعية للسلام بمعارضة الرأي العام.

وكان من الصعب على "راسل" أن يقف موقف الداعية إلى السلام وإنهاء الحرب بوصفه إياها أنها غير مبررة، فأعتبر موقفه خسيس اتجاه بلاده وأنه مناصر لألمانيا القيصرية، وأتهم أنه عميل ألماني، ويقول "رسل" أن دعوته للسلام جعلته في موقف محرج من ناحية الرأي العام، ومن عداء أصدقائه له، يمكن وصف الحرب الأولى مشروعة من زاوية الدفاع عن بلجيكا ولكن ليست كل حرب مشروعة قانونيا يجب خوضها، فحب انجلترا على حد قوله يكاد يكون أقوى عاطفة فيه، فمن الصعب أن يتخلى عن هذه العاطفة، وهذا الرأي نابع من موقفه الفلسفي العام، وهو الإيمان العميق بالعقل والشك العميق في العاطفة، فأكثر النكبات التي تنزل بالإنسانية جماعات وأفرادا ناجمة عن استسلام أبنائها للعاطفة والانفعالات بدلا من التبصر الرشيد في قيم

[1]- برتراند راسل،سيرتي الذاتية 1 (1872.1914)، ترجمة عبد الله عبد الحافظ وآخرون ، دار المعارف مصر،دط ،1970 ،ص344

[2] - ألان وود ،برتراند راسل بين الشك والعاطفة ،سبق ذكره ،ص 95 .

الأشياء[1]، وساوره الشك في أرائه، ولكن مع نشوب الحرب تعين عليه اتخاذ السلام موقفا، وأصابته ادعاءات الدول المشاركة في الحرب بالغثيان بتضمنها أكاذيب قومية سافرة،وساءه كإنسان رؤية الحضارة الإنسانية تنهار أمام بربرية الإنسان، ويرى أن شيئا واحدا دفعه إلى المقاومة والاستمرار في الجهر برأيه رغم كل مظاهر العداء بالاحتجاج على الحرب هو إدراكه التام بعدم جدوى الحرب، ولو كان "راسل" متدينا لقيل أنه "صوت الله " ولكن بما أنه ملحد يمكن القول أنه صوت الضمير، وهذا الشعور يتبناه رواد الإنسانية فقد خبره "سقراط" "جان دراك" من قبل.

كان خيال "راسل" يصور له جسور"لندن" تنهار ويرى المدينة العظيمة تتلاشى وتغوص في الماء، حاول أن يضع حدا لكل هذا ولسلبيته، بدأ يخطب في الاجتماعات التي يعقدها المؤمنون بالسلام، وفي اجتماع عقده أنصار السلام في كنيسة الأخوة في "سوت جيت رود" في أحياء لندن، ولكن الصحف البريطانية نشرت أنباء عن أن أنصار هذا الاجتماع هم أعوان للألمان، وأنهم يرسلون إشارات إلى طائرات الأعداء حتى تتمكن من إسقاط قنابلها وإصابة الهدف بدقة.

مما أثار الناس على أنصار السلام، بمحاصرة المكان، ولم يبدي أنصار السلام مقاومة لنبذهم العنف ولقلة عددهم، وكان من نصيب"راسل" تعرضه للضرب بعوارض خشبية ويدين "راسل" لامرأة داعية للسلام بنجاته، وفي إحدى المرات بينما كان يلقي خطبة بكنيسة الأخوة حتى أضرم المعارضون النار بمنبر الكنيسة وهاتان هما الحادثتان التي تعرض فيهما "راسل" إلى الاعتداء والعنف [2].

واستمر في دعوته إلى السلام وانضم إلى لجنة"منظمة مناهضة التجنيد" وهي منظمة دعائية رئيسية لأنصار السلام، ويعتقد "راسل" خطأ في نشوب الحرب الأولى وأن"انجلترا" كان ينبغي لها التزام الحياد، فلو أنها اتخذت الحياد لما طال أمدها، ولا تنتهي الحال بالألمان إلى ما هو أقوى من حالهم عند بداية الحرب "أنك إذا دخلت

[1] - لويس عوض،دراسات في النظم والمذاهب،منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر،بيروت الطبعة الأولى، 1962،ص 216.
[2] - رمسيس عوض،برتراند راسل ،الانسان ، دار القومية للطباعة والنشر، مصر، دت، ص48.

الحرب مع حكومة سيئة، فإنك دائما تبدأ تنحدر إلى الأسوأ، ولا أظن أن هذا الرأي ينطبق على النازي،ولكنه ينطبق عموما، ولو أننا وقفنا على الحياد في (1914) "[1].

لقد كانت ضريبة الدعوة إلى السلام قاسية عليه حيث طردته جامعة "كامبريدج"من الأستاذية للرياضيات بكلية"ترينيتي"،وأصدرت "منظمة مناهضة التجنيد " منشورا تعارض فيه حكمت السلطات على "أرنست ايفريت" بالسجن سنتين والأشغال الشاقة، وتم القبض بعض أنصار المنظمة، فكتب "رسل" أنه هو صاحب المنشور فحوكم بتاريخ (15 جويلية 1916) أودعته السلطات الانجليزية السجن مدة (06أشهر) وغرامة مالية بتهمة معارضة النظام، وقد ساعده تدخل"اللورد آرثر" بالحصول على معاملة خاصة لا تمنعه من القراءة والكتابة شرط عدم الكتابة في الحرب والسلام، مما أتاح له كتابة "مقدمة للفلسفة الرياضية"، وتأليف "تحليل العقل" دون أن يتناسى من يعيش معهم في السجن بأنهم لا يقلون عنا من الناحية الأخلاقية وفي سبتمبر(1918) خرج من السجن بعد أن وضعت الحرب أوزارها ووقعت الدول المتحاربة هدنة السلام، فعمت نفسه الطمأنينة.

يبين "راسل" مدى الارتباط الوثيق بين السياسة ونفسية البشر، فتآزر جماعة اتجاه موقف ما هو نتيجة وجود عواطف مشتركة بينهم، وهذا ما حثه لمعرفة التحليل النفسي في فهم السلوك الإنساني، والذي كان يجهله قبل الحرب العالمية الأولى، فأدرك أنه توصل إلى ما يشبه نظرية "فرويد" مستقلا عنه، توصل إلى اللاشعور عندما أدرك أنه يمكن أن يشتغل بمشكلة ثم يدعها جانبا ليكتشف أن عقله قد وجد لها حلا، والذي بينته بشكل جلي التفاف الناس بنزعة نحو الحرب في الأيام الأولى، فمعرفته بالحرب وأسبابها دفعته إلى التأكيد لا يمكن أن يسود السلام وتشيع الطمأنينة إذا لم يغير الأفراد من شعورهم، فشعور الكبار ما هو إلا نتيجة لتجارب الطفولة، فشعور الإنسان بأن حياته لم تأتي عبثا هو الذي يشعر بالشفقة والطمأنينة والرغبة في التعاون والمساعدة ويقول منذ الأيام الأولى من شهر(أوت 1914) حتى يومنا هذا اقتنعت اقتناعا راسخا بأن الإصلاحات الأساسية فيما يتعلق بالشؤون الإنسانية هي تلك التي تزيد من الشعور

[1] - برتراند راسل، محاورات شيخ الفلاسفة ، سبق ذكره ،ص 30 .

الطيب، وتقلل من الضراوة نحو الآخرين"[1]، وأقر"رسل" أنه لا سلام ما دامت أنظمة التعليم تعبئ الناس بالنوازع اللاشعور الحرب، فلابد من إعادة النظر في مقومات البناء الاجتماعي ومراجعتها، ولماذا ينبغي إعمال شرور الحرب وجعل الناس تتبنى العقيدة الحربية الأكثر الآن في الوجود؟.

لماذا لا نرى أن هناك طرقا أفضل من الحرب لمكافحة الفاشية التي تجعل الناس فاشيين؟[2]،وفي حديثه عن الحرب قال: أن أسلم طريق يسلكه المتحاربين هو إقرار السلام بأفضل الشروط الممكنة، قال:" أن الحرب جعلتني أشعر بأهمية البناء الرهيبة وتشييد الأشياء الايجابية، إنني لا أريد أن أظل صوتا صارخا في البرية، إنني أود أن أصبح صوتا يسمعه الناس ويستجيبون له، وأن أقول أشياء يهتم الناس بسماعها"[3] ويمكن اعتبار أن مقالات الحرب كان لها أثر بالغ في ذيوع صوت "راسل" وخاصة مع نشر كتاب "مبادئ إعادة البناء الاجتماعي" من طرف "ستانلي انوين" في أوربا وأمريكا واليابان ..فكانت كتاباته لعامة الناس ولها جمهورها الواسع، وكانت كتاباته وخاصة في السجن تنادي بحرية الروح الإنسانية وقدرة العقل على التحرك دون قيود حتى لو كبلت الجسد "إنني حر ولسوف يكون العالم حرا كذلك".

استمرت حركته السلمية، ولم يكن داعية تقليديا لدرجة مناداته بأن تملك بريطانيا بحرية قوية لتدوم وتصمد، ومع تطور الطيران دعا إلى قوة الطيران، وإنه تنبأ بأن الحرب القادمة ستقودها الطائرات بنشرها للغازات السامة، وحتى الجراثيم المسببة للأمراض،أدل برأي في (1933)"أنه إذا كان لأحد الأطراف أن يكسب الحرب القادمة فسيكون هو الطرف الذي يظهر شبابه أكبر قدر من الذكاء في ميداني"الكيمياء والبكترولوجيا"، وتنبأ في(1935) بأن الغارات الجوية ستكون على المدن الكبرى "ستعني انتشار الذعر والدمار، وتؤدي إلى انهيار تام في الموارد الغذائية، وانطلاق الملايين من المشردين الجائعين البائسين من المدن التي أصابها الخراب إلي الريف"

[1]- رمسيس عوض ، برتراند راسل ،الإنسان ،المرجع السابق ص 50.

[2] -bertrand Russell,Your faithfull Bertrand Russell a life long fight for peace ,justice and truth in letters to the editor edited by Ray perkins, JR,2002 , p 116 .

[3] -ألان وود،برتراند راسل بين الشك والعاطفة، ص 103.

وفي كتاب "أي الطرق تؤدي إلى السلام (1936)" يصور فيه موقفا سلميا،ويستاء على الحرب العالمية الثانية، ويعتبر من أهم الكتب التي يصور فيها كتابته التاريخ السياسي بالإضافة إلى"الحرية والتنظيم" تنبأ بخسائر كبيرة في الأرواح بأوربا، وتختفي الحركة الصناعية والحكومات المستقرة وبانتشار الأوبئة [1].

أكد في "أي الطرق إلى السلام؟" أن حالة الفوضى التي تنجم عن الغارات الجوية سوف تجعل تطبيق الأحكام العرقية و"إن الحرب دفاعا عن الديمقراطية لابد أن تبدأ باستبداد العسكريين، وليس هناك ما يدعو إلى أنها ستنتهي بنفس الشيء"، لقد كانت ألمانيا في طريقها إلى تحقيق الديمقراطية، وكان بإمكانها في أي حال من الأحوال عدم خوضها للفلسفة النازية، ولن يؤدي الموت والدمار في النهاية سوى إلى ظهور هتلر أخر في انجلترا" وسيصبح البريطانيون مثل النازيون، ولو أن الانجليز ربحوا الحرب، فسوف يصبحون قساة".

وترآت له أن الدعوة الوحيدة في هذه الظروف سوى السلام كسياسة عاقلة، "فإذا شن"هتلر"هجوما على هذه الدولة في ظل حكومة تدعوا إلى السلام فسيلقى هو وقواته الترحيب والتحية الودية التي يلقاها السائحون"، وهذا التصرف ربما يغير من نفسية الألمان ويجعل الحرب أمر سخيف.

وحث "راسل" على رفض القتال، ويبين أن دعاة السلام كانوا محقين في هجرتهم إلى دول أخرى، وهو أيضا هاجر وأسرته إلى أمريكا[2]، وقد وجه حديثه إلى مجلس اللوردات في(1937)، وارثا هذا اللقب (1931):" إنني أعتقد، بل وآمل أن السكان المدنيين في كل البلاد التي تشترك في الحرب القادمة سيرفضون- بعد اكتساب بعض الخبرة- أن يواصلوا القتال، فيبرهنون بذلك أنهم أكثر تعقلا من حكامهم"[3].

وإن كتاب "أي الطرق إلى السلام "كان أقل الكتب التي دافع عنها "راسل" وأفضلها، وحضي بالمديح من النقاد، ولم تكن أرائه تعبيرا عن نزوات شخصية ولقد

[1] - Alfred Jules Ayer,Bertrand Russell,,The university of Chicago ,Chicago,the university of L.T.D London,1988,page 20.

[2] -Alfred Jules Ayer,Bertrand Russell, ibid,page20..

[3] - ألان وود ، برتراند راسل بين الشك والعاطفة، مرجع سبق ذكره ص 188 .

استمد جزءا كبيرا منها من"ه.ج.ويلز" "أدولس هليكسي" بتنبؤات مماثلة عن دمار شامل تخلفه الغازات الجوية، وأكد إذا خضنا حربا، فلن تكون حربا ضد الفاشية، إن الذين يناهزون النزعة العسكرية يجب أن يرحبوا بأية حركة تدعوا إلى السلام في هذا البلد، وقد اعتقد الكثير من الأذكياء الجيش الانجليزي أن "هتلر" سيصل إلى السلطة ويبدأ في الغزو، فواصل المثقفون دعوتهم إلى السلام، ومعارضة التسابق نحو التسلح وتنبؤ بنوع من الحرب تختلف عن تلك التي كان يجب على بريطانيا أن تعد لها، فاتجه بعض أفراد الجيش إلى التدريب على قيادة الطائرات المقاتلة.

يقول "راسل" "إن اندفاع الأحداث يشير بالتأكيد إلى احتمال اندلاع الحرب في المستقبل القريب للغاية "، وقد تحدث بواقعية " إن ألمانيا قد أقامت جهازا رهيبا، من الواضح أنها تنوي استخدامه عندما تحين اللحظة المناسبة، ويقال أنه إذا قوبلت مطالب ألمانيا العادلة بروح الصداقة، فإن النزعة العسكرية التي تسيطر على تصرفاتها في الوقت الحاضر سوف تلين بالتدريج .... ولكن معاملة الألمان لمناهضيهم العزل داخل الرايخ تكشف عن عقلية(البلطجي) الذي يؤدي النجاح إلى تقويمه، بل يزيد من سلوكه سوءا "[1].

اعترف "راسل""أن النزعة الإنسانية الأصيلة تثور غضبا لمجرد التفكير فيما قد يحدث إذا ما جلسنا مكتوفي الأيدي إزاء النازيين"،ولم يكن من الذين يجاملون الناس كما فعل بعض البريطانيين بزيارتهم ل"هتلر" "أنه سيقف في حلقي " وأكد أن القوة أمر ممكن لإنشاء حكومة السلام العالمية، ويرى "أن الألمان يريدون من العالم أن يتركهم وشأنهم حين يهاجمون روسيا "، وكتب أيضا " أن نابليون هاجم روسيا كخطوة تمهد لغزو انجلترا، وقد يجد "هتلر" أن إتباع مثل هذه السياسية سوف تؤدي إلى نفس الكوارث " .

وقد أدت وجهة نظر"راسل" إلى رعب لدى أصحاب الفكر الاشتراكي ويقول "ربما كانت (بولندا) أكثر مناطق أوربا تعرضا للأخطار...وليس من المستحيل أن تتحالف ألمانيا مع روسيا بحيث يؤدي ذلك إلى تقسيم جديد للأراضي، وكل ما يفعله

[1] - ألان وود ، برتراند راسل بين الشك والعاطفة، ص 192 .

ستالين من شأنه أن يبين أنه لا يختلف مع "هتلر" من حيث المبدأ ، ولست أشك في أنه سيشعر بالغبطة إذا أمكن تسوية الخلافات بين الدولتين على حساب الضحايا التقليديين"وهذا سيؤدي إلى توجيه الإهانة للبريطانيين المولعين والمعجبين بستالين ولقد مهدت المعاهدة بين الاتحاد السوفيتي وألمانيا لغزو بولونيا، وبالتالي إشعال فتيل الحرب العالمية الثانية، وكان صدمة للانجليز، وكان هذا التنبؤ كان خارقا لراسل".

وحمل تصدير كتاب "أي الطرق تؤدي إلي السلام " بمقولة " لقد ظل الشك الصادق يساروني لفترة طويلة بخصوص السياسة الصحيحة التي ينبغي إتباعها " ولكن دعوته إلي السلام دفعته دون أدنى شك إلى تبني السلام والدفاع عنه بكل الطرق الممكنة وجرفه تيار السلام وهذا ما يؤكد إيمانه بمبادئه وبولائه لأفكاره ولكن رغم الشك الذي كان يساوره لم يخذل زملاءه، وأن الحرب حتمية بالفعل، ففي (1938) أيد اتفاق"ميونيخ" فقال بهذا الصدد "أن تسعة من بين كل عشرة أفراد من أمريكا يعتقدون أنه كان علينا أن نقاتل، وتظل أمريكا محايدة "[1] لقد كان هذا الرأي يضايقه مؤكدا أن نفس الأفراد الذين احتجوا حول إقامة الحدود غير العادلة لتشيكوسلوفاكيا (1919)، هم الأكثر تحمسا للدفاع عنها في الحرب، ولكن ما إن بدأت أخطار الحرب تتهاطل على انجلترا حتى أعلن عن نبذه لدعوة السلام، ومعلنا أنه لو كان في مقدوره المشاركة في الخدمة العسكرية لكان ضمن الجيش البريطاني" إنني مازلت أدعوا إلى السلام بمعنى صيانة السلام هي أكثر الأمور في العالم أهمية، بيد أنني لا أعتقد أنه يمكن أن تقوم للسلام قائمة مادام "هتلر" منتصرا،إن هزيمته-إذا كانت ممكنة- تمهيد ضروري لإصلاح الأمور،أما إذا خسرنا الحرب، فإن ذلك سيكون جحيما من المحتمل أن نصطلي بناره لفترة طويلة من الزمن"[2]، وفي (1940) كتب خطابا لأحد أصدقائه: " إننا نتمنى دوما لو كنا في انجلترا- وما نشعر به الآن يشعر به الشخص الغائب عندما يكون أحد أحبائه في حال خطيرة من المرض، ولكن أطفالنا وحاجتنا تحول إلى كسب المال تحول بيننا وبين الرجوع إليها "[3] وقال أيضا: "أرى أن الشيء الوحيد الذي

[1] - ألان وود ، برتراند راسل بين الشك والعاطفة ،مرجع سبق ذكره، ص 193 .
[2]- ألا وود ،المرجع نفسه ،ص 193 .
[3]- ألان وود، المرجع نفسه ،ص194.

أستطيع تقديمه للعالم في هذه اللحظة هو أن أحاول الحفاظ على أكبر قدر من حضارتنا المتداعية، على أمل أن تبث نهضة جديدة خلال ألف عام"[1]

لقد كانت نقطة اللاعودة سنة (1940) في فكر "راسل" من إيمانه المطلق بالسلمية إلى الوقت الحاضر ويعتمد على القوة التدميرية للحرب في الهواء وكذلك مكاسب الحرب وخسائرها، فاعتراضه على الحرب الأولى نابع من خصائصها المميزة، وعلى الحرب الثانية لأسباب مختلفة جدا، أو ما يسمى بحماقات النازية، وكان يجب أن تخاض هذه الحرب للحفاظ على حياة الإنسان، ويمكن تسمية هذه الحرب بحروب المبادئ نظرا لصعود فكر"هتلر " و"ستالين " بشكل لا يطاق "كان من الطبيعي أن "هتلر"، بعد أن أخضع أوربا كلها لإرادته، سيسير غاية السرور إذا تمكن من الحصول على موافقة بريطانيا على كل ما فعله ولم يكن العرض في الحقيقة يتناول السلام، وإنما يتناول الاستعداد لنقبل اذغان بريطانيا لتتخلى عن كلما خاضت غمار الحرب حفاظا عليه"[2]، ولقد أرق تفكير"راسل" سلامة بريطانيا مما جعله يعتقد بعدم المقاومة وتكون الودية والترحيب بالألمان والخضوع لهيمنتهم لإزالة دافعهم للقتال ولكن بمجرد ما قصفت "بولندا من طرف الألمان حتى أصبح تفكيره مختلفا جدا وإن أعمالهم مهددة للإنسانية ويرى "ألان وود" أن "راسل" كان" معلقا سياسيا عندما كان بين الحشود، وبين صراعه الداخلي بين مراعاته لظروف الحرب الثانية لدليل على نهج عقلاني للسلمية ولكن هذا التحول لم يكن كلية بل ظل شغله الشاغل في حديثه عن التحليل السوسيولوجي لعلاقة الفرد بالسلطة، ودور الرأي العام في تقويض السلطة أو دعمها .

لقد كان يعتقد أن الشيء الوحيد المهم هو الدعوة إلى السلام هو " جعل الرأي العام أكثر تشككا في قيمة الحرب والتسلح، وأن الحكومة في حالة الحرب ستكون في مواجهة مقاومة سلبية، كما عمل هو في الحرب الأولى مناشدا الحس السليم والإنسانية مشددا على الاستفادة من السلام والحرية، وسوف يدرك الناس عدم جدواها، وعلى

[1]- ألان وود ، المرجع نفسه ، ص194.

[2] - برتراند راسل، جرائم حرب الفيتنام، محمود فلاحة مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي،دمشق،1967،ص 146.

الرغم من الصعوبات التي وجهها إلا أنه أدان الحرب على نطاق واسع، وحضي بشعبية في الأوساط في العشرينات والثلاثينات، واجدا نفسه بين أقلية صغيرة، مضطرا إلى التعاون لنشر دعايتهم، كما أن "راسل" كان حذرا من الاستقطاب السياسي في فترة ما بين الحربين التي شهدت تعاون سياسي هائل، فظل"راسل" متشككا ومجرد فرد في السلمية، وفي بداية الثلاثينات انضم إلى اتحاد تعهد السلام بمبادرة من القس" شيبا رد" (1880-1937) بتوزيع مجلة معنونة بتسمية "منشورات أخبار السلام "[1]، وكانت عودته إلى "انجلترا"(1944) وفي الاثنين والسبعون تحمل السعادة وقصد تكريس حياته لتحسين العالم، فبعد اعتراضه على دخول أمريكا في الحرب الأولي ففي الثانية كان موقفه بالمطالبة بالمشاركة في(1940)، كان يريد الآن لا شيء إلا تورطها في الحرب بغية الحفاظ على"انجلترا"، وأثبتت الحرب العالمية الثانية موجة دمار التي تعسف بالإنسانية وعودة لا سلام في عهد التقدم والاستقرار، وطالب بعد الحرب بإعادة بناء سلام بالعالم، وكان تصريحا رسميا منه أن عصبة الأمم تفتقر إلى الكفاءة، وجادل بضرورة سلام دائم كان ومازال من الاحتمالات الممكنة، وأن عقبات السلام هي سياسية واقتصادية ونفسية[2].

أن نهاية الحرب حملت لراسل السعادة ولكن لم تدم طويلا فالنظرة القاتمة عادت من جديد مع "هيروشيما " فأضحي متشائما للغاية من مستقبل الحضارة الإنسانية، مع تطورالحرب النووية، لأول مرة أصبح انقراض الجنس البشري ممكنا مما ينبئ بحرب عالمية أخرى، ولكن الرأي العام لم يشاطره الرأي مما جعله يضايق من عدم مبالاتهم فالحرب الباردة تؤكد تهاوي الأخلاق إلى الحافة، ففي الفترة ما بين (1945-1970) لاحظ أن أخلاقيات الحرب تخضع لتغيير كبير، وكان من الأوائل الذين يؤكدون خطر الأسلحة النووية، مفضلا كل شيء عن الفوضى وتدمير الحرب لما خلفته القنبلة الذرية من كوارث، وأقرأن (و م أ)ستحاول احتواء الاتحاد السوفيتي، ولاحظ ضرورة مكان آمن للطاقة الذرية لضمان مراقبة وسلامة الأسلحة النووية على المستوى الدولي بتبادل

[1]- ألان وود، سبق ذكره، ص51.

[2] - laura slot,consistency and change in bertrand russell 's Attittuds war,sidestone press , 2008 ,p 56.

المعلومات بين جميع الأمم، وأدرك أن الوقت حاسم للاتفاقيات الدولية لإزالة خطر نشوب الحرب النووية، وحث الناس على محمل الجد إلى لتهديد "روسيا" وإن يكونوا على استعداد للدفاع عن أنفسهم وعن الإنسانية، "وان موقفه العدواني اتجاه "روسيا" كان من أجل السلام العالمي، وقد نفى أن يكون داعية سياسية عدوانية إلا نتيجة لخطة "باروخ" وانقسمت أوربا في الشرق والغرب، وتخلي "راسل" عن موقفه في "ستالين " لن تخضع للتهديد ومنذ(1948) تخلي تدريجيا عن مقترحاته للحرب الوقائية "[1]، وفي سنة (1949) وضعت "روسيا " قنبلتها النووية الخاصة بها وأصبحت فكرة التدمير المتبادل ممكنة، وبوعي أدرك أخطار وآثار الأسلحة النووية، وأدل بقوله " لنتخيل النتائج المترتبة عن مثل هذه الحرب، ثم تحول لفكرة دفاعية حميدة للاتحاد السوفيتي بتصاعد السياسة الأمريكية وأهميتها في السياسة الخارجية بحجة أن أمريكا أصبحت أكثر هجومية بحرب الفيتنام، وانتقد باسم ثوار "الفيتكونغ" الحرب الأمريكية بالفيتنام وأنه يجب التعاون مع" أنغولا" و"كوبا" ومنظمة التحرير الفلسطينية، فهو يؤيد القتال من أجل الاستقلال وينسب إليهم التفوق الأخلاقي، مثل ما حارب الحلفاء "هتلر" بعدل فكذا أناس شرق أسيا لهم كل الحق في دفاعهم عن الاستقلال، وكان موقفه الرئيسي نتيجة لشعوره بالإحباط من أمريكا و بغية تأكيد رأيه حول كيفية مقاتلة الفيتناميين من أجل قضية عادلة.

كانت عنصرية (و م أ) قد خلفت جوا يصعب التعرف عليه من خلال مسؤولية أمريكا نحو العديد من المشكلات التي عرفها العالم المتخلف، منها الحرب الفيتنامية والتي هي نتاج أليم من التخلف والفقر والهمجية ...فلابد من إرغام أمريكا على الخروج منها ودون أدنى شروط لأسباب مهمة، تتجلى أن باقترافها لجرائم تحدث عنها المراقبون الغربيون، فالتقارير الصحفية المتكررة عن استعمال الغازات والأسلحة الكيميائية والجميع يغفل عنها ..فهي جرائم حرب تقترف في بلد الفلاحين والفقر، وأن ادعاءات الأمريكيون عن "صد العدوان " مغالطات وقحة تمنع الانتخاب قصد وحدة الفيتنام الشمالية والجنوبية وحطمت معاهدة "جينيف" التي تحرم استعمال الغازات

[1] - laura slot ,consistency and change in bertrand russell 's Attittuds war ibid.page 62 .

والأسلحة بقوله "إنني أعارض العدوان الأمريكي اليوم بحزم كما عارضت العدوان النازي في (1939) للسبب ذاته، فتهدئة هؤلاء الذين يقترفون جرائم الحرب والعدوان السافر لن تثمر، بل تعمل على زيادة شهيته للعدوان، إن المعتدين يجب أن يعزلوا "[1] .

وإن نشاط "راسل" في دعوة السلام ظهرت بندائه من إذاعة جبهة التحرير الوطنية لجنوبي فيتنام مخاطبا الجنود الأمريكيون موضحا لهم كيفية تعسف حكومتهم في استعمال حقوقهم بإرسالهم لاحتلال بلد اتحد وأجمع على كراهية الولايات المتحدة الأمريكية كدولة معتدية ـ ويمكن تفهم ذلك لأسباب خاصة بحكم مساعدة (و.م .أ) للفرنسيين وإمدادهم بالأسلحة في حربهم مع هذا الشعب "إنني أناديكم لتضعوا حدا لهذه الحرب التوسعية والبربرية، وأهيب بكم أن تخبروا "محكمة جرائم الحرب" بحقيقة هذه الحرب....انضموا إلينا وشاركوننا في العزم والتصميم على قهر من هم حقا المسئولون في و.م.أ عن الأهوال والمخاوف "[2].

كما دعا في خطاب ألقي في المؤتمر الوطني للتضامن مع الشعب الفيتنامي ب"لندن"(4حزيران1966)هدفا مناصرة الشعب الفيتنامي من بريطانيا وآملا في انتصاره، وفضح قذارة الحرب، عائدا بذاكرته إلي الحرب العالمية الثانية "أعلم علم اليقين دون تردد مسؤوليتنا تجاه الفيتناميين،هل تذكرون مشاعرنا حين كان النازيون يقصفون مدننا بالطائرات؟ وهل تذكرون العزم الذي اكتسح"بريطانيا... بعدم الاستسلام قط، هل عانينا من الغاز والمواد الكيميائية؟أكانت بلدنا مقسومة إلي نصفين؟ ....لم يجر شيء من هذا ورغم ذلك لم نستسلم "[3].

نبه "راسل" الناس في الغرب إلى جرائم الأمريكيون" لقد اقترفت حكومة "جونسون" جرائم حرب ضد الإنسانية والسلام، منتهكة الاتفاقيات الدولية المقدسة التي وقعها الرؤساء الأمريكيون وأقرها الكونغرس"[4]،فأقام لجانا دولية لنصرة الشعب الفيتنامي مؤزراته بإعداده لمحكمة جرائم وطلب الأشخاص البارزين المشاركة فيها

[1]ـ برتراند راسل ، جرائم الحرب في الفيتنام ، ص 142.
[2] ـ برتراند راسل، جرائم الحرب في الفيتنام ، ص 156 .
[3] - برتراند راسل ، نفس المصدر، ص 160 .
[4] - برتراند راسل ، نفس المصدر،ص 171

لاقتناعهم التام أن جرائم مروعة تقع جعلتهم يشعرون أنهم ملزمون أدبيا بأن يجعلوا لهم محكمة ضمير للحد من أعمال العنف الأمريكية، وتستمد سمعتها وسلطتها من طبيعة أعضائها وصرامة أصولها.

كما أن أهم ما بقي من صدى صوته هو مجاهرته بالممارسات الظالمة ،وخاصة القضية العربية الاسرائلية في رسالته الموجهة إلى اجتماع البرلمانيين في القاهرة في أوائل (1970)، حيث أدان فيها صانعي الحرب وقتلة الشعوب الصهاينة بقوله "كثيرا ما يقال لنا علينا أن نتعاطف مع إسرائيل لما عاناه اليهود في أوربا علي يد النازي..إلا أن ما تقوم به إسرائيل لا يمكن السكوت عليه، وإن استجلاب فظائع الماضي لتبرير فظائع الحاضر هو نفاق فادح"[1]، فبعد العدوان الإسرائيلي عام (1967) واحتلال قواتها لأراضي ثلاث دول عربية تلقت مؤسسة "راسل" رسالة من الجامعة العربية تضمنت وقائع محددة عن الجرائم التي ارتكبتها اسرئيل ومازالت ترتكبها ضد الأسرى،والسكان المدنيين، فأوفدت مؤسسة "راسل" لجنة لتحقيق وقامت بزيارات للأماكن المتضررة وكما هي عادة إسرائيل رفضت تقديم تسهيلات لذلك، وسجلت اللجنة احترامها لما قدمته الدول العربية من تسهيلات، وقالت أنها لمست الفهم السليم لدور الرأي العام العالمي والمنظمات الديمقراطية لخدمة القضايا الإنسانية.

إن وسيلة تحقيق السلام الدائم هي حكومة عالمية التي تملك حق الطاعة ووسائل لفرض القانون الدولي والتي تحتفظ باحتكار في الأسلحة الحديثة والخطيرة وإعادة توزيع الثروة على جميع الشعوب، حيث لا تحقد أمة فقيرة على أمة غنية وبخفض معدل النسل في جميع بلاد العلم وبخلق جو للتفتح المواهب الفردية في العلم والفن والأدب، ويتصور بوضوح كيف ستكون حالة"مواطني العالم" بتصرف بحرية وكيفية اختفاء القومية وكره الأجانب والتمييز ستنتهي بنسب السلطة للحكومة العالمية، وإن الزمن سيعفو عن مشاعر الكره والشعور بالتفوق بين الأمم، وإن العالم ما بعد الحرب الإنسانية، سيكون أكثر تسامحا واستعدادا لسماع مقترحاته، برفض الرجال ما يفرق

[1]- ألان وود ، برتراند راسل دراسة في تطور فلسفته، سمير عبده، دار علاء الدين، دط، دت، ص25 .

بينهم، سيظهر بدلا من ذلك شراكة واقتناعا لاتخاذ تدابير جدية لحماية العالم من حروب مستقبلية.

إن السبيل لمنع الحرب هو السبيل الوحيد لتحقيق سلام عالمي، بواسطة الاتفاق بين الدول طواعية وبالاختيار، جامعة القوات المسلحة، مع خضوع لسلطة دولية متفق عليها، ولكن في الوقت الراهن هي بعيدة الأمد وخيالية[1]، وعرض"راسل" لعديد الآراء حول الحكومة العالمية منها خطاب "مستر ماكميلان" عن نزع السلاح في أن يكون شاملا لكل الأسلحة القديمة والحديثة، وأن تكون السلطة المسؤولة عن السلاح تتمتع بسلطة وقوة فعالتين، قصد رفع دور هيئة الأمم المتحدة حتى تسير حكومة عالمية ولكن ليس مهمته البحث عن إمكانية إنشائها في الوقت الحاضر، ولكن انشغاله الرئيسي هو بقاء الجنس البشري، وقد تتشكل حكومة عالمية دون تحقيق أي سلام عالمي، عندما تتحد الدول المختلفة المساهمة في القوة المسلحة للحكومة المسلحة، والتي تمد هذه الهيئة بفرق عسكرية قومية تحتفظ بوحدتها القومية في حالات الشدة لحكومتها القومية ومن هنا يمكن البحث عن ما هو الدستور العالمي الذي يحقق السلام ويمنع الحرب؟ما مشاكل التي حلهما رهين بإقامة الحكومة العالمية ؟

هناك مشكلتان لابد أن نوليهما عناية وأولهما نزع السلاح ولابد من العمل على عدم توسيع رقعة النشاط الذري من الخطر على السلام توسيع دائرة الدول المنتجة للأسلحة النووية، وأن يقتصر إنتاج الأسلحة الذرية على أمريكا وروسيا حتى الوصول إلى تسوية عامة دولية، وثانيهما إجراء بعض التعديلات في الحدود الإقليمية لبعض الدول، يجب إرغام الدول على قبولها لصالح السلام العالمي.

لقد استعرض"راسل"رأيه في بعض المشاكل الدولية التي يرى أن حلها سيكون دعامة للسلام العالمي وسعي إلى تقسيم المشاكل الدولية إلى ثلاث مناطق[2] :

[1]- برتراند راسل ،السلطة والفرد ، شاهر الحمود ، دار الطليعة ،ط1، يناير1961، ص110.
[2] -رمسيس عوض، برتراند راسل ، الانسان، سبق ذكره ، ص63.

ـ تتمثل المنطقة الأولى في أوربا وأنه يجب توحيد ألمانيا لإدامة السلام، فقلق روسيا من تسلح ألمانيا قلق طبيعي، لهذا اقترح الحد من تسلح ألمانيا لكي لا تكون خطرا يهدد الاتحاد السوفيتي وبنزع السلاح من وسط أوربا،والقواعد العسكرية في غربها وشرقها.

ـ يعتبر الشرق الأوسط المنطقة الثانية يراها أنها لائمة على الغرب، وحلفها الوحيد والصديق هو الاتحاد السوفيتي، ويقترح أن تحمي الدول الكبرى أية دولة في المنطقة ضد توسع دولة أخرى .

ـ المنطقة الثالثة هي شرق أسيا :على الرغم من اتهامه الصين الشيوعية بالتوسعية وعدم راض عن تجاهل الغرب لهذه الحقيقة، ولا يرى حكمة من استبعادها من الأمم المتحدة وأن تعود "فرموزا" إلى الصين من جديد .

لما تحل كل هذه المشكلات يمكن أن يكون الجو مناسبا لإنشاء حكومة عالمية ولكن من الخطأ أن نعتبر أن الدعوة إلى حكومة عالمية دعوة يسارية أو قريبة منها ولقد دافع بعض أعضاء حزب المحافظين عن قيام حكومة عالمية ورأوا فيها الحل لكل مشاكل الإنسانية، حيث أصدر أعضاء من البرلمان المحافظين كتيب بعنوان "سلطة للأمن العالمي" ويقترحوا وجهة نظر خاصة بالحكومة العالمية وفقا لدعوة "ماكميلان ودنكان سانذز " وزير الدفاع البريطاني، وكان يدرك "راسل" أن الحكومة العالمية قريبة من الخيال وبعيد كل البعد عن الواقع، ولكن أراد للإنسانية أن تسعى لتحقيقها .

يمكن أن تكون الأمم المتحدة نواة للحكومة العالمية بعد أن فشلت عصبة الأمم في السابق والأمم المتحدة في الحاضر بإقرار السلام واقترح العديد من الاقتراحات منها ما يلي :

1- سلطة عسكرية عليا : يجب أن تتوفر الحكومة العالمية سلطة تشريعية، وأخرى تنفيذية، مع سلطة عسكرية قوية لا تقاوم،لا بد لهذه الهيئة العالمية من إنشاء جيش عالمي قوي يضمن للقرارات الدولية الاحترام والتنفيذ، وهذا هو أهم شروط وأصعب الشروط تحقيقا، وستجد كل الدول نفسها ملزمة بتخفيف القوات المسلحة إلى المستوى الضروري لأعمال البوليس الداخلية، كما لا يسمح للدول امتلاك الأسلحة النووية

وتكون سلطة التجنيد مخولة للحكومة العالمية وصناعة السلاح اللازم، وليس من الضروري أن تكون القوات العسكرية للحكومة العالمية كبيرة للغاية.

وتجنبا للولاء القومي في الحكومة العالمية يجب أن يكون هناك في كل جزء من القوات الدولية جنسيات مختلفة وليس على فرق أوربية، أسيوية وفرق افريقية أمريكية، بل مزيج من متعادل من الجنسيات، ويمكن منح القيادة والتسيير لأناس من دول صغيرة لعدم تفكيرها في السيطرة على العالم، مع الحق في تفتيش لمنع التسلح المعمول به في الحكومة .

2- تقسيم العالم إلى مناطق فيدرالية يراعى فيها التساوي في عدد السكان قدر الإمكان وتسمى بالفيدراليات،وما الحكومة العالمية إلا إتحادا عاما للفيدراليات،وغرضها مراعاة تساوي عدد السكان لتمثيل إرادة العالم تمثيلا صحيحا، فمن غير المعقول أن تستحوذ دولة صغيرة في تعداد سكانها ما تستحوذ عليه دولة مكتظة السكان في المقدرة على التأثير في القرارات الدولية، وجميع الفيدراليات خاضعة لسلطة الحكومة العالمية ودستور الهيئة التشريعية هو فيدرالي، ويجب على الدول المنفصلة المحافظة على استقلالها في كل شيء لا يتعلق بالحرب والسلام هل ينبغي أن نعتبر أن التصويت والتمثيل للأفراد يكون متساويا للجميع أو انه يتناسب مع عدد السكان ؟ يقر "راسل" أن التمثيل في أمريكا هو ناتج عن تفكير بارع، بتطبيق مبدأ التمثيل بمجلس الشيوخ ومجلس النواب،ومن الأصلح تطبيق نظام مغاير وهو أقامة مجلس التشريع العالمي واشترط "راسل"توفر الفيدراليات الفرعية على أعداد متساوية من السكان ومتجانسة ومنسجمة ومشتركة المصالح.

وكلما اشترك عدد من الدول في الانضواء تحت إحدى هذه الفيدراليات الفرعية وعلى الحكومة العالمية أن تدخل في اعتبارها العلاقات الخارجية بين الفيدراليات فقط دون تدخل من جانبها في العلاقات بين الدول المختلفة الداخلة في أية فيدرالية إلا إذا

كانت هذه العلاقات تنطوي على أخطار الحروب، أو تتضمن الإتيان بعمل ينتهك الدستور "[1] .

ويكمن الاختلاف في تشكيل الفيدراليات حسب الوقت الذي تنشأ فيه ولو تم ذلك في الوقت الحالي يمكن أن يقترح تسع فيدراليات وهي : الصين- الهند وسيلان- البابان وأند ونسيا- العالم الإسلامي من الباكستان إلي مراكش- إفريقيا الاستوائية -الاتحاد السوفيتي والدول التابعة له -غرب أوربا وبريطانيا وايرلندا واستراليا ونيوزلندا- الولايات المتحدة الأمريكية وكندا - أمريكا اللاتينية، مع أن هناك بعض الدول التي وجد فيها صعوبة التصنيف كجنوب إفريقيا وكوريا .

3- يجب إلغاء حق الفيتو المعمول به في مجلس الأمن الذي هو مخول لعدد معين من الدول، فهذا الحق من شأنه أن يعطل تنفيذ سائر القرارات التي يمكن أن يجمع عليها المجلس حسب ما يحلو لدولة ما.

4- إن السلام هو الغرض الأساسي للحكومة العالمية، فلا يحق لها أن تتدخل في المسائل الداخلية للفيدراليات، فمن حقها اختيار الدين المناسب والأنظمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تحلو لها .

5- ولمنع تعكير صفو السلام يجب أن ننشئ قوة ضاربة تابعة للحكومة العالمية ولغرض احتكارها للأسلحة الذرية، ودور السلاح الذري مثل دور البارود في الماضي قصد منع أي دولة تخول لنفسها الاستقلال عن الحكومة العالمية .

6- يجب أن تحوي القوات المسلحة التابعة للحكومة العالمية كل الجنسيات في العالم قصد منع الجنود التابعين لجنسية واحدة من التكتل في صعيد واحد .

7- سيادة القانون تخول لكل فيدرالية حق التمثيل في مجلس التشريع العالمي بحسب عدد السكان، مع ضرورة وجود دستوريين : أحدهما يتعلق بالعلاقات بين الفيدراليات الفرعية والعالمية والآخر يرتبط بالفيدراليات الفرعية ويتم ضمانه من الفيدرالية العالمية، وتساند الحكومة العالمية الفيدراليات والدول التي تتكون منها في أي قرار

[1]- رمسيس عوض ، برتراند راسل ، الإنسان، سبق ذكره ،ص 72.

دستوري شرط أن لا تتدخل في الشؤون الداخلية لها إلا في حالة اختراق القانون، وهذا ما يسري أيضا علي الفيدرالية والقوميات التي تكونها .

ما هي حدود السلطة المخولة للمجلس العالمي؟ لا تكون أي معاهدة سارية المفعول دون إقرار من المجلس، وله الحق في إعادة النظر في المعاهدات الموجودة ومن حقه أيضا إدانة النظم التعليمية التي تمارس سياسة قومية عنيفة تهدد السلام، مما يستدعي إنشاء مجلس تنفيذي يكون مسؤول أمام المجلس التشريعي، وتكمن وظيفته في ازاح الستار في أي انتهاك للدستور العالمي ناتج عن أي دولة قومية من الدول القومية والجزاء يكون بالعقاب.

كما أن "راسل" لم يغفل عنه ضعف القانون الدولي فحاول أن يحل الضعف بمنح تنظيم قانوني القوة كمحكمة العدل الدولية "بلاهاي" هذه القوة والسلطة التي تتمتع بها المحاكم القومية، ويظهر بوضوح نشاط "راسل" من خلال دعوته إلي وجود قانون دولي يحاكم مرتكبي جرائم الحرب، لأنه مستحيل في محكمة "نورمبرج" أن توجد عدالة اجتماعية قصد إنزال العقوبات بمن أدانتهم المحكمة، وهذا ما أصبح مجسدا ودعا إليه في لمحاربة مجرمي حرب الفيتنام من الأمريكيين .

اشترط "راسل" ليكتب النجاح للحكومة العالمية الإقلال من الدوافع الباعثة إلى الحرب، وأن تسعى إلى الاقتراب من المساواة الاقتصادية في مستوى المعيشة، وبما أن دول العالم تختلف من حيث الثروات فهناك الغنية والفقيرة، مما سيؤدي إلى الحسد من بعض الأفراد، فلتحقيق السلام الدائم والأكيد يجب أن نسعى وراء المساواة الاقتصادية .

وما هي الاعتراضات على الحكومة العالمية ؟ يقر"راسل" لما لشعور القومية من دور في الاعتراض على الحكومة العالمية،موضحا التزايد الهائل للحرية القومية في القرنين الثامن عشرة والتاسع عشرة، فإذا أرادت الحكومة العالمية أن ترسي قواعدها فعليها أن ترض هذا الشعور، مبينا تقسيمين للحرية بين حرية قومية وفردية، ويعتقد أن الحرية القومية ينبغي أن لا تتجاوز حدودها حتى لا تتعارض مع استقرار المجتمع الإنساني، ويجب أن لا ينسى المدافعين عن الحرية القومية أن نفس الأسباب تخول للدفاع عن القومية الفردية " إنني أسلم لآي إنسان يحب الحرية، لأنه إذا أردنا أن

يتوفر للعالم أكبر قدر ممكن من الحرية فمن الضروري أن يخضع هذا العالم لقيود تحول دون الهجمات العنيفة علي حرية الآخرين ".

وإن من المعترف به في الشؤون الداخلية للدول هو أن القانون يعاقب على جريمة القتل، ولو أنه ألغيت هذه العقوبة، فحتما ستقل حرية الجميع باستثناء القتلة، الذين ستقل حريتهم وتنتهي أيضا بالقتل.

وإن المحاولات المتواصلة قصد سن مجموعة من القوانين الدولية جدير بالاحترام والإعجاب، ولكن يبقى الاختيار لكل دولة قومية أن تختار بين احترام أحكام القانون الدولي وبين عدم الاحتفال بها، كما أن الدول العظمى تتمتع بقتل الضعفاء وتدعي الدفاع عن الصواب، وأن الوطنيون يتحدثون عن الاستشهاد في سبيل الوطن دون أدنى انتباه لما يقترفون من جرائم حرب اتجاه الإنسانية، كالإعجاب الذي يحمله "بيرون"و"هابني" نحو "نابليون "، ولكي تكون الحكومة العالمية ممكنة التواجد يجب أن يدرك الناس استحالة الفوضى والعنف الدائم لأنه سيهدد الإنسانية مع تواجد أسلحة الدمار الشامل ولكن إذن كيف يتم ضبط النفس ؟

ويقر أيضا بالاعتراض على إقامة الحكومة العالمية من طرف الدول الشيوعية نظرا لتجمد الأوضاع الراهنة، ما دام الصراع بينها وبين الرأسماليين، فمن الصعب إقامة أي تنظيمات دولية، وانتقال الدول من معسكر إلي آخر، وستخول أحكام القانون الدولي لكل دولة تنظيم اقتصاديتها كما تريد ولكن من الصعوبة احترام هذه الحرية احتراما حقيقيا، ولكي تثبت قواعد الحكومة العالمية عليها بأن زيادة التسامح مع أنواع الحكم القومي أكثر مما هو عليه حاليا ، مع تخلي عن جانب إثبات الذات القومية.

يجب على الدول التخلي عن أنها الأرفع شأنا والأفضل كما تبينه الساحة الدولية الحالية، وإن في الحالة التفاوض يجب عليها ضبط النفس والامتناع عن التغني بأنهم الأفضل والأكثر تفوقا فهذا ليس من الذوق واللباقة، وسيكون من العسير ضبط النفس لو استمرت المشاعر القومية في التكريس بأكثر حدة.

ما الذي سيمنع القوة الدولية المسلحة من القيام بتمرد عسكري وتعيين قائدها إمبراطور للعالم ؟ إن هذا اعتراض يستعمل في مناهضة إنشاء حكومة عالمية فيقال

إنه سينجم عن إقامتها خطر متمثل في الاستبداد العسكري،يرى"راسل" أن هذه المشكلة تواجه كل دولة قومية في الحاضر، وإن الأمم المتصدرة للعالم قد استطاعت السلطات المدنية فيها السيطرة على الأجهزة العسكرية مستشهدا بالأدلة التاريخية عندما أزمع"لينكولن" تعين قائد هام علي القوات الشمالية في الحرب الأهلية الأمريكية حذره البعض من أن مرشحه سيسعى إلى إقامة ديكتاتوري، فكتب إليه معبرا عن مخاوفه:" إن السبيل لإقامة ديكتاتورية هو تحقيق الانتصارات، سأتطلع إليك من أجل تحقيق الانتصارات وسأجازف بالديكتاتورية"[1]، وكما أن الصراع الذي نشب عن قانون الإصلاح بانجلترا (1832)، بالرغم من المعارضة الشديدة ل"ولنجتون " إلا أنه لم يقود الجيش لمعارضة البرلمان، وأن ستالين قضى على معارضيه من الجنرالات بالإعدام .

ومنه لم يتخوف "راسل" من خطر السيطرة العسكرية، ويعتبرها ستكون أقل صعوبة مما كانت عليه في الدول القومية، ولكن يجب ضرورة الانتباه إليه من الحكومة المدنية، ولكن ما حكمه على الخوف ؟

يرى "رسل" إن الخوف عائق نفسي يعترض سبيل الحكومة العالمية، فالخوف الدائم من الأعداء الخارجين، فالتماسك الاجتماعي لا يتوفر إلا بالخوف من الأعداء فبالغريزة ينقسم الأفراد إلى أصدقاء وأعداء ويقول "راسل" التعاون الدول ويدعو إلى قواعد الدين والأخلاق والمصلحة الاقتصادية، حتى مجرد الرغبة في البقاء البيولوجي ولكننا دائما نريد المزيد من التطاحن والشحناء وتفسير ذلك حاجة الإنسان لأعدائه وهذا الدافع الذي ورثناه عن الغابة، وأنه من أصعب الأمور التي تواجه توحيد العالم هو رغبته الغريزية في المنافسة، ويجب علينا التغلب على الطبيعة اللاشعورية المفترسة الكامنة فينا، ولكن هذا ليس بالمستحيل ويتم التغلب عليه بسيادة القانون وإيجاد المخارج بريئة للتنفيس عن رغباتنا في التنافس[2]، ويكون أكثر وضوحا عندما يعهد إلى شخص راشد برعاية أطفال أشقياء لا ينصاعوا للأمر، وبما أنه الهدوء فإنهم لا يحملون على

[1] - رمسيس عوض ، برتراند راسل الانسان ، سبق ذكره،ص76
[2] -برتراند راسل ،السلطة والفرد، سبق ذكره ص 30.

الطاعة، ولكن إن حدث حادث مخيف فسيبحثون عن شخص يحتمون به ويطيع أوامره وهذا ما ينطبق على الكبار، وأن الحكومة العالمية إذا توطدت بشكل واضح ولن يكون لها أعداء تخافهم ستكون معرضة للانهيار، بسبب افتقار إلى حافز التماسك.

إن الوطنية تكون واضحة بشكل كبير في الحرب، فينصاع الأفراد لأوامر الحكومة الكريهة، وهذه الطاعة لا توجد في حالة السلام المستقر، ولن تكون الحكومة العالمية بحاجة إلى دافع الولاء لأنها لن تجابه أعداء من الخارج، ولكن يجب التنبيه إلى أن الفشل في الولاء للحكومة العالمية معناه حرب علمية ستصبح على الأبواب، هل بالإمكان إيجاد عامل يساعد على التماسك الاجتماعي أكثر من العداوة للدول الخارجية؟

يعتبر" راسل" أن هذا ضرب من التشاؤم لأن كل هذا يعتمد بأسره على التعليم فالتطورات الفنية التي أحرزتها الثورة الصناعية، أدت إلى زيادة حجم الدول، وبحكم أن كوكبنا محدود فلابد من إقامة حكومة عالمية، كان حجم الدول يحدد أساسا التوازن بين قوتين متعارضتين، من جهة نجد حب السلطان والقوة من جانب الحكومة، ومن جهة نجد حب الاستقلال من جانب المحكومين، والمرحلة التي تجد هذين القوتين نفسيهما في حالة توازن هي مرحلة من التطور تعتمد تكتيك سائد وأسلوب إنتاج خاص وعلى الرغم من تطور العديد من الأدوات، إلا أن اكتشاف البارود لم يزد من حجم الدول فحسب، بل زاد أيضا من قوة الحكومة المركزية، ولكن لم يخلق الظروف الفنية التي ينبغي توفرها لإنشاء الحكومة العالمية[1].

ما فضل التجديدات في الحكومة العالمية ؟ لقد كانت لابتكارات الإنسان من سكة الحديد والتلغراف، وأخيرا اختراع الأسلحة النووية التي أدت الفوضى الدولية الراهنة وقد جعلت بالإمكان إقامة حكومة عالمية نتيجة إلى ثلاث ابتكارات علمية، وتتمثل في القدرة على التدمير للأسلحة النووية الحديثة، السرعة الفائقة التي تستطيع بها الأسلحة الوصول إلى أهدافها، أيضا تكاليفها الباهظة، فكل هذه التجديدات تزيد من إمكانية التضخم من حجم الدولة المستقرة، ولكي تعمل الحكومة العالمية بيسر فلابد من مساواة اقتصادية وحتى يتحقق ذلك، فتظل المجتمعات الفقيرة تحمل شعور الحسد للغنية ،وكما

[1] - برتراند راسل ، اثر العلم في المجتمع ، ص41.

يجب على الحكومة العالمية أن تملك المواد الخام للصناعة، وأن توزعها حسب مبدأ العدالة والقدرة على الاستعمال ومساعدة الدول التي تفتقر لها على اكتسابها .

ماذا عن الحرية ؟ في العالم الذي تصوره "راسل" يجب أن يكون بكل الطرق تحقيق أكبر قدر من الحرية، مع وضع بعض القيود على الحرية مع غرس "روح الولاء " للحكومة العالمية، وكبح جماح الإثارة وتحريضات الحرب، فماعدا هذا القيد فينبغي حرية الصحافة والتعبير، والأسفار، مع تغيرات جذرية في نظام التعليم، وينبغي تعليم التاريخ من وجهة نظر دولية، مع تقليل الاهتمام بالحروب،والاهتمام بالانتصارات السلمية في مجالات المعرفة والفنون والمغامرة، وتمنع الحكومة العالمية على الدول إلهاب الشعور بالتفوق بين دول العالم أو التحريض للعصيان المسلح على الحكومة العالمية، إن أهم الأهداف التي يسعى التعليم إلى تحقيقها توعية النشء بإمكانيات التعاون الدولي، وخلق عادة التفكير في مصالح الإنسانية ككل، وتشجيع المحبة والود، والتقليل من الكراهية التي يقدمها التعليم"حملة ضخمة في أمريكا تهدف إلى تطهير المكتبات من الكتب التي تتضمن معلومات عن روسيا " [1].

إن سلبيات العلم كانت قاسية على الإنسان جدا، ولكن في هذا العالم يتيح التعليم لنا درجة من المغامرة أكبر مما هو عليه عالمنا ، ستتسع رحاب أشعارنا وفنوننا حتى تبلغ مشارف عوالم جديدة، تجد لها تصويرا في ملامح جديدة، وقد يكون من المتوقع أن يقود تحرير روح الإنسان إلى بهاء جديد وجمال جديد، كان مستحيلا في عالم الأمس الحبيس الضاري.[2]

تخوف "راسل" من حرب عالمية ثالثة بسبب الحرب الباردة بين أمريكا وروسيا في سباقهما المتواصل نحو التسلح" لعل أول وأسهل خطوة لتحقيق السلام تكون باتفاق بين الجانبين للحد من نشاط الدعاية العدائية، والخطوة الثانية ينبغي أن يكون السماح للمعلومات الصحيحة بأن تعبر الستار الحديدي،فكل إنسان يدرك أن الروس في الوقت الحاضر لا يسمح لهم بأن يعرفوا الحقائق الغرب "فإذا بدأت الحرب بتدمير

[1] -برتراند راسل، المجتمع البشري في الاخلاق و السياسة، سبق ذكره، ص 200 .
[2]-رمسيس عوض، برتراند راسل الإنسان،سبق ذكره، ص 81 .

المدن الكبرى وقطع المواصلات تماما وإشعال النار في آبار البترول، وهذا ما يحدث في الغالب " ما الذي ينبغي تجنبه في الحكومة العالمية ؟

فإذا أردنا للحكومة العالمية أن تقوم يجب التخفيف من حدة التعصب، ولا بد من تغييرات هامة في تفكير الإنسان وأن ينصت إلى صوت العقل والتسامح [2]، من نبذ التعصب الذي يعمي الإنسان عن فضائل غيره،ويؤدي إلى تمجيد الإنسان لفضائله التي يتحلى بها، ويرى "راسل"أن القومية مشروعة إذا كانت تناضل عن الحرية والاستقلال ضد دولة غاصبة، ولا يقبل بأن تكون القومية قوة معتدية هدفها التوسع والسيطرة، يرى "راسل" أن الحرب مشروعة واجبة في بعض الحالات، ويطالب بإجراء تغيير شامل في نظرة العالم التعليمية فهي في الوقت الحالي نظرة ضيقة تقوم على التعصب، وأن ينال علم التاريخ جانب جوهريا في جميع الدول على تمجيد تاريخها، والتعصب لأسلوب حياتها والمبالغة في شأن الدور الذي لعبته في إقامة الكيان الحضاري، فكل الدول أسهمت في الحضارة، ومن العبث أن تفخر دولة بأنها أرست قواعد الحضارة، وأن ننظر إلى المجتمعات علميا لا عاطفيا، والحقد الوحشي ليس السبيل للتخلص من التصرفات غير المرغوب فيها، وإذا كان للعالم أن يتوحد، وهو ما لابد منه إذا أريد له البقاء، يتم ذلك بانتشار الروح العلمية، وأن تجد روح المغامرة في الإنسان تنفيسا غير الحرب، والعلم الحديث بإمكانياته الهائلة التي لا تحد، ويمكنه أن يستنفذ في الإنسان طاقة المغامرة والكشف والاستطلاع، ولو أمكن العالم أن يستبدل الرغبة في المغامرة والكشف العلميين بالقتال والحرب لن تحظى الإنسانية بالسعادة العظمى، وقال "ألان ريان" وجهات نظره بشأن الشؤون الدولية لم تكن تختلف كثيرا عما كانت عليه من قبل وأن مقترحاته المتطرفة لتشكيل حكومة عالمية تحتكر القوة التدميرية قد أعرب عنها في(1915) ،وأن عداءه لأمريكا عرض سنة (1918مع كثير من الازدراء عندما كان بالسجن، ولكن في (1954) دعا لعالم مثالي أكثر تفصيلا ولعالم مستقر ومسالم[1] "وأول العناصر فيه هي حكومة عالمية واحدة في العالم كله، وحيازة احتكار القوة المسلحة، وبالتالي قادرة على فرض

[1] -Alan Rayan ,russell ,.A political life ,Oxford University ,1993, p 175.

السلام، والشرط الثاني هو نشر الرخاء العام، حتى لا يكون هناك أي مناسبة للحسد من جزء واحد من العالم من جانب أخر،الشرط الثالث(يشترط الوفاء للثانية) هو معدل المواليد المنخفض في كل مكان، حتى أن عدد سكان العالم يصبح ثابت، أو ما يقرب من ذلك، والشرط الرابع هو اعتماد المبادرة الفردية على حد سواء في العمل واللعب وإعداد نشء متوافق مع الحفاظ على ما يلزم من الإطار السياسي والاقتصادي"[1].

ويرى "ألان وود "أن كتاب "أي الطرق إلى السلام" يحمل العديد من الأفكار السديدة بالرغم من بعض النتائج الأساسية الخاطئة وحمل العديد من الأفكار السياسية الواقعية ،ويلاحظ أن مسالمته في الثلاثينات أظهرت بعض الشقوق، وربما كان معلق سياسي أفضل بكثير عندما كان وحده بدلا من حشد من الناس[2]، حيث قال: "أن أ راءه أكثر تناسقا وانسجاما من آراء حزب العمال الذي عارض فكرة التسلح في نفس الوقت الذي كان يطالب بمقاومة العدوان الفاشي، ولم تكن تراوده الأوهام وتنبأ بحروب قادمة في الأجل القريب[3] .

على الرغم من أن السلام ضروري وأهميته من قبل معظم دعاة الحرب أنفسهم ومن قبل "راسل" الذي يجمل مزياه بأنه يوفر للبشر أرواحهم ومواردهم التي تبددها الحرب ولو أحسنوا استغلالها لعادت على البشر بالنعيم والرفاهية، وإن السلام هو المناخ الملائم لنمو الطاقات الإبداعية التي يشلها الخوف والكراهية والتدهور الاجتماعي والانحطاط الخلقي بوجه عام، وإن مع التطور العلمي والتكنولوجي لم يعد السلام ضامنا للرفاهية لا لنمو الإبداع الإنساني، بل أصبح كذلك ضامنا لبقاء الجنس البشري.

وبما أن الحرب تقوم أساسا على الدوافع النفسية الدفينة التي تجد مناسبات للظهور بفعل بعض العوامل التي تكون أسبابا مباشرة، وإنه لإقرار السلام ومعالجة ظاهرة الحرب لابد من أن يلتزم ببذل الجهد على مختلف المستويات من حيث أساليب العمل سواء تعلق الأمر بالإصلاح الاجتماعي والتربوي والإصلاح السياسي، على كلا

[1]- برتراند راسل، المجتمع السياسي بين الأخلاق والسياسة ، ص 202

[2] -Alan wood .the passionate scepitic . Allen & uniwin 1957 .p 203.

[3] - ألان وود ، برتراند بين الشك والعاطفة ،سبق ذكره ص 191 .

المستويين البعيد والقريب، فالحرب شأنها شأن أي داء يحتاج إلى علاج، ويتمثل الحل في إضعاف دوافع الهدم والعدوان وتقوية دوافع الإبداع والبناء، وهي مهمة يقع عبؤها على عاتق النظام الاجتماعي السائد وعلى طبيعة مناهج التربية والتعليم واتجاهات وسائل الإعلام والدعاية .

يرى "راسل" أن السلام على المستوى العالمي هو ما ينبغي تحقيقه، بسلطة عليا وقوة مسلحة تناط بها مهمة ردع الأفراد في المجتمع الدولي، ومنعهم من استخدام القوة بشكل غير مشروع إزاء بعضهم البعض، وربما يكون لتلافي الأمم المتحدة لبعض نقائص عصبة الأمم، يبعث على الأمل في النفوس،تكون مثل هذه المنظمة الدولية الخطوة الأولى في سبيل تحقيق سلطة عالمية فعالة .

المبحث الثاني :موقفه من الحضارة الصناعية .

واجه العالم الحديث مشكلة تتمثل في الصراع القائم بين الرأسمالية و الاشتراكية حيث أن مشكلة العالم الراهنة تتجلى في صراع تدور رحاه بين الحضارة الصناعية من جانب، والإنسانية من جانب أخر، ونظرا لمخلفات العلم الايجابية والسلبية، أصبح ممكنا الحديث عن أثره في الحضارة الإنسانية فما موقف "راسل" من الحضارة الصناعية؟ ما رأيه من التصنيع ؟ وما أسباب الفوضى الراهنة؟ وما رأيه من الاتجاهات المختلفة التي عاصرها من رأسمالية واشتراكية والفوضوية ؟ وكيف يمكن الانتقال إلى الحكومة العالمية ؟ ما رأيه من الحضارة؟

يرى "راسل" أن المشكلة التي تواجه العالم الحديث لا تتلخص في صراع بين النظامي الاشتراكي أو الرأسمالي، بل في صراع بين الحضارة الإنسانية والصناعية ويذهب إلى وجود تشابه بين الرأسمالية الصناعية والشيوعية الصناعية،وبين رجال الصناعة الاحتكاريون في أمريكا وبين الشيوعيين فكلاهما يؤمن بالآلية، ليس لغرض إسعاد الإنسانية وسلامتها.

يرى "راسل"أن المجتمعات الإنسانية تتحرك حركتين إحداهما "دائرية" والثانية "تقدمية"، فالحضارات تتحرك "دائريا"تتعاقب فيها الواحدة تلوى الأخرى، مثل أطوار من النمو إلى الاضمحلال ثم الموت، وإن هذه الحركة تبعث على اليأس، فحركة التاريخ يكون في حلقات لا معنى لها عندما يعيد نفسه، كما أن هناك جانب يبعث على الرجاء، بسبب تقدم المجتمعات، "ويميز كل مرحلة عن غيرها يبدوا لنا إذا فكرنا في الحركة الدائرية أن الدورة بأسرها عديمة الجدوى، ولن تتحقق لنا إدراك التقدم الذي أصابته الإنسانية عصرا بعد عصر، والحركة الثابتة الخطى، التي تقبع وراء الدوامات التي تجيء وتروح على سطح الماء، إلا عن طريق تركيز اهتماماتنا على ما هو تقدمي وعلى ما يميز دورة عن الدورة التي تتلوها "[1].

إن الحضارة الإنسانية ستدركها الشيخوخة شأنها في ذلك شأن الحضارات المختلفة، ولكن ليس معني ذلك الإغفال عن الحركة التقدمية المتحققة في العصر الحديث،وإن أي مقارنة بين مختلف الحضارات، سنلاحظ تطورا ونموا في نمو

[1]- رمسيس عوض، برتراند راسل المفكر السياسي، ص 128 .

المعرفة والتنظيمات، وخاصة تنظيمات الدولة، وما عرفته الإنسانية من تطور، ولكن ليس معنى ذلك أن الحركة التقدمية كلها ايجابية، بل تحمل أخطار جمة بتهديد الإنسانية فكلما زاد العلم، زادت أخطاره، فنمو المعرفة والتنظيمات شرطان لازمان للتقدم الإنساني بما يتضمنانه من شرور.

لتجنب مفاسد الدولة لابد من إقامة حكومة عالمية تصون الإنسانية من التناحرات القومية والتفرقة العنصرية، والعلاج النهائي للحروب هو الحكومة العالمية، لها قوة عليا تحل النزاعات بين الأمم، كما يرى أنه لا يمكن أن نفكر في إقامة حكومة عالمية إلا عندما تصبح دول العالم مرتبطة مع بعضها البعض، ولا يمكن أن يقف جزء فيه موقف عدم الاكتراث بما يحدث في آخر،"لقد كان من نتائج التصنيع أن تشابكت مصالح الإنسانية وترابطت،الأمر الذي يحتم ضرورة التضامن على المستوى الإنساني وهذا التضامن ناجم عن التصنيع والمخترعات الآلية، وكلاهما من نتاج العلم "[1].

ويعود"راسل"وينظر بمنظار المتفائل بكل أمل في تجاوزالمحن الراهنة للإنسانية وبمحاولة وضعنا حدا لأسباب الفوضى والاضطرابات، مع تشخيص للداء والدواء بحيث نتجنب العزاء السهل الذي تقدمه الآمال الكاذبة، في خضم الأحقاد المتطاحنة ولا من أن يعمل العالم الحديث العقل بدلا من أشياء أخرى"والعالم الآن أحوج إلى استخدام العقل والأسلوب العلمي في التفكير أكثر من وقت مضى، لأن كل المذاهب وسائر العادات التي تعتمد على السلطات اللاعقلية قد تقوضت،والمحرمات والمعتقدات الدينية، والعادات الاجتماعية تشكل مصدر السلطة بين القبائل غير المتحضرة في حدود التي يمكن القول معها بوجود نظام فيها كما أنها تستمر كمصدر للنظام خلال مراحل الثقافة المتعاقبة حتى يبين العقل المتشكك سخافتها في آخر الأمر ".[2]

ويعتقد "راسل" أن أسباب الفوضى الحالية تعود إلى صراع القوى المتعددة وأهمها قوتي التصنيع والقومية ولكلاهما وجهين، فإن التصنيع الذي تسيطرعليه طبقة ملاك المصانع فيعرف بالرأسمالية، وأما التصنيع الذي تسعى إليه طبقة العمال بغية

[1] - رمسيس عوض ، برتراند راسل المفكر السياسي، مرجع سبق ذكره ، ص 129 .
[2]- رمسيس عوض، برتراند راسل المفكر السياسي، مرجع سبق ذكره، ص 130 .

التحرر فيعرف بالاشتراكية، والحرب سجال بينهما، وإن القومية تتجلى أيضا في مظهرين مظهر السيطرة من طرف جانب على آخر ويعرف بالاستعمار، ومظهر ثان يسعى فيه جانب من التخلص من السيطرة ويقرر مصيره بنفسه، وروسيا تسعى إلى التحالف مع حق تقرير المصير ضد الرأسمالية والاستعمار، ولكن هذا لا يعني في رأيه أن القومية تتفق مع الاشتراكية.

كما أنه يرى أن الصراع السياسي والعسكري الدائر في العالم، يجعلنا نغفل عن التشابه الموجود بين التصنيع في وجهيه، وبين القومية في مظهريها، إذن ما وجها التصنيع في نظر "راسل" ؟ وكذا القومية ؟

إن التصنيع في نظره يتطلب شروط معينة في المجتمع، بالتضحية على بعض متع حاضر بغية مكاسب مستقبلية،وهذا ما يدل على أن المجتمعات السائرة في التصنيع تضحي بإرضاء احتياجاتها في الحاضر من أجل منافع أكبر في المستقبل.

قدم "راسل" بعض الشروط التي يجب توفرها في المجتمعات التي تريد السير في التصنيع،يجب توفر إمكانية الحصول على تنظيمات عمالية ضخمة للقيام بأعمال مشتركة، كما يجب أن تتوفر لدى المجتمع رؤية مستقبلية للاستعداد لتضحية بمصالح الآنية لمكاسب في المستقبل، لابد أن يتمتع المجتمع بالاستقرار والأمن ليشعر العمال بأهمية تضحياتهم من أجل المستقبل على عكس عندما تكون الفوضى والاضطراب مع توفر أيدي عاملة ماهرة لتعقيد العمليات الصناعية دون أن ننسى أهم شرط ألا وهو المعرفة العلمية اللازمة للاكتشاف والاستخدام .

ويعتقد "راسل" أن الدولة في بداية التصنيع سيكون التنظيم الاقتصادي في يد قلة حاكمة، ويعاني معظم السكان الفقر المدقع، وكما أنها لا تكون على قدر كبير من الكفاءة الإنتاجية، وستضحي بالكثير من الفوائد المباشرة في سبيل دعم التصنيع "والحل الوحيد لتجنب هذا ينحصر إما في التصنيع ببطء شديد، أو في القروض الضخمة من البلاد أكثر تقدما من الناحية الاقتصادية "[1].

[1] - رمسيس عوض ، .برتراند راسل المفكر السياسي ،المرجع السابق ص 131 .

يذكر "راسل" اتجاهان في مجال التصنيع الصناعي، اتجاه الحكم المحلي للصناعة وهذا ما يتفق مع المذهب النقابي الاشتراكي"(السندكالية)، واتجاه نحو مركزية النشاط الصناعي في يد سلطة عليا ويتمثل في التجربة السوفيتية وبحكم العداوة التي تجمعها مع الدول المتقدمة صناعيا سيكون الحصول على قروض غير ممكنا ومما يجعلها أمام أحد البديلين إما الفقر المدقع أوالتصنيع البطيء، ولو أنه نفذ الاتجاه المحلي للصناعة في الدول المتخلفة لما كتب لروسيا النجاح ، بسبب عدم وجود سبل لإغراء العمال على مكابدة المشقة التصنيع لأجل أفاق مستقبلية،ويستشهد بمثال ظهور الثورة الصناعية في انجلترا، حيث قامت عصابات العمال بإتلاف الآلات لمنافستها العامل في الإنتاج والعمل " ولو كان العمال يسيطرون على وسائل الإنتاج في تلك الفترة لما كان للثورة الصناعية أن تتحقق أبدا ".[1]

فشدة الفقر ليست السبب الذي يجعل الحكم المحلي في الصناعة الحديثة مستحيلا وبل تجد الناس لا يتصفون بصفة التعاون في مجموعات ضخمة "وليس عمليا أو ممكنا أن نتوقع أن يجتمع عمال بلد عهد لهم بالصناعة على هدف إنتاجي موحد طواعية واختيارا إذ أنه من اللازم إرغامهم على التعاون في بادئ الأمر حتى تتكون فيهم عادة التعاون في عمليات الإنتاج الصناعي، وبعد التأكد من تكوين هذه العادة يمكن رفع الإرغام عنهم، وعندما يتم تحقيق التنظيم اللازم، وتكوين عادات العمل في إطاره يصبح الحكم المحلي ممكنا ويمكن توفير الحرية بالتدريج، وهذا هو الحال في الصناعة، ولابد للصناعة الوليدة من أن تكون مستبدة، وإن اختلفت درجة استبدادها سواء كانت هذه الصناعة اسمها رأسمالية أو شيوعية فالمستبد في إحدى الحالتين هو رأسمالي، وفي الحالة الأخرى موظف عند الدولة"[2]، "سيتبع هذه الاعتبارات أنه ليس هناك من الناحية العملية فرق كبير بين الرأسمالية والاشتراكية كما يزعم السياسيون في كلا الجانبين، ويرى أن الاشتراكية لتصل إلى الرفاهية لابد أن يكون التصنيع متطورا، وغزت أعماق حياة الأمة، فالثمار التي تنتجها في بلد مثل أمريكا وبريطانيا

[1] - رمسيس عوض ، المرجع نفسه ، ص132 .
[2] - رمسيس عوض ، المرجع نفسه ، ص 132 .

ستكون أكبر بشرط أن لا يسبب الصراع الطبقي توقف لدواليب الصناعة، وأن كل من و.م.أ وانجلترا تتوفران على تربة صالحة للحكم المحلي واللامركزية، والعمال فيهما على درجة كبيرة من الخبرة والصناعة يجنبهم تدخل موظفي الدولة في تسير أمورهم .

إذا كان مظهرا القومية يتمثلان في الاستعمار وحق تقرير المصير، فإنهما يتشبهان في كثير من الأمورعلى الرغم من الخلاف الظاهر، فجذور القومية غريزية بالإنسان، بولاء غريزي لجماعة معينة ما، ومحددة بإطار جغرافي "إنها لسمة تميز العصر الحديث أن هذه الصورة من غريزة الولاء للجماعة قد اكتسبت سيادة واضحة للغاية علي كل صورة أخرى لها، ففي الماضي في فترات عديدة كانت الجماعة التي ينتمي إليها الإنسان تتكون من المشتركين معه في نفس الدين أكثر من تكوينها من المشتركين معه في الوطن"، وهذا ما أكد عليه التاريخ بدهشة الماركسيين من ولاء الذي أبداه العمال لوطنهم على الجماعة التي ينتمون إليها في الحرب العالمية الأولى خيب آمال الماركسيين الذين كانوا ينظرون إلى الوطنية كبضاعة تروج لها الرأسمالية.

أن المنافسة المصاحبة للقومية، وهي المسؤولة عن مشاحنات وتناحرات الأمم ويقول بهذا الصدد:"والإنسان المصاب بداء القومية يعتقد أن بلده أكثر البلاد تمدنا وإنسانية بالعالم، في حين أن أعداءه موصومون بكل ضراوة ووضاعة يمكن أن تخطر على البال، ،هذا هو مذهب القومية... وأنه يفضي إلى الشحناء والوحشية والدمار "[1].

ويظهر الفرق الضئيل بين الاستعمار والقومية المضطهدة عندما تتحرر أمة من أغلال الظلم والاضطهاد، ويستدل بمسلك "بولندا" بعد أن نالت استقلالها من روسيا القيصرية بمجرد أن توفرت لها أسباب استقلال تحولت إلى دولة توسعية متعدية "طالما أن غالبية العالم المتمدن تدأب على الشعور بأن واجبها الاجتماعي الأوحد يقتصر على بلدها، وإن أحرز تقدما يبرر إلحاق أية درجة من الأذى والدمار بشعوب البلاد الأخرى "[2].

[1]- رمسيس عوض ، برتراند راسل المفكر السياسي ، مرجع سبق ذكره ، ص 134 .
[2]- رمسيس عوض، نفس المرجع ، ص134 .

بارك "راسل" الحركات التحررية، وكان يريد أن تتصف بالشمول والإنسانية وهو يقول أن مبدأ تقرير المصير لا يكون قوميا بالضرورة إلا إذا أصبح توسعيا، أو كان يعني الرغبة في الاستئثار بالتحرر من الظلم، أي الحرية للعالم كله "من الواضح أنه إذا استمر الشعور القومي متأججا على ما هو عليه في الوقت الحاضر، فسيكون مبدأ تقرير المصير، إذا أمكن تحقيقه ووضعه موضع التنفيذ ضد الدولة القومية الباغية وأحسن ترتيب ممكن لإقرار الحدود القومية "، تخوف"راسل" من الروح القومية لدورها في إضفاء الحروب، ويكمن الحل باكتساب العالم عادة النظر إلى مصالح إنسانية، وصرف طاقات الإنسان الشريرة بعيدا عن التنافس القومي ويقول في ذلك الشأن:"وأنا لا أشك أن هذا في الوقت الراهن أهم واجب على الإنسانية أن تضطلع به بل أكثر أهمية من إقامة نظام اقتصادي أفضل"[1]،إن قوتي التصنيع والقومية متشابكتان ومتفاعلتان، ويرى أن التصنيع قد أضاف بطرق مختلفة إلى نمو القومية، في حين أنه قد أنتج لأول مرة في التاريخ الإمكانية الفنية لإقامة حكومة فوق القومية تسير العالم وتحكمه .

حاول "راسل" أن يتحدث عن نتائج التصنيع، حيث أن التصنيع ليس فقط توفر أعداد كبيرة من العمال بل جوهره هو استخدام آلات معقدة، والتي تقلل من الجهود المبذولة للإنتاج، كما أنه جعل المجتمع أكثر عضوية مثل جسم الإنسان المكون من عدة خلايا أكثر عضوية، فالمجتمع الصناعي تتكامل فيه وظائف الأفراد عكس المجتمع البدائي الذي يكتفي بذاته، نجد أن المجتمع تتلاحم وتتجمع خيوطه بحيث تصبح حياة الجزء تعتمد على الكل، وإن له أعضاء حساسة إذا تدمر أحدهم أصيب سائر أعضاء المجتمع بالشلل، ويستشهد"راسل" بمثال لو حدث تدمير محطة القوى الكهربائية في المنطقة وهذا سيؤدي إلى توقف المصانع والموصلات وإضاءة المنازل، ومما يجعل الحكومة ضرورية في ظل هذا التشابك للمجتمع، ومما يؤدي إلى تقليص الحريات للمحافظة على مصالح المجتمع وبالتالي زيادة سلطة الحكومة .

[1] - رمسيس عوض، برتراند راسل المفكر السياسي، ص 135 .

يبين "راسل"أن المجتمعات قبل التصنيع كان الأفراد يكدون من أجل لقمة العيش ولا يحقق رغباته من المعرفة والجمال وكان هذا حكرا على الأقلية الغنية، ولكن إنتاج الضروريات في ظل التصنيع يتطلب جانبا صغيرا من نشاط المجتمع، فتتحرر طاقاته لتوفير الكماليات من علم وأدب وفن وصناعة حرب، وهذا ما يدل على حرية الإنسان في وجود التصنيع من ربقة الطبيعة والظروف المادية والحضارة، وهذا ما جعل الإنسان يعرف الحضارة بأنها السعي لتحقيق أشياء ليست ضرورية للبقاء من الناحية البيولوجية،واعترف "راسل" بأن الحضارة بدأت مع الحضارتين البابلية والمصرية بحكم خصوبة الأرض التي أدت إلى فائض الإنتاج وبتوفير الفراغ لقلة من الناس ساهمت بجهودها في بناء الحضارة وبمرور الوقت تم استحداث الكتابة والفنون والفلك والرياضة، وليتمتع الجميع بالحضارة كان لابد أن يكون التصنيع اشتراكيا في أهدافه.

إن ظروف الحياة الصناعية المتمدنة قضت على نزعات الإنسان الفردية التي تنتج الفنون الرومانسية، وبل ساهمت وشجعت العواطف الجماعية التي تنتج الحرب والتدمير،وإن حياة الأفراد في مجتمع التصنيع نسخ متشابهة وتتصف بالرتابة والروتين، مما يجعلهم يقبلون علي القصص العاطفية وقضايا القتل التي تبدد الملل.

وإن من نتائج التصنيع أيضا تفكك الروابط العائلية، فحرية المرأة ومساهمتها في الاقتصاد، بالعمل، وتحررها من سيطرة زوجها، ومما يجعلها مستقبلا تسلم أطفالها للدولة لصيانة استقلالها الاقتصادي "لقد كانت العائلة حتى يومنا الراهن ملجأ للحياة الخاصة بحيث يمكن الهروب من سيطرة الدولة - بل إلي حد ما- من الرأي العام فقد كان في إمكان الذي ينفرد بأذواق غير مألوفة أو يعتنق آراء شاذة أن يربي أبناءه بطريقة تهدف إلى مشاركته في خصاله الشاذة غير العادية، ولكن لا بد أن يبطل هذا عندما تتولى الدولة أمر تربية الأطفال وتتكفل بكافة أعبائهم الاقتصادية وهكذا نجد أن انهيار العائلة مما يزيد التشابه والتطابق بين كل السكان، كما أنه يضعف سائر السمات الفردية التي لا يمكن أن تزدهر في عشية ترسخ جذورها تماما في الحياة العامة"[1].

[1]- رمسيس عوض، برتراند راسل المفكر السياسي، مرجع سبق ذكره، ص 139 .

يرى"راسل" أن التصنيع الموجود بالنظام الرأسمالي يتسم بالنظرة النفعية، والتي يخلفها وبالا على إحساسات الإنسان الفنية والأدبية، والاهتمام بالكيف لا الكم، وبالغاية بدلا من الوسيلة، أما الاشتراكية التي تهتم بالجانب الاقتصادي يجب عليها أن تمنح الأفراد فراغات للاستمتاع بالفن والآداب، فما مدى تفاعل التصنيع مع القومية ؟

أما فيما يخص تفاعل التصنيع مع القومية يرى"راسل" أن التصنيع يتضمن اتجاها شديد القوة نحو القومية، وهذا ما يعزز قوة كل دولة الاقتصادية على حدة ويرى أن القومية التي تتخذ صورة التناحر بين مجموعتين في متأصلة غريزيا في الإنسان وإن هذه الغريزة كانت تخدمه في مراحله الأولى لأغراض بيولوجية " وهذه الغريزة كمعظم الغرائز الأخرى كانت بوجه عام مفيدة من الناحية البيولوجية ولكنها تستمر في البقاء بغض النظرعن نفعها البيولوجي وتعمل مستقلة عن أي شعور بنفعها، وقد جعل التصنيع هذه الغريزة غير ذي فائدة كما إنه في نفس الوقت قام بتنشيطها وتبنيها بصورة هائلة "[1]، ومع اعتراف "راسل" بالغموض حول أصل القومية إلا أنه لا يقبل بفكرة البواعث الاقتصادية المولدة لمشاعر القومية، وإنها قد تتعارض في كثير من الأحيان، وذلك بالدليل التاريخي حول" تريستا" التي طورها النمساويون ومع ذلك كانت قبل الحرب العالمية الأولى تسعى للتخلص من السيطرة النمساوية للرجوع إلى"ايطاليا "، وبالتالي الباعث على القومية هو غريزي في أصله وليس اقتصادي ولكن يمكن استغلاله لأهداف اقتصادية،لكن هل يمكن توليد الشعور القومي صناعيا ؟

يرد "راسل" يمكن ذلك وبأساليب مفتعلة، فالتجربة الأمريكية تؤكد ذلك، فلقد كانت لظروف أمريكا الخاصة بعد حرب الاستقلال ساعدت على ظهوره، حيث كان الوافدون إليها من أوربا مضطهدين من بلدانهم مما أشعرهم بأن العالم الجديد رمز الحرية ولتأليف بينهم، بالإضافة إلى التعليم الذي تلقاه أطفال المهاجرين بأن يكونوا مواطنين صالحين.

عرض "راسل" لعوامل ثلاثة تزيد من أثر التصنيع على القومية وهي :

ـ شدة التعاون وقرب الصلة داخل الجماعة، والتنظيمات الضخمة.

[1]- رمسيس عوض، نفس المرجع، ص 145 .

ـ الإحساس بالجماعة ككل والإحساس بوجود أجانب وغرباء، أن للصحافة والتعليم دور في ترسيخ هذا الشعور.

ـ التخوف من الأخطار الخارجية، فيؤجج التصنيع القومية، ويكون للإعلام والصحافة دور أيضا في إشعار الأفراد بالأخطار التدميرية للأسلحة التي تتزايد يوما بعد يوم. ويدمغ "راسل" الاتجاه القومي بالتعليم" يكاد المسئولون عن توجيه التعليم في البلاد المتمدنة ألا يكونوا قد سألوا أنفسهم على الإطلاق إذا كان تعليم النشء الكثير من اللغو المضحك عن قوة بلادهم وفضائلها وضعف أعدائها يخدم غرضا نافعا ".

يرى"راسل" أن الصناعة في أول عهدها كانت تستهلك المواد الخام دون ضوابط لطمع أصحاب الأعمال في الثراء، ولكن بمرور الوقت أدرك العالم ضرورة تنظيم استهلاك المواد الخام ، وإلى تأميم مواردها خوفا من النفاذ.

يرى "راسل" أن التصنيع يقتضي تحقيق مبدأي الاشتراكية والدولية (الحكومة العالمية)، إذا أراد أن يؤتي ثماره وإذا شاء العالم أن يتخلص من فوضاه الراهنة ومحنه فما هو مدى الأمل في تحقيق مبدأ الحكومة العالمية من الظروف الراهنة ؟

يعتقد "راسل" أن تحقيق مبدأ الدولية في القريب غير ممكن في العالم، وإن كل ما حققته الإنسانية على يد "ويلسون" عصبة الأمم المتحدة بعد الحرب الأولى التي رفضت عضوية "ألمانيا" و"روسيا"، والتي رفضت "و.م.أ" بدورها الاعتراف بها كهيئة ،ويعيب "راسل" على المنظمة حرصها الشديد على سيادة الدول المشتركة فيها وأدان "عصبة الأمم" في الحال يتضح لكل إنسان بطبيعة الحال لا فائدة ترجى من وجهة النظر الدولية ـ من هيئة الأمم المنفصلة، لأن هذه السيادة المطلقة هي السبب في الفوضى الراهنة ".

يؤكد "راسل" على الحكومة العالمية "العالمية التي نعني بإقامتها هي أساسا مسألة إنشاء حكومة عالمية أي خلق أو تنمية تنظيم قوي بدرجة تضمن تنفيذ قراراته على الإنسانية جمعاء، ويكون بذلك قادرا على تنظيم العلاقات بين الأمم بمقتضي أحكام القانون، لا بمقتضي ما تملكه الأمم من قوة في ميدان القتال، وعلى مثل هذه الهيئة إلا تتناول المسائل الإقليمية وحدها بل مسائل الهجرة على أي نطاق واسع كذلك مع تقنين

المواد الخام، وربما ينتهي بها الأمر إلى معالجة توزيع القوة من محطات للقوى الدولية"[1].

يرى أن المواد الخام لا تنهض على مبدأ الإنصاف والعدالة، ويفترض"راسل" لو أن دولة تملك المواد الخام ودولة أخرى بأمس الحاجة لها، ماذا سيحدث؟ إن الدول التي بحاجة للمواد الخام ستشن الحروب على الدول المالكة، مما يسمح لها بالحصول عليها بأرخص الأثمان، وليس هذا عدل، وإن الدول المالكة للمواد ستستغل المواد لاحتكارها وهذا أيضا ليس من العدل، وهذا ما يجعل ضرورة إقامة حكومة عالمية تضمن توزيع المواد الخام على أجزاء العالم المتفرقةحسب الاحتياجات لمنع المشاكل وتحقيق السلام.

هل الدول الصناعية الكبرى التي تقيم نظاما اشتراكيا على ربوعها في العالم تكفي لإنشاء حكومة عالمية ؟ يرى"راسل" أن أحداث التاريخ لا تشير إلى إقامة حكومة عالمية، نظرا لعدم وجود مانع يمنع الدول الاشتراكية من أن تراودها أطماع استعمارية وتوسعية، ويستشهد بسيطرة الانجليز على قناة السويس، ويستشهد بقول "تروتسكي"عام (1922) دفاعا عن موقف روسيا من جورجيا وإرغامها على الانضواء تحت لواء الدولة السوفيتية بالرغبة أو قوة، ويعتقد أن تحول الدول الصناعية الكبرى إلي الاشتراكية لا يمنع وجود الحروب والشحناء والرغبة في السيطرة، مثلا "البترول" الذي تملكه بعض الدول يجب أن توزعه الحكومة حسب الاحتياجات على العالم .

يرى "راسل" أن التصنيع يتطلب ممارسة بعض الفضائل التي لابد من وجودها وأن سعادة المجتمع الصناعي تقوم على عدة عوامل "من ناحيتي فإني أحكم على حالة مجتمع بأنها حسنة إذا توفر فيه قدر كبير من السعادة الغريزية، وانتشار مشاعر الصداقة والمحبة بدلا من الكراهية والحسد، وإذا توفرت فيه القدرة على خلق الجمال والاستمتاع به وحب الاستطلاع الفكري الذي يفضي إلى تقدم المعرفة وذيوعها "[2]، فما هي مقاييس الأخلاقية التي تحقق سعادة اجتماعية؟ وما هي الشروط التي تكون العناصر الأساسية لسعادة الإنسان الحديث؟ يرى"راسل" لابد من توفر السعادة

[1] - رمسيس عوض، برتراند راسل المفكر السياسي، نفس المرجع، 149.
[2] - رمسيس عوض، برتراند راسل المفكر السياسي، مرجع سبق ذكره ، ص 161.

الغريزية بالحياة فبدونها لا تقوم للإنسان قائمة وهي الفرحة التلقائية وتتطلب الصحة والقوة والعافية، وأن تجد رغبات الإنسان متنفسا لها، وأن يتخلص الأفراد من الملل بفرض نوع العمل ولكن لا يستنفذ كل طاقات الفرد" فمع التقدم العلمي الذي نطلق عليه اسم الحضارة، نجد بيئتنا الاجتماعية والمادية قد تغيرت بسرعة تفوق تغير غرائزنا إلى الحد الذي ازدادت معه الهوة بين الأفعال التي تدفعنا إليها الغريزة، والأفعال التي تثنينا عنها الحصافة والاتزان، ولا شك أن الوسائل الصناعية قد زادت الهوة التي تفصل العمل عن الغريزة، وقضت على الفرحة المتمثلة في الصناعة الحرفية الماهرة التي كانت تعطي الصانع اليدوي شيئا من الرضا الذي يشعر به الفنان"[1]،خذ علي سبيل المثال الإنسان الأرستقراطي في القرن الثامن عشرة، الذي كان نموذجا حقيقيا للإنسان المتحضر، لقد كان يملك وقتا كبيرا من الفراغ، ولكنه كان يعرف تماما ما يفعل بوقت فراغه، حتى أن الكثير منهم حقق أفضل الأشياء مما لا نكاد نجد له مثيلا الآن، فما أكثر الذين أتوا أفعالا عظيمة كتشجيع الفن، وإقامة الحدائق، وتشيد المنازل الباهرة، يمكن أن تتحقق هذه الاستخدامات الجيدة وقت الفراغ[2]، وأما عن الشعور الودي يمكن خلقه عن طريق تنظيم عمل الغدد والكبد، مما يساعد على حسن الظن بالآخرين، أم عن السبيل الثاني سياسي واقتصادي عن طريق خلق مجتمع تنسجم فيه المصالح المختلفة للأفراد، أما عن الاستمتاع بالجمال يرى عيوب التصنيع تكمن بأنه يحطم الجمال ويخلق القبح ويميل إلى تدمير القدرات الفنية ليست هذه الصفات بالضرورة من مستلزمات التصنيع، فهي تنشأ من مصدرين أولهما أن التصنيع جديد وثوري، وثانيهما أنه قائم علي التنافس والتجارة، ويرى أن الفن يتطلب عنصرين هما التقاليد الفنية وإبداع الفنان الفرد، أما عن حب المعرفة فيرى أن حب العلم من أجل العلم .

فإذا كان للعلم أوجه سلبية وايجابية، فما موقف "راسل" من الحضارة الصناعية ومما خلفه العلم من سلبيات؟ ما موقفه من الحرب النووية ومن القنبلة الهيدروجينية ؟

[1] - رمسيس عوض، نفس المرجع ، ص 163 .
[2] - برتراند راسل ، محاورات شيخ الفلاسفة ، ص 201.

يرى "راسل" أن الإنسانية تواجه خطر لم يسبق أن عرفته على مدى التاريخ الإنساني، والمتمثل في الحرب النووية مما ينبئ بفناء الجنس البشري، وبتعالي صيحات عظماء العالم ورجال السياسة والعلم بالخطر الداهم، وهذا ما أعلن عنه في كتيب بعنوان"التعقل والحرب النووية " سنة (1959) ليتأسف على الغرب ومما يمارسه اتجاه الداعيين إلي السلام، واتهامهم لهم باليسارية أو مستوحاة من قبل بعض العقائد والمذاهب العائدة لغالبية الناس العاديين وتنفير الرأي العام من الدعوة السلمية[1]، وأكد أن مصير الإنسانية على شفة الهاوية من وراء الخطر النووي، ولابد من وجود حل يضمن بقاء الإنسانية فمصيرها أهم من صراع الشرق والغرب، وأن مشكلة السلام مشكلة العالم ويجب تضافر الجهود لإحلاله، وحاول أن يقترح مجموعة من الخطوات ليحقق الحل الأسعد، دون أن يشل نشاطنا.

ولقد نادى في مجلس السلام العالمي في خطبة الغيث في"هيلسنكي" عن ضرورة السلام ومدى خطر الأسلحة النووية، وقد قدم "راسل" خطوات للسلام قد اقترحها بعض دعاة السلام بضرورة اتفاق بين مجموعة من الدول الكبرى وتتعهد بعدم استخدام الأسلحة النووية، ولكن يعتقد أنها لا تفضي إلى حلول بسببين أولهما ضرورة إنتاج هذه الأسلحة بدرجة من السرية تتحدى التفتيش، مما يجعل الشك المتبادل بين الجانبين في إنتاجها، أما السبب الثاني يتمثل أنه في حالة السلام الاسمية يكون الجميع ملتزما بالاتفاقية ولكن في نشوب الحرب يمكن لكلا الجانبين إنتاج القنابل الهيدروجينية، وإن القضاء على القنابل الهيدروجينية هو أمر يجب علينا أن نرغب فيه لا يمكن أن يصبح ذا فائدة إلا بعد أن يجتمع الجانبين في وضع حد للعلاقات العدائية بين المعسكرين، فكيف يمكن تحقيق ذلك ؟

يرى "راسل" ضرورة تحقيق هدفين لتصبح التدابير الدولية ممكنة، أولها: على الدول الكبرى أن تدرك أنها لا يمكن تحقيق أهدافها عن طريق الحرب، وثانيها: أن يقل الشك المتبادل بين الجانبين في أن كلاهما يستعد للحرب، أما عن المقترحات لتحقيق هذين الهدفين يتمثل في الخطوة الأولى في شكل بيان يصدره نفر من العلماء يظهرون

[1]- laura slot, consistency and change in bertrand russell 's Attittuds war, ibid. page 72 .

فيه مساوئ الحرب النووية في لغة واضحة للعالم دون أي تحيز، ودعوة العلماء في العالم للمساهمة في البيان،مع حياد دولة مثل الهند نتيجة لعلاقات الصداقة بين المعسكرين ولخبرتها وتوسطها بين كوريا و الهند الصينية، وأراد "راسل" من الهند أن تقدم التقدير لدول العالم وتوعيتهم لعدم استفادتهم من الحرب النووية.

وافترض"راسل" أن الدول الكبرى يتم إغراؤها بهذه السبل وأنه لا يمكن لأي دولة تحقيق أهدافها في الحرب، فما الخطوات التي يمكن اتخاذها؟ وتتجلى الخطوة الأولى في التخفيف من وطأة الصراع سواء كان ساخنا أو باردا، وأن تجرى المفاوضات في جو المحبة ورفض الكراهية والشحناء، وتخفيف وطأة الشتائم الصحفية، وتشجيع التجارة والزيارات المتبادلة وتمهيد الجو المناسب لعقد مؤتمر دولي يعتقد مندوبيه بأن الحرب تعني الدمار الشامل للإنسانية وإن الاقتناع بأن تصفية النزاع عن طريق الاتفاق أعيد للمتنازعين من استمرار النزاع حتى لو يكن هذا الحل مرضيا تماما لأي من الطرفين[1]، وأن المشكلة التي يجب معالجتها هي خفض التسلح القومي ولو أن التسلح بقي على ما هو عليه حاليا ستبقي الحرب ويبقى نبذها شبه مستحيلا، لكن ما هي أخطار التسلح النووي؟ وهل حتما ستؤدي إلى الحرب ؟ يبين "راسل" أن السباق نحو التسلح يؤدي حتما إلى الحرب وهذا ما أكدته الحرب العالمية الأولى، فكل تسلح من جانب من الجوانب يؤدي إلى الكراهية والخوف وتوتر الأعصاب إلى درجة غير محتملة.

ويستند "راسل" في تأكيد خطر الحرب النووية في تقديره لخطرها على موقف وضعته لجنة من خبراء أمريكان تحت رعاية " الجمعية الأمريكية للتخطيط القومي" بأن هناك حرب نووية شاملة تكون سنة (1970)، وإنها سوف تنشب حتما لو بقيت الأوضاع على حالها، وأن هستريا الخوف والفزع تصيب الشعوب ونفقات التسلح تزداد، ويجب أن يستعمل العالم التكنولوجيا وينصت لصوت العقل والحكمة من أجل السلام وليس بغرض الحرب.

[1] - رمسيس عوض ، برتراند راسل الإنسان ، ص 54 .

حاول "راسل" أن يقدم فضائح الغرب والشرق باستخدامها الأقمار الصناعية لأغراض عسكرية وذلك بتزويدها بأجهزة حاسبة الكترونية، وأبدى فزعه واشمئزازه من مشروعات العسكريين التي تدنس طهارة السماء والأجرام العلوية بحقد البشر وكراهيتهم، ويأسف على حالة الإنسان الذي يملك من القوة الكثير دون اتصاف بحكمة، ويأمل أن يتغلب صوت العقل والتسامح في العالم، وأن يحمل حملة شعواء على سياسة الهاوية فماذا سيحدث لو حدثت حرب نووية ؟ يرد "راسل" بسخرية على ذلك بأن تقديرات الخبراء بين من يرى أنها قد لا تؤدي إلى هلاك البشرية، في حين يعتقد البعض أنها ستنسف الجنس البشري على بكرة أبيه، لكن يبين ضمن هذه التقديرات أنه مدى صحتها تتوقف بعد الحرب لا قبلها .

وأبدى"راسل" هزئه من الفكرة الداعية إلى "القنبلة النظيفة " لأجل استخدامها في الحروب القادمة، اعتبارا منهم أن غبارها أقل ضررا، متسائلا عن من يثبت لنا استعمال القنابل النظيفة بدلا من الحقيقية، كما حاول "راسل" أن يبين للعالم أن الجانب السياسي ضئيل في حياة الإنسان مقارنة بالعلاقات الإنسانية الوطيدة الوشائج، وأن يدرك رجال السياسة أن النزاعات الأيديولوجية لا قيمة لها أمام بقاء الجنس البشري وأفراح الإنسان وأحزانه وأماله، وأن من يهتم للنزاعات السياسية هم فئة قليلة مريضة بالمشاحنات السياسية ولا يحبذون الخضوع لنظام اجتماعي لا يرغبون فيه، ويعجب "راسل" للغربيين الذين يفنون أعمارهم وراء حرب نووية دفاعا عن الديمقراطية والشيوعية، ويورد "راسل" تساؤلا لو طرح على جميع المعمورة حول هل يقبلون الخضوع لنظام اجتماعي لا يحبذونه أو فناء البشرية؟ يكون رد الجميع الخضوع بدلا من فناء الجنس البشري .

يؤكد "راسل" أن العالم (1951) بدأ برنامجه نحو التسلح، ولكن لا أحد يعلم ما كان يدور في ذهن السوفيتيين هل سيشنون حربا عدوانية أم لا ؟ ولكن المؤكد أن جميع الحكومات سعت وراء التسلح وهو الوحيد الذي كان يؤجل الحرب،وأنه في (23 جويلية 1951) أعلن أن هناك نصف أمل في تجنب الحرب وأن الروس لن يشعلوا حربا بعد خمسة أعوام "لأن الدول الغربية ستكون آنذاك قد استكملت استعدادها، وإن القنبلة

الهيدروجينية سلاح مختلف وجبار في ميدان الحروب، لكن سرعان ما اعتاد الناس عليها، فعندما ألقيت القنبلة النووية في "هيروشيما "و"ناجازاكي " أصيب العالم بحالة ذعر، وسرعان ما أصبحت تستخدم للتكتيك الحربي، وأضحت مثلها مثل الأقواس و السهام[1]. ما هي الإجراءات العملية الممكنة للحد من خطر القنبلة الهيدروجينية ؟ وكيف يمكن الخروج من المأزق النووي ؟ ما الحل إذن ؟

يرى "راسل" للخروج من المأزق النووي يجب تقارب وجهات النظر بين الدول ونستفيد من الخبرات الحروب الماضية والدامية بين "الكاثوليك" و"البروتستانت" في القرنين السابع عشرة والثامن عشرة، وعلينا الإصغاء لصوت العقل والتسامح، وأن لا ننسى الدرس الخاص ب"لوك" عندما جعل الأفراد يدركون أهمية صوت العقل، وأنه بإمكان مختلف الأديان العيش جنبا إلي جنب[2] في سلام وأمان ووئام، ويرى أن المسلمون والمسيحيون تعلموا أن يعيشوا جنبا إلي جنب، إنه ليس من حق أي أحد أن يقتحم باسم الدين الحقوق المدنية والأمور الدنيوية، وإن هذا ما ينقص الإنسانية من تعقل و تسامح في المجال السياسي.

كما يجب على الدول العظمى أن تعي أهمية السلام وضرورة إقراره، بدلا من النزاعات الأيديولوجية الساعية وراء مطامع النصر في حروب الدعاية ولكن هذا لا يعني تخلي الدول عن مصالحها الحيوية ، فلهذا يجب تجميد الأوضاع الراهنة وثباتها قصد التقليل من التوتر العالمي في ظل حرب باردة تحركها الصحف، ولا يرى"رسل" "أن هذا الثبات في الوضع الدولي معناه الرضا بهذا الوضع، بقدر ما هو فقط وضع تمهيدي لإستكباب الأمن والسلم والتفاهم بين الدول، وتوطئة لحل النزعات الدولية.

يقترح "راسل" على طرفا النزاع إصدار بيان مشترك فيه تعهد بعدم نشوب الحرب مجددا لحل المشاكل الدولية، ونبذ للسياسة العنف والتدخل في الدول، مع صيانة لميزان القوى في العالم دون محاولة لتعديله وتغييره بالعنف والتحريض، وإن أفضل إجراء عملي هو إيقاف التجارب النووية لأنه يساعد على الحد من خطرها، وبالدرجة

[1] - برتراند راسل ، محاورات شيخ الفلاسفة ، سبق ذكره .ص 180 .
[2] - جون لوك ، رسالة في التسامح ، ترجمة منى أو سنة ، تقديم مراد وهبة، مكتبة الإسكندرية ، 1999، ص7.

الأولى سيوقف تساقط الغبار الذري نتيجة لأضراره كما يتصورها الخبراء، وهذا ما يؤكد عدم ظهور قوى جديدة، وبما أن القنبلة الهيدروجينية موجودة في المعسكرين الغربي والشرقي فإن كلاهما يقدر الخطورة التي يمكن أن تنتج عن أي عمل طائش من الطرفين، وكلما تزايدت تزايد خطرها، مما يجعل ضرورة وجود اتفاقية لإيقاف التجارب النووية، شرط أن لا تملكها القوى الجديدة، وطالب "بريطانيا " أن تكون حكيمة وتدخل ضمن هذا الاتفاق وتتخلى عن قنبلتها الهيدروجينية، ولكن كيف يمكن الوصول إلى هذا الاتفاق، يرد"راسل" نستطيع إقناع القوى الكبرى مثل "فرنسا" وغيرها من الدول التي بإمكانها إنتاج هذا السلاح النووي من خلال أن نقنع كل من "روسيا" و"أمريكا" الدخول في هذا التعهد، وأن تستعمل هذان القوتان قدراتهما العسكرية والاقتصادية والدعائية لإقناع الدول الكبرى بإتباع هذه السياسة، وخضوعهما للتفتيش والمراقبة الدولية، مع تخلصهما من الريبة والشك المتبادل.[1]

واقترح "راسل" إقامة هيئة مشتركة تهدف فتح التفاوض بين الشرق والغرب بغرض استطلاع لإيجاد الحلول، لزرع نوعا من الثقة المتبادلة، ينصح بأن يكون عدد أعضائها محدودا هو ستة أعضاء بغرض أن لا تتحول إلى منبر للخطابات والدعاية لاستعراض عضلاتهم الخطابية، شريطة تمتع الأعضاء بثقة الحكومات لكي لا ينتابها الشك في الاقتراحات والتوصيات، عضوين من أمريكا وآخرين من روسيا وأحدهما يمثل الغرب والآخر الصين الشعبية، مع تعين لعضويين من دول الحياد شرط أن يكونا من دولتين إحداهما تميل لروسيا والثانية لأمريكا، وكل هذا من أجل تحقيق العدالة،وأن وظيفة الدولتان الحياديتان تقريب وجهات النظر بين الغرب والشرق،وتتأكد من أن المقترحات لا تضر بمصلحة إحداهما على حساب الأخرى، وأن نمنح الأعضاء بالهيئة كل الصلاحيات للدراسة المستفيضة مع إعفائهم من مسؤوليتهم خارج الهيئة، ويجب على الهيئة الاجتماع بصفة متكررة بشكل رسمي أو غير رسمي وبعيدا عن أضواء الصحافة والدعاية، ولابد من ايذاع المشاورات بعد اتفاق جميع الأعضاء عليها فغير ذلك لا يذاع، فالدور المنوط بهذه الهيئة هو حل نزاعات العالم وتسوية مشاكله بطريقة

[1] - برتراند راسل ، محاورات شيخ الفلاسفة ، سبق ذكره، ص 182 .

موضوعية، والنظر للعالم إليه كوحدة لا تتجزأ وليس أجزاء منفصلة، وإن حدث وخسرت دولة فائدة على الهيئة البحث عن شكل للتعويض، وأن نمنح الشعوب حقه في الحرية مع استثناء وضعه "راسل" وهو عدم السماح لشعب "بناما" بإنشاء حكومة شيوعية لأن ذلك فيه تهديد لمصالح "أمريكا"، وبقي"راسل" يطالب المعسكرين بتنسيق المصالح وبدلا من التضحية بالمصالح حيوية وعليهما البحث عن سبل للاتفاق ليكون خطوة عظيمة لإحلال السلام.

ولقد اقترح على هذه الهيئة أن تهتم لنزع السلاح والتقليل من النشاط الذري وأن يقتصر إنتاج الأسلحة على روسيا وأمريكا حتى الوصول إلى تسوية دولية شاملة وهذا ما من شأنه أن يحد من مغامرات الحرب المفاجئة ويحد من مغامرة بعض الدول المتهورة، ولابد من إجراء بعض التعديلات الإقليمية بتقسيم العالم إلى ثلاث مناطق وهي منطقة أوربا ومنطقة شرق أسيا وكذا منطقة الشرق الأوسط[1]، وأن هذا الاتفاق حول السلاح النووي يشمل أيضا الأسلحة البيولوجية والكيميائية نظرا لأضرارها ولمنع نشوب الحرب ، إذن ما الحل في اعتقاد "راسل" ؟

إن ثمة حل واحد ووحيد في نظر "راسل" لتقليل من الحرب ودمار الجنس البشري وهو حكومة عالمية، التي يكون لها حق احتكار السلاح المدمر والمنبئ بالفناء للبشرية وتكون مهمتها مراعاة كل الصراعات الحادثة بين الدول بتقديم الحلول ولو حتى كان بالقوة، ويجب أن تتوفر الحكومة على القوة لأجل أن لا تفكر دولة قوية متمردة ما بتدميرها والعمل ضدها،ولكن ما سيكون حال الأساطيل والجيوش والأسلحة للدول القومية ؟

سيبقى لهذه الحكومات القومية ما يكفي فقط لحفظ النظام الداخلي، ويقصد بذلك ما يمكن تسميته بالإجراء البوليسي لفرض السيطرة الداخلية، وإن من حق السلطة العالمية التعامل مع القضايا العالمية، ولا يتعدى دور الدولة القومية سوى معالجة مشاكلها الداخلية، فالمشاكل القائمة بين الدول من اختصاص الحكومة العالمية، أما عن إيجازه استخدام السلاح النووي من طرف الحكومة العالمية اتجاه دولة ما ترفض الرضوخ

[1] - رمسيس عوض ، برتراند راسل الإنسان ، ص 62 .

لسيطرتها فإن"راسل" لم يجزم في الأمر نظرا لخطورة السلاح النووي في تدميره هذه الدولة بل أيضا تدمير كافة العالم .

إن كل ما أقترح ينبئ عن حس سليم وشعور مشترك لما تخلفه الحرب النووية من أضرار، وهو تحول من تهديد الذي يمكن أن تشكله أمة واحدة، إلى التهديد الذي يمكن أن تحدثه كتلتين متعارضتين وأن إستراتيجية الردع النووي التي اعتمدها الجانبين إلى سياسة الحرب الباردة تدل على أن العالم على "حافة الهاوية "، ولقد أدان جنون السياسة الحالية، التأكيد على التدمير المتبادل والمؤكد بين الجانبين ولابد من السعي وراء مصلحة مشتركة تتمثل في الحفاظ على بقاء الجنس البشري، ويجب على "روسيا" و"أمريكا " أن تدرك أن البقاء على المحك وفي ضمان عدم استخدام هذه الأسلحة المدمرة للغاية، وأن من أساليب التسوية الاعتراف أن الحرب النووية واسعة النطاق تكون كارثة مطلقة، ليس على الأطراف المتحاربة، ولكن على البشرية، ولا رجل عاقل يرغب في هذه النتيجة، وإن أي حدوث لحرب مهما كانت صغيرة قد تتحول إلى حرب كبيرة ويقين أخطارها مؤكد لا محالة، وأن يتم تدمير جميع الأسلحة النووية وتتفق الدول على عدم التصنيع لأن بإمكان أي دولة في حالة الحرب تصنيع الأسلحة المحظورة والمحرمة دوليا، ومن هذه العناصر يمكن أن نتجنب الحرب ونجد طريقة لتجنبها، سواء كانت كبيرة أو صغيرة، نووية أوعن غير قصد[1].

إذا بقي أمامنا اختيار التقدم المستمر والحكمة، يجب علينا بدلا من اختيار الموت، أن ننسى شجاراتنا، فلا بد أن نناشد في كل البشر إنسانيتهم، حيث أذيع "لراسل" حوارا من أعظم الحوارات التي تمس شغاف القلب عن موضوع القنبلة الهيدروجينية، اختتم حديثه قائلا "إنني نناشدكم بصفتي إنسانا يتوجه إلى غيره من البشر: تذكروا إنسانيتكم، وانسوا ما عدا ذلك، إذا فعلتم ذلك فإن طريقكم إلى جنة جديدة مفتوح، أما إذا استخففتم، فليس أمامكم سوى الموت الشامل"[2] ووجد لنفسه حليفا وهو "أنشطين"، فعملا الرجلين معا وثيقة لصالح نزع السلاح، وأرسله إلى"أنشطين" في

[1]- Gorgory M.reichiberg , the éthics of war ,classic and contemporary readings,henrik 2006, George R.lucas J.R.U.S.NAVAL.ACADEMY, page 602 .

[2] - ألان وود ، برتراند راسل بين الشك والعاطفة ، ص 241 .

جامعة "برنستون" للتوقيع عليه، وفي خضم مراسلاتهم، توفي "أنشطين"، حيث كان "راسل" عائدا من روما بعد أن ألقى خطابا عن الحكومة العالمية، وهكذا خسر"راسل" صديقا مؤيدا للسلام ولنزع السلاح، وظن أنه خسر تأييد البيان الذي كتبه، ولكن عندما عاد وجد خطابا في انتظاره، وكان من أهم خطابات أنشطين في أيامه الأخيرة، وتم توقيع البيان مع مجموعة من المفكرين البارزين أمثال"بريد جمان" من هارفارد" "واينفلد من وارسو" و" مولر من أنديانا" و" باول من بريستول " و" روتيلات من جامعة لندن" و"يوكاوا من كيوتو" و" ماكس بورن" و" ليقوس بولنج" و"جوليوت كوري" كما أيد موقفه "تشارلس تريفليان" الذي قال ذات يوم من كثرة نقد "راسل" لروسيا السوفيتية "أنه يستحق الرصاص" معلنا أن "برتي هو الرجل العظيم الوحيد في العالم في يومنا هذا الذي يتكلم كلاما له معنى "[1]

أنا أحمل هذا التحذير الصادر من الموقعين على إشعار جميع الحكومات القوية في العالم بأمل صادق في أنها قد توافق علي السماح للمواطنين البقاء على قيد الحياة[2] " كما أنه ترأس حملة لنزع السلاح(1958)، الذي تم إنشاؤه من أجل الاحتجاج ضد الأسلحة النووية، وحث"بريطانيا"على نزع السلاح، ووصلت فعاليته إلى تأسيس لجنة المائة التي وقعت على إعلان يفيد استعدادها لارتكاب الجرائم البسيطة من أجل الاحتجاج على امتلاك "بريطانيا " الأسلحة النووية، مما يؤدي إلى العصيان المدني وفي ذلك الوقت قام بتنظيم "الجلوس" السادس أوت(يوم إسقاط القنبلة علي هيروشيما) في "هايد بارك" وساحة شارع بلندن للاحتجاج ومناشدة نزع السلاح، وأعتقل أسبوعا في سجن"بريكستون" وهو في الثمانية وثمانون، كأن التاريخ يعيد نفسه وهو في الثالثة والأربعون، وفي (1963) استقال من لجنة المائة، وأنشأ مؤسسة "راسل"للسلام " الذي كان مشغولا بالسلوك الأمريكي في الفيتنام، أن السياسة التي لحظتها هي سياسة إبادة شعب وجعله محط تجارب، فقد استعملوا ضده أنواع مختلفة من السموم الكيميائية أو الغازات أو القنابل الفوسفورية أو نابالم، بادعاء أمريكي أنها تقصد لتطهير الأشجار

[1] - ألان وود، ص 242 .

[2] laura slot , consistency and change in Bertrand Russell 's Attittuds war, p 70.

والنباتات، ولكن في حقيقة الأمر هي مركبة من عناصر سامة ثقيلة مكثفة تقتل الإنسان والحيوان وتسمم المياه والغذاء والخضروات، وباعتراف الجميع أن الانجازات العلمية يجب أن تكرس لخدمة رفاهية الشعوب ومساعدتها في حياتهم، ولكن حكام (و.م.أ) يستخدمون معرفتهم لتعذيب الشعوب وخاصة في الفيتنام وهذا سلوك أمة تدعي أنها أمة متحضرة في العالم الحر[1].

يؤكد "راسل" "أن قوة العلم لا حدود لها، فقد أعلمنا سابقا أن الغيمان يزيل الجبال لكن أحدا ما لم يصدق ذلك، واليوم يقولون إن القنابل الذرية يمكن لها أن تزيح الجبال ويصدق الجميع ذلك "[2]، إن الرسالة الأخيرة لبرتراند راسل للجنس البشري من خلال ما أتيي من قوة وما امتلك من قدرات بتوجيهها في طريق الخير لا في طريق الشر، ولو أمعن الإنسان النظر لوجد نفسه ضمن أسرة واحدة، وبما أنه ينتمي لهذه الأسرة في بيد الإنسان أن يكون سعيدا أو بائسا، وأن زمن السعادة للقلة على حساب الكثرة قد مضى وولى، ولن نرضي بعودته، فعلى الجنس البشري أن يكون سعيدا، ما دام جيرانه كذلك، ويجزم أن الناس لو علموا وتم ترشيدهم عن طريق الحكمة، لفتحت أمامهم آفاق الطبيعة وكان بإمكانهم منح غيرهم السعادة، كشرط أساسي لكي يعيشوا سعداء"وطالما رأيت بعين خيالي،عالما من سعداء البشر، يملؤهم النشاط ويكتنفهم الذكاء، عالم ليس فيه ظالم واحد، ولا مكان فيه للظلم، عالما من بني البشر على وعي بأن مصالحهم المشتركة أرجح كفة من نزاعات التنافس والتناحر التي من شأنها القضاء على الإمكانيات العظيمة، التي بوسع الذكاء والخيال البشري أن يجعلها أمرا قابلا للتحقيق إن مثل هذا العالم الذي أتحدث عنه يمكن أن يتحقق لو اختاره البشر، وعملوا على تحقيقه، ولو قدر لهذا العالم أن يوجد، أو أن يكون في حيز الوجود، فيا له من عالم عظيم إلى أقصى درجات العظمة، ويا له من عالم سعيد إلى أقصى درجات السعادة ويا له من عالم مليء بالخيال، مليء بمشاعر السعادة، مليء بما لم يمتلئ به عالم أخر من قبل هذا العالم ... وهذا هو عالمي الذي أتمناه "

[1] -بررتاند راسل ،جرائم الحرب في الفيتنام ، ص 199.211 .
[2] - برتراند راسل، أثر العلم في المجتمع ، سبق ذكره ، ص 37 .

المبحث الثالث :فكرة السلام الدائم عند "يورغن هبرماس"

تعتبر الطبيعة الأخلاقية هي أكثر ما يحتاجه الإنسان في العالم الحديث ، وإن اتبعها الإنسان ستزداد سعادته و سلامه، بتنديد "برتراند راسل" الدائم بالخطر النفسي والاجتماعي للقنبلة الذرية، موضحا أن السلام العالمي لن يتحقق إلا بحرية الشعوب مؤكدا ضرورة صيانة هذا السلام، لأنه أكثر الأمور أهمية، مع تخصيص"راسل" السنوات الأخيرة من حياته للدفاع عن القضايا الكبيرة التي تشغل الإنسانية، إذ أن أحاديثه عنها كانت دقيقة وواضحة خالية من التعقيدات ومن التجريد النظري، تسير لكل المهتمين بفكره وغيرهم من القراء المحدود الأفق معرفيا وفلسفيا بفهم القضايا الكبيرة في مجال الفلسفة والعلوم ،والقضايا الفكرية والسياسية الكبيرة التي يواجهها العالم خلال القرن العشرين، فلقد حرص على أن يكون دقيق الملاحظة، وصارم الرأي، لا يراوغ ولا يمعن في التستر وراء التعقيدات الذهنية المجردة، فكان يحدد هدفه، ويتجه إليه مباشرة بلغة بسيطة وأدوات معرفية لا ترهق القارئ، مما يتيح النفاذ إلى أعماق الأفكار والقضايا المستعصية على الفهم.

كما حرص على أن يظل وفيا لأفكاره ومبادئه التي قامت عليها حياته الفكرية والفلسفية، فلا زاغ عنها،ولا تنكر لها، بل دافع بحماس مستميت وجرأة مظهرا روحا فكرية فائقة وعالية، وعلى صراحة نادرة الوجود في القرن العشرين المتقلب الذي يحمل أوجاعا وهموما وتقلبات خطيرة، فما مآخذنا على أفكار "راسل" ؟ وما مدى الاتساق في أفكاره ؟

إذا أردت أن تعرف نظريات "راسل" في الفكر السياسي، تجدها قليلة وبسيطة وفي متناول كل الإفهام، فجوهر المشكلة السياسية، كيف نجمع بين تلك الدرجة من الهمة الفردية اللازمة لتحقيق التقدم، وبين تلك الدرجة من التماسك الاجتماعي اللازمة لتحقيق البقاء، وإن من يراجع آراء "راسل" في الفكر السياسي تجدها نابعة من موقفه الفلسفي العام، وهو الإيمان العميق بالعقل والشك العميق في العاطفة، فأكثر النكبات التي تنزل بالإنسانية جماعات وأفرادا ناجمة عن استسلام أبنائها للعاطفة والانفعالات بدلا من التبصر الهادئ الرشيد في قيم الأشياء، ينفر "راسل" من الحلول السهلة، ومن الخرافات الفلسفية هو الذي جعله ينفر من الفلسفات السياسية المتكاملة والنظم

الاجتماعية المحددة المعالم، وهذه النظم تسرف في تبسيط المشاكل الإنسانية وحلولها مما دعاه إلى تحكيم العقل في كل ما يصادفهم من أفكار وأعمال، بتنديده بالشيوعية والحضارة الغربية .

ولكن هذا لا يمنعنا من تقديم بعض التقييمات لموقفه في مسألة السلام، ومن إنشاء الحكومة العالمية، إن "راسل" كثيرا ما وجد نفسه في موقف المعزول سواء في أثناء الحرب العالمية الأولى، وبسبب خوفه من روسيا عام (1945) والشك بين أصدقائه اليساريين الانجليز، بالإضافة إلى تنديدات وانتقادات الصحافة السوفيتية، ومن مواقفه العدائية اتجاه أمريكا والتي يساء فهمها من طرف بعض النقاد، وفي هذا الصدد يتحدث "ألان ريان " بأن كثير من النقاد يساء تفسيرها لدوافعه حتى كان الوضع يشبه إلى حد كبير وضعيته في الحرب العالمية الأولى، " لقد عقدت الكثير من نفس وجهات النظر المضادة للوطني الذي كان الجميع غاضب من موقفه من تلك الحرب (1914)"[1]، وحث "راسل" الأفراد على التمسك بالسلام، والتحرر من الخوف، فبما نفسر التغير في مواقفه ؟ كيف يمكن وصف موقفه من الحربين العالميتين ؟

لقد كان موقفه السياسي في المقام الأول خلال أواخر (1940)هو الذي تسبب له في الانتقادات، ولكن على العكس الحربين العالميتين الأولى والثانية،أصبح "راسل" أكثر استعدادا لموائمة نفسه مع المنظمات والمبادرات السياسية، وبأن تحفظات "راسل" في المشاركة في الحركات قد تبددت، وكان من السهل على الفردية الأرستقراطية أن تتجه للعمل بعزم في المراحل الأخيرة من حياته، وكان يريد لأفعاله تأثيرا كبيرا قدر الإمكان، وتفاؤله المستمر حول احتمال وجود عالم أفضل وهذا ما بينته تعليقاته السياسية التي أدلى بها في الماضي وتعهداته السياسية مدى الحياة عن طريق عالم من الناس الأحرار وسعداء .

كانت نظرته للعلاقات الدولية قاتمة، واحتمال آماله عن العالم السلمي والحضاري الحقيقي بعيدة جدا، ولكن لابد من التأكيد على خيبة الآمال عندما اختار العالم خطأ السياسة بعد الحرب، بارتفاع أمريكا كأقوى دولة بعد الحرب العالمية الثانية، وتشكيك

[1] - Alan Ryan, Russell a political life , oxford university ,. 1993, P 179.

في السيطرة الحكومية، ويصف "ألان ريان" أن موقف "راسل" بين (1945و1970) قد تغيرت كثيرا، لاسيما نحو أمريكا وهذا ما تجلى في مناهضته لحرب الفيتنام فموقفه نحو الامبريالية الأمريكية خلال السنوات الأخيرة من حياته يحمل الطابع الماركسي ويوضح "ادوارد شيرمان" أن موقف "راسل" في (1950و1960) مهما اختلفت من الليبرالية التقليدية وأصبحت منقطعة مع موقفه السابق، وقد رفض "راسل" باستمرار الماركسية طيلة عقود، إلا أنه أصبح من الليبراليين الذين ينددون بالطبيعة العدوانية الرأسمالية الأمريكية وسياسة الحرب الباردة الخارجية، كما عرفت ليبرالية "راسل" بعض التعديلات في القرن العشرين"أصبحت بالية في موقفه أكثر راديكالية وهذا ما أثار موقفه الحاسم من الموقف الخوف والتدمير المتبادل[1] .

ولقد كانت أخطاء المفكرين في الثلاثينات تتعلق بإعجابهم بالشيوعية، فاندفعوا إلى الحديث عنها،وهذا ما كان غير موجود عند "راسل"، توصف وجهة نظره بالواقعية، وأن مسالمته أظهرت بعض الشقوق، وأنه كان معلقا سياسيا أفضل بكثير عندما كان وحده بدلا من حشد الناس، وكان أكثر موضوعية وحدة في التعبير عن وجهات النظر التي لا تحظى بشعبية في حثه على السلمية، فتأرجح بين الشك والواقعية،بين المساندة السلمية والواقعية وهذا ما أعتبر نهجا عقلانيا عند (Alan Wood)"ألان وود "[2]

حيث أن الخطأ الذي وقع في دعوته إلى السلام يتمثل في الأول مغالاته في أهمية قاذفات الجوية كوسيلة لنشر الغازات السامة، والثاني يتمثل في تهوينه من شأن الشرور التي بإمكان النازيون ارتكابها، وكان الخطأ الأول ناتج عن أفكار الخبراء العسكريون الذين درس أعمالهم "راسل"ونقل عنهم، كما حاز هذا الرأي على تأيد مقر الوزارة البريطانية، ويذكر من عاصر(1938-1939) وعاش بانجلترا توزيع الكمامات الغاز على وجه السرعة وتدريب الجنود على الوقاية من الغازات السامة، لظنهم أن الغارات الموجهة اتجاه لندن تؤدي إلى انهيار الحكومة المركزية، أما الخطأ الثاني

[1] - Schoernman Ralph, Bertrand Russell and the peace movement,in Nakhmkian(Geoged) duckworth London 1974 p 227.

[2]-ألان وود، برتراند راسل بين الشك والعاطفة ، سبق ذكره ، ص188.

المتعلق بالشرور التي يقوم بها النازيون قد نتج عن رأي زائف في أساسه بصدد الطبيعة البشرية ويعتقد أنه فشل في (1939) في إدراك غلو السادية التي يصل إليها الشواذ والمنحرفين، كما فشل في(1914) بفهم الطريقة التي يستطيع العاديون الحصول على متعة الحرب وكانت مجازر الحرب أسوء من مجازر"جنكيز خان"، كما أن "راسل" لم يدرك ما تستطيع وسائل الدعاية مثل الإذاعة، إضافة إلى تسخير العلم في خدمة البوليس بتطور أسلاك الهاتف (أثر العلم في المجتمع)، وترجع أخطاء "راسل" إلى ثقته بآراء المتخصصين، وهذا هو الخطر الذي يهدد الأذكياء، وبين أن كل الحقائق التي يستند عليها مستمدة الخبراء "وهو الأسلوب الذي ينبغي علي الخبراء أن يتبعوه".

ففي النقطة الأساسية في العلاقة التي تربط فلسفته بكتاباته التي تعالج المشاكل الإنسانية،لابد من التذكير أن "سانتيانا" حاول إقناع "راسل" قبل (1914) أن القيم الأخلاقية ليس لها وجود موضوعي، وإن كلمتا "خير" و"شر"هما تعبيران لما نحب ونكره، ولكن أكد "راسل" أن ما يستطيع أن يقدمه المنطق هو محدود وأن الجدل العقل هو مسألة افتراضية تسير على النحو التالي"إذا أردت أن أصل إلى نتيجة معينة، فعليك بكذا وكذا .." لم يكن باستطاعة "راسل" أن يدين الحرب بأساس عقلي محض أو على أساس أخلاقي بحت كان عليه أن يعتمد في كل نقاش لموضوع اجتماعي أو سياسي على مزاج من الدعاية العاطفية(فيما يتعلق بالغايات)، وعلى الجدل العلمي والمنطقي (فيما يتعلق بالوسائل)[1].

مما لا شك فيه أن "راسل" يرى في استخدامه كلمتي "الخير" و"الشر" بمعناها الشائع كأوصاف موجزة مناسبة يسهل على القراء فهمها،مما جعل "ألان وود" يؤكد انه كان يشعر أن"راسل" لا يؤمن بفلسفة أخلاقية مطلقة في قراراة نفسه كما يعبر عنها في كتاباته بدليل فعندما احتج على قتل الأفراد في الحرب بالجملة، لم يكن يعني مجرد الكراهية الذاتية لها، بل أيضا برزت هذه الحقيقة بشكل واضح في أسلوب حديثه وكتاباته ومسلكه، واقتضت حملته السياسية والاجتماعية جهدا متأجج العاطفة استغرق

[1]- ألان وود، برتراند راسل بين الشك والعاطفة،ترجمة رمسيس عوض ، دار الأندلس بيروت ،ط1،1984، ص95

كل وجدانه، بمحاولة إقناع الناس، فالحياة الأكاديمية غير كافية لإرضائه، فيجابهه عند التأليف شعور يلتهب بالخيال.

إن موقف "راسل" في الحرب العالمية الأولى يوصف بالسلبي والفردي ، ومؤسف للجميع بعدم تحالفه مع أي حزب سياسي ، ووفقا لرأي "فيليب إيرونسدس" أن موقف "راسل" كان أكثر دقة في الثلاثينات نتيجة لمسافة له بالسياسة ، فحين أنه في (1914) كان على ارتباط وثيق بالنخبة الحاكمة، مما ولد له شعور بالغربة اتجاه المنظمات والجمعيات السياسية التي أنشأت بعد الحرب .

أما في حديثه عن "حرب وقائية" محتملة فإن "موقف "راسل" كان أساسا لتقييم ثلاثة خيارات مختلفة إذا الاتحاد السوفيتي ستواصل سياستها العدوانية، والحرب مع روسيا بعد أن وضعت القنبلة الذرية أو تقديمها، وهذا ما كان لا يمكن تصوره لراسل للسماح له بطريقة النفعية التقليدية وكان يقيم الأسباب والوسائل، طالما أن الاتحاد السوفيتي لم يكن لديه قنبلة ذرية، وظل عداءه مستمرا لروسيا، ويرى " راي بياركنز" أنه على الرغم من أن أفكار "راسل" فيها جدل ،إلا انه يجب التأكيد أنها متوافقة مع موقفه في الحربين ، وأنها كانت نتيجة لأسباب بمقابل وسائل، وأن أفكاره عرفت بعض التعديل في سنة (1948)، بتخليه عن مقترحات حرب وقائية[1] .

إذا كان الحل عند "راسل" الذي يوصي به لإنقاذ البشرية والحضارة من الانقراض الذري، هو من شطط الحكماء، لأنه يوطئ لظهور حكومة إمبراطورة يكون مسرحها العالم، إما بالتراضي أو بانتصار دولة عظمى وتوحيدها العالم قسرا يكون لزاما لصيانة السلام الدائم، ولتعميم الرخاء في جميع أرجاء الأرض، ولإزالة الصراعات الأيديولوجية والعنصرية القائمة اليوم بين البشر .

ولا بأس أن نسلم مع "راسل" أن مستقبل الإنسانية كله يتوقف على ظهور هذه السلطة المركزية التي يراها ضرورية لحماية السلام، ولكن حين نلتفت من حولنا لا نجد أي دليل يبين أن العالم قد أصبح واعيا ونضج في الوقت الحاضر، لظهور

[1] - Laura Slot, Consistency and Change inBertrand russell's Attitude To wards War,sidetone press, 2008,p 54 ,62 .

الحكومة العالمية، بل نرى أن ظهور هذه الحكومة العالمية في المستقبل القريب، وقد يعرض العالم لزعزعة كبيرة أشد خطورة من أوجاعه الحالية.

فقيام دولة قومية ضخمة تملك أرقى الوسائل التكنولوجية بتوحيد العالم مثل ما يقترحه تقوم على التناقض، فالدولة القومية بوصف أنها قومية دولة تبلورت فيها المصالح والعقائد القومية بخيرها وشرها، هذه المصالح والعقائد التي يرى أنها مصدر الخطرالأول على السلام العالمي، وهي دولة يؤمن أفرادها بالتفوق الثقافي والعنصري، على بقية أفراد العالم بحق السيادة، وهذا ما يناقض فكرة الوحدة العالمية فالحكومة العالمية لن يكون لها معنى، إلا إذا كانت تتوفر على مبادئ الحرية والإخاء والمساواة والعدالة، وغير هذا من المبادئ التي تناشدها الإنسانية في العالم .

إن قيام دولة قومية بتوحيد العالم، سوف يؤدي بالضرورة إلى قيام دولة إمبراطورية لا تغرب عنها الشمس، مما ينتج عنه استرقاق الأمة الكبيرة أو اتحاد من الأمم تملك وسائل البطش للشعوب القليلة الأفراد والموارد.

من المستحيل أن تؤمن الدولة القومية على إنشاء الحكومة العالمية، ففكرة القومية تناقض فكرة العالمية، فمن غير الممكن أن ننتظر من حكومة تبلورت فيها الأفكار القومية على أن تحافظ على خدمة الشعوب على قدم المساواة، وإن شاء العالم أن يصل إلى فكرة الوحدة العالمية، لحظة سيادة فلسفة إنسانية قوامها الإخاء والعدل والقانون، ويغلب خير المجموع على الأفراد، ولن يتم ذلك إلا حين تتنازل الدول الكبرى عن قوميتها، وتؤمن بالمقابل بالمجتمع العالمي، قبل حدوث ذلك فإن القومية هي السلاح الوحيد تحمي الدول الفقيرة نفسها به من قومية الأمم الغنية .

إن "راسل" يذكر شواهد تاريخية، ليبين أن حركات التوحيد القومي، لم تتم إلا بالعنف وفرض السلطان على الإمارات والدويلات المحلية، ولكنه تغاضى "راسل" عن ذكر شواهد التاريخ التي تدل على اختفاء القوميات، سواء الكبيرة أو الصغيرة، لم يتم إلا حين استغرقت الفكرة القومية فكرة إنسانية جامعة أعلى منها، تساوي بين الأفراد في الحقوق والواجبات، وهذا ما يؤكده التاريخ من خلال ما حدث في العالم المسيحي في العصور الوسطى التي امتدت حوالي ألف عام، وفي أيام العالم

الإسلامي، ففكرة العالمية لم تنقرض في العالم المسيحي والإسلامي، إلا عندما تحولت إلى أداة سياسية قومية، في يد الباباوات والخلفاء، فتشقق العالمين إلي قومياته السابقة لحماية كل قومية نفسها من عدوان القومية المركزية .

ففكرة العالمية لن تقوم لها قائمة ولن يكون لها معنى، إلا إذا اقترنت بالإيمان الإنساني، قائم على فكرة إنسانية، وشرط أن لا تزيل فكرة العالمية فكرة الفكرة القومية ولكن يمكن تهذيبها، وتستخدمها كوسيلة للدفاع عن النفس، بعد أن كانت وسيلة للعدوان على الغير،ووسيلة للتعاون والتفاهم بدلا من الاسترقاق، بل إننا لا نعرف حركة ناجحة من حركات التوحيد التي يحدثنا عنها "راسل"، وإلا وكانت قائمة على الفكرة الإنسانية قبل أن تقوم على حد السيف، و يؤكد هذا ما قام به "القيصر يوليوس" بتوحيده المشرق والمغرب ردحا من الزمن، ولكن الرومان وزعوا القانون الروماني والعدالة والسلام في بقاع العالم التي حلوا بها، ولم تزول هذه القيم الإنسانية الإيجابية حتى بعد زوال الرومان ،وكذلك نابليون ربط أوربا بنشر قيم وبعض مبادئ الثورة الفرنسية، فحطم الإقطاع وحرر الرقيق، وأرسى قواعد القانون الحديث، فأين هي المبادئ الإنسانية العليا التي تصلح أساسا لقيام مجتمع عالمي تهيمن عليه سلطة عليا تنفيذية واحدة ، وسلطة تشريعية واحدة ، وسلطة قضائية واحدة ؟

مما لا شك فيه أن بذورها موجودة في بعض مواد ميثاق الأمم المتحدة وفي إعلان حقوق الإنسان، ولكننا مازلنا بعدين عن أول الطريق، وما زال بعيدا كل البعد عنها،وخير ألف مرة يتعثر العالم كما تعثرت هيئة الأمم المتحدة ، وعصبة الأمم من قبل من أن تضطلع دولة كبرى" قومية" أو مجموعة من الدول بإقامة هذه الحكومة العالمية عن طريق الإكراه، ولكن لن ينزل الضعفاء عن القومية حتى ينزل عنها الأقوياء .

ومنه فإن فكرة خلق حكومة عالمية مهمتها حفظ السلام بين الدول، وتحل كل النزاعات وتؤمن السلام العالمي للعالم، وبخضوع جميع الإرادات لسيادة مركزية وحيدة، فهي فكرة ساذجة وبعيدة عن الواقع، وطابعها خيالي، وهي أقرب إلى اليوتوبيا فالوعي السياسي للشعوب يفرض عليها عدم الاستكانة لآي قوة خارجية، فمن غير

الممكن اتحاد الدول ضمن سلطة واحدة وبالتالي وجود حكومة عالمية أمر مستحيل في ظل هذه الظروف الدولية المتعاكسة الاتجاهات .

كما أن فكرة الدمار الشامل بسبب الأسلحة النووية، لقيت رواجا كبيرا مع "راسل" و(Einstein)"انشطاين" وغيرهم بعد سنوات من الحرب العالمية الثانية، لاعتقادهم أنها ستؤدي لفناء البشرية، ويجب الردع النووي وتأمين السلام الشامل والمحافظة عليه ولكن استطراد التاريخ يبين أن الاعتقاد أن الإنسان يستطيع العيش مع القنبلة الذرية. ونستطيع القول أن الروح العسكرية وسباق التسلح تبررها إيديولوجيا لم تؤمن بالسلام أبدا حتى الآن، بل ساهمت في خرقه وإثارة الحروب، وعليه فإن فكرة السلام القائم على "الخوف المشترك" لا معنى لها من الوجهة النظرية وكذلك الوجهة العملية، كما أن الانتقال من نمط أسلحة إلى نمط آخر، يظهر بشكل جلي وواضح، والتجربة التاريخية تؤكد أن من الخيال الرغبة في تأمين السلام عبر سياسة منع التسلح، لأنه غفل عن أن يأخذ بعين الاعتبار العلاقة المتبادلة القائمة بين الطابع التكتيكي للحرب والأسباب الاجتماعية الاقتصادية العميقة للحروب ولسباق التسلح، كما أنه يقلل من أهمية الحقيقة القائلة بأن المصالح الطبقية الوثيقة وأهداف الطبقة الحاكمة "البرجوازية الاحتكارية" التي تنال أرباحا طائلة بسبب السياسة الامبريالية، وهي التي تقرر الاتجاهات المتعاكسة في العلاقات الدولية، مما يقودها نحو حرب عالمية جديدة.

وبالإضافة إلى أن التجربة التاريخية تشهد بأن أرباب الأعمال يضعون العراقيل باستمرار أمام المشروعات والمقترحات الهادفة إلى إلغاء بعض الأسلحة ومنعها دوليا ويقاومون كفاح الجماهير الشعبية من أجل نزع السلاح التام والعالمي الشامل .

إن التطور العسكري والصناعي يبحث عن أشكال جديدة وناجعة لتطبيق الامبريالية العسكرية في ظل الظروف السياسية الجديدة ومع زوال المنظومة الشيوعية التي حصدت نتائج بربريتها وتسلطها وإجرامها .

إن فكرة السلطة العالمية تهدف للجم العدوان عند بعض القوى الفاشية والديكتاتورية، وهي قديمة طالب بها "كانط" و"دانتي"، فالسلطة العالمية تمنع تفاقم

الصراعات خاصة في الصراع النووي، ولكن كيف يكون لدينا سلطة عالمية في وقت أصبحت فيه القنبلة الذرية موجودة ليس في روسيا وأمريكا، وإنما في باكستان وجنوب إفريقيا ..... هذا يعني أنه لم يعد بالإمكان تحديد من يملك القنبلة ومن لا يجوز له أن يملكها، فتوحيد العالم هو في الحقيقة مجرد فزع وخوف من حرب نووية، وهو المصدر الرئيس المباشر لجميع الجهود التي تبذل للحيلولة دون نشوب حرب نووية فما مدى خوف الناس من الحرب النووية ؟.

فإذا اعتبرنا أفكار "راسل" عن مجتمع أفضل هي "يوتوبيا" فإن (Louise .M B)"ماريا لويزا برنيري " ترى أن اليوتوبيات التي تنجح في هذا الاختبار هي تلك التي تعارض مفهوم الدولة المركزية باتحاد فيدرالي للجماعات الحرة، حيث يستطيع الفرد أن يعبر عن شخصيته دون أن يخضع لرقابة القانون مصطنع، وحيث لا تكون الحرية كلمة مجردة بل تتجلى بشكل عيني في العمل، وهذه "اليوتوبيات" لا تتعلق بالبناء الميت للتنظيم الاجتماعي، وإنما تتعلق بالمثل التي يمكن أن يقوم عليها المجتمع الأفضل[1] وحين تشير اليوتوبيا إلى الحياة المثالية دون أن تتحول إلى خطة، بغير أن تتحول إلى آلة مجردة من الحياة تطبق إلى مادة حية، عندئذ تستطيع بجدارة أن تصبح هي التحقق الواقعي للتقدم.

إن أغلب أفكار "برتراند راسل" مثالية قصد تحقيق عالما أفضل، وكان واقعيا في اعتقاده، من حيث اعتماد أفكار جديدة، وحتى لو كان هناك بعض التعارض في مواقفه، وما يلمح في فكره أنه نابع من تأثير تربيته عندما كان صغيرا ،وتأثره بأعمال جده السياسية "اللورد راسل"، في البحث عن الإصلاح، والتسامح والأمن والاستقرار.

فإذا كانت الحرب هي الحدث الحاسم في تاريخ القرن العشرين، وقد أثبتت أن التحولات الكبرى في العالم على مدى مليارات السنين كانت بالضرورة عن طريق الحرب، ماذا يجب أن نتذكر من حروب القرن العشرين؟ كيف يمكن للذاكرة الملايين والملايين من الأرواح على جميع الجبهات، ولكن أيضا لا تحصى من ضحايا المجاعة المنظمة، والعمل القسري، والترحيل، ومعسكرات الإبادة، وكيف هذه الذاكرة

[1] -ماريا لويزا برنيري، المدينة الفاضلة عبر التاريخ ،ترجمة عطية أبو السعود، عالم المعرفة،سبتمبر 1997 ،ص 23،24.

يجب أن يكون جزءا منه أفكارنا؟ وبأي شكل؟ ما هي مسؤولية الفكر وعند التعرض لتلك الذاكرة؟ وكان لهذه الأسئلة، فمن المحتمل أن لا شيء قد نجا من الفلسفات الكبرى في النصف الثاني من القرن العشرين،ضمنية وغير المباشرة، إنهم لا يستطيعون ترك الأخلاق سليمة ودون تغيير،أو التفكير في القانون والسياسة والتاريخ ولكن ليس من العلم والتكنولوجيا، فكيف لذاكرة "هبرماس"(Jürgen Habermas) أن تستقرء الحرب والسلام؟

بمناسبة "الاحتفال بالذكرى المئوية الثانية لفكرة "كانط" حاول الفيلسوف "يورغن هابرماس"(مواليد1929)، استكمالا للمشروع للسلام الدائم الفيلسوف "إيمانويل كانط"، أو بالأحرى متسائلا على أهميتها في عالم اليوم، "يورغن هابرماس" يقدم لنا في هذا الكتاب مساهمة جديدة للدراسات "كانط" يعتمد على مشروع السلام الدائم (1795)، لكنه يستشهد في ضوء تغيير الهياكل "من المساحة العامة للمواطنين، الذي يتحول إلى الأماكن العامة التي تهيمن عليها وسائل الإعلام الالكترونية الشامل، وتتحول على المستوى الدلالي، التي تحتلها الصور والحقائق الافتراضية، إن لم يكن تجديد جذري، على الأقل للتكيف مع الظروف الراهنة للقانون والسياسة فما الانتقادات ؟ وما البدائل ؟

حيث أن "هابرماس" يرى أن تطور مفهوم الحرب، بعد أن تغير مفهوم السلام الذي هو نفسه عرضة للتغيير ونحن بحاجة إلى التفكير مثل التغيير، السلام "كانط " العالمي هو الهدف ، لأنه هو المشروع ، يتم وضع مفهوم السلام من حيث الغائية (السياسة القانونية) حتى الآن ، و"هابرماس" يستخدم نقدا أفضل لمفهوم "كانط" للسلام ليس فقط بسبب حقيقة أن وسائل شن الحرب هي خارج حدود التقليدية ولكن أيضا وخصوصا بسبب حقيقة أن الحروب أسبابها اجتماعية ".

يتم انتقاده سواء من حيث نقد جوهري لقانون الرشيد ومن حيث نقد خارجي التجربة ،وعلى حد سواء من حيث المفهوم أن الوقت "هابرماس" إعادة صياغة فكرة "كانط" للسلام بعيدة الأمد التي تعتبر من التفكير الفلسفي في الانجاز التاريخي المتمثل في السلام الدائم، و للدفاع عن "كانط "ضد منتقدي"هابرماس" الحديثة "كارل شميت"

ومن خلال إعطاء المزيد من تمييز القانون الأخلاقي والتكامل مع العناصر التاريخية الذي هو ضروريا[1].

فيرى أن فكرة سلام دائم لكانط بقدر ما هو دائم، وبقدر ما تقدم نفسها على أنها فكرة إلغاء النهائي لجميع الحرب بداية ووفقا لهابرماس ، في حقيقة أن الحروب الحديثة (الأهلية والإبادة الجماعية العالمية ، والإرهاب) يختلف عن حروب القرن18 في الظروف التاريخية لحرب محدودة تلك التي كانت من"كانط "، والقانون الدولي ينظم مجرد طريقة صنع الحرب أو السلام، من حيث نقد جوهري"هابرماس"يكشف التوتر بين "كانط" من ناحية ، وأقيسة قوية بين القانون عالمي والقانون المدني (تقديم بالقوة المشروعة إلى القانون العام)،يتضمن قانون العالمية إلغاء كل الحروب ، ثم ثانيا يرى أن عزوف "كانط " بين جمهورية وإعادة الدوري العام مجرد دولة أو اتحاد الشعوب الحرة للحفاظ على السلام الدائم على حد سواء بنية قانونية ملزمة مماثلة لتلك من القانون المدني، هذه هي المفارقة السلام العالمي من قبل دولة دائمة للدول عالمية. ولكن تتجاوز الدولة الحدود الوطنية أمر مستحيل، هو أن السلام لا يصبح كذلك ؟ لأن السلام الدائم عند "كانط" ليس التزاما قانونيا ولكن هو مجرد التزام معنوي .

إن "هابرماس" يفسر الوضع الحالي كمرحلة انتقالية من القانون الدولي والقانون الكلاسيكي عالمية بالمعنى كانطي (الجمهوريات السلمية ، قوة موحدة للأسواق العالمية والضغط المعيارية التي يبذلها الليبراليين بالأماكن العامة)، ولكن في حين يتم تشكيل عصبة الأمم كانطية من مجموعة أساسية من جمهورية سلمية، والهيئة العالمية تطالب اليوم جميع الدول على احترام حقوق الإنسان ، و أيضا سياسة الأمم المتحدة عرقلت باستمرار بسبب عدم وجود توافق في الآراء، وإعادة صياغة المزدوج للفكرة "كانط" للسلام عالمي من الدول غير ممكن الآن "من ناحية هذه الفكرة يلهم العدوانية تشديد الجهود لإصلاح الأمم المتحدة وبطريقة عامة لبناء قدرات قانون على المستوى فوق الوطني في مناطق مختلفة من الكوكب،وهذا لتحسين الإطار المؤسسي لتنفيذ سياسة

[1] -Mail leoquan, la paix texte choisis & présentés, GF,Flammarion, 1998, p 202.

حقوق الإنسان (...)من جهة أخرى وهذا يثير معارضة سياسية قوية من جانب أولئك الذين ينظر في محاولة للدفاع عن حقوق دوليا.

إن فكرة "كانط" للسلام دائم مثالية يمكننا من خلالها جعل فكرة الدولة على حد سواء عالمية جذابة وعملية، "كانط "يوفر بالتالي نظرية القانون وستضاف لقانون الدولة والأشخاص المناسبين، وهذا هو ابتكاره الذي ستكون له عواقب متعددة، حق المواطنين في العالم ": البعد الثالث، وبالتالي عندما يبدأ نقده (بالمعنى الحقيقي) فكرة أن "ونحن نعلم اليوم (تشكل) المشاكل المفاهيمية" و "هو أيضا لا يكاد مصالحتها مع المعرفة التاريخية التي هي في مصلحتنا ".

النظام الجمهوري للحكم القانون الديمقراطي على أساس القانون الدولي السائد للحرب تلقي الحد الأدنى من الإشراف نيابة عن حقوق الشعب، على العكس من ذلك ، فإن الدولة القانونية داخل الدول يجب أن تؤدي إلى وضع قانوني شامل في توحد الشعب مرة واحدة وتلغي الحرب : "إن فكرة وجود الدستور وفقا مع الحق الطبيعي من الرجال، وهذا يعني أنه عند أولئك الذين يجب أن تمتثل للقوانين في نفس الوقت أيضا لاجتماعهم والمشرعين هو أن تكون الأساس لجميع أشكال الدولة والمجتمع، "، كما في النهاية يستبعد الحرب ويقترح قواعد القانون الدولي التي تنظم السلام ، ويفرض أن تكون القوة الوحيدة القاهرة لتحديد السلمية القانونية عن عملة "مشروع السلام الدائم " للوصول لحالة العالمية وإلغاء الحرب .

إذ أن "كانط" طور هذه الفكرة بطريقة قانون عقلاني وضمن أفق تجربته التاريخية ،والبناء الذي اقترحه "كانط" يطرح مجموعة مشاكل المفاهيمية ، لهذا أشار "هابرماس"إلى ثلاث افتراضات تشكل أفكار "كانط" الغرض والسلام الدائم ووصف للمشاكل التي يطرحها بناء "كانط" وحل للمشكلة التاريخية الفلسفية مما يودي لإعمال فكرة الدولة العالمية ، فكيف يتم عرض فكرة "كانط" بعد مرور قرنين ؟وكيف يجب أتعاد صياغة فكرة النظر في الوضع لعالمي؟ البديل للعودة إلى الحالة الطبيعية ، كما تم إيضاحه من قبل المحامين فضلا عن العلماء والفلاسفة ،وأثارت عالمية ضد القانون

والسياسة عالمية تظهر جل الاعتراضات التي قد يبطل التمايز المناسبة بين القانون والأخلاق في مفهوم حقوق الإنسان.

إن سلبية "كانط " تكمن من خلال"الوضع القانوني المؤسس من طرف الشعوب، مثل إلغاء الحرب "ينبغي ألا يكون هناك أي حرب،ومن"إنهاء الحرب الكارثية" ووفقا لكانط ، فإن مثل هذا السلام هو مرغوب فيه بسبب شرور الأمراء الأوروبية ، وذلك باستخدام جيوشها المرتزقة، ويستشهد بنتائج الحرب، بويلات "العنف"و"الدمار" وبالتالي قبل أي نهب وإفقار البلاد تسبب أعباء هائلة من الحرب، والاسترقاق فقدان السيطرة والحرية ، يتم تعريف الدولة للسلام بحلول نهاية هذه الحرب، أي أنه أقر أن معاهدة سلام يضع حدا لويلات الحرب ، من المفترض في عهد من السلام "ليضع حدا إلى الأبد لجميع الحروب" وإزالة ويلات الحرب على هذا النحو، هنا بمعنى "سلام دائم" السلام محدود مثل الحرب نفسها، ولكن "كانط" تحدث عن حروب بين دول، ولم يتطرق لفكرة الحروب العالمية .

إن السلام الدائم هو سمة مهمة للدولة عالمية ، لكنها مع ذلك من أعراض،المشكلة المفاهيمية التي كان يجب على "كانط"وضع تصور للوضع القانوني من هذا القبيل، لا بد له من توضيح الاختلاف بين القانون عالمي والقانون الدولي التقليدي .

إن مثل أي قانون ينطبق على الحالة الطبيعية إلى القانون الدولي وقانون القيمة القطعية مثل الحق الذي تقره الدولة ، سوف تنتهي من الدولة الطبيعية ،للانتقال لحالة العالمية،للخروج من الحالة الطبيعية لإنشاء دولة عن طريق العقد الاجتماعي، مما يجعل من الممكن للمواطنين في هذا البلد لإجراء حياتهم في ظروف من الحرية التي يضمنها القانون وبالمثل، وفي هذه الحالة كان إنهائه في حالة الطبيعة بين الأفراد الحكم الذاتي ، كما هو الحال لوضع حد لحالة الطبيعة العدوانية بين الدول[1].

إن الدولة بوصفها "عالمية" يجب تمييزها عن الوضع داخل الدولة القانونية والواقع أن الدول لا تتفق، والمواطنين الأفراد، والقوانين الصارمة من أعلى السلطة

[1] - Mail leoquan, la paix texte choisis & présentés, GF. Flammarion, 1998, p 205.

ولكن الإبقاء على استقلالها في مشروع اتحاد الدول الحرة، والتي في علاقاتها المتبادلة نبذ مرة وإلى الأبد لاستخدام وسائل الحرب،وينبغي ترك سيادة أعضائها سليمة والدول المنتسبة الاحتفاظ بشكل دائم القدرة على تحديد ولايتها ولا يستند في جمهورية العالمية "محل" التهمة السلبية للتحالف لمنع الحرب.

المشكلة المفاهيمية من "ايمانويل كانط"هو توضيح "الفرق بين قانون عالمي والقانون الدولي التقليدي"، الرغبة في الحفاظ على سيادة الشركاء، والتفكير فقط عقد بين السلطات ، وأنه "لا يمكن التفكير في التزام قانوني" وإدراكا منا لصعوبة تحقيق السلام في هذه القوى دائم، ومن ميزات ثلاث ميول طبيعية بتناول الطابع السلمي لجمهوريات ؛ وقوة التجارة الدولية الاشتراكية ؛ووظيفة الحياة العامة السياسية.

فإن فكرة "إن الديمقراطية تحث على السلوك السلمي بين الدولة وجها لوجه العالم الخارجي ليست خاطئة تماما ،الدول الديمقراطية وفي علاقاتها المتبادلة أقل عدوانية" "إن استخدام القوة العسكرية ليست وحدها التي تحدد أطول أسباب تخصص الدولة أساسا، ولكن أيضا من الرغبة في تعزيز التوسع الدولي من أشكال الدولة وشكل غير مستبدة من الحكومة".

تأثير فوري على تهدئة وتنمية التجارة الدولية ، يرى"كانط"أنه لا نتوقع أن التوترات الاجتماعية أول نتيجة للتصنيع الرأسمالي المتسارع شأنه التأثير على السياسة الداخلية التي تسبب الحروب المدنية، وستوجه السياسة الخارجية نحو الإمبريالية العدوانية، "استغرق الأمر حربين عالميتين قبل تطور دولة الرفاهية الاجتماعية" تنجح في تهدئة العداء الطبقي وتغيير الوضع الداخلي في المجتمعات المتقدمة ، والكثير (...)أن تشابك الاقتصادي المتبادل بين الاقتصاديات الوطنية لتحقيق نوع من "اقتصاديات السياسة الدولية" الذي كان "كانط" يتوقع له أثر تهدئة.

وجود مساحة عامة دولية ، التي تتولى مهمة مراقبة "، كان من الواضح أن "كانط" لا يزال على شفافية عامة محدودة في حجة أدبية ومعقولة، إنه لا يتوقع تغيير في هيكل من المساحة العامة للمواطنين، الذي يتحول إلى الأماكن العامة التي تهيمن عليها وسائل الإعلام الالكترونية الشاملة، وتتحول على المستوى الدلالي، التي تحتلها

الصور والواقع الظاهري، وبعد الحرب في فيتنام وحروب الخليج والمؤتمرات على الفقر والديموغرافيا ، والمناخ وخاصة - يمكن أن تضيف مظاهرات كبيرة ضد سباق التسلح - مماثلة لمحاولات إقامة الأماكن العامة والرأي العام الدولي، الذي هو بداية لإضفاء الطابع المؤسسي (في إطار الأمم المتحدة ، أو من خلال إنشاء المحاكم الجنائية الدولية).

ورغم انتشار الديمقراطية إلا أن السلام لم يتحقق، فالحروب ما تزال قائمة وغالباً ما تكون لأغراض تتناقض وتتنافى مع الديمقراطية ذاتها، وعليه فإن أفكار "كانط" مازالت عاجزة عن إنهاء الحروب وربما لأنه أغفل العوامل الاقتصادية والاجتماعية والإيديولوجية، ولكن "هابرماس" طمح في حكومة دولية تنفيذية تشريعية وقضائية تنطبق قوانينها على جميع الشعوب في العالم أي "حكومة كوسموبوليتية".

فإن الدولة - الأمة سيكون شيئا من الماضي عند "هبرماس"، خلق من القرن الثامن عشر، والحركات القومية اليوم في مواجهة التحدي المتمثل في إعادة تعريف مشاريعهم السياسية في اتجاه استراتيجيات الاندماج في اتحادات أو فوق وطنية بدلا من وحدات المعنى إما الحفاظ على صلاحيات "الدول- الأمة القائمة أو تشكيل دول قومية جديدة ، الصعوبات التي يسهر على صيانة أو إنشاء دول قومية عديدة .

أولا ، أن ظاهرة التعددية الثقافية ومطالب الأقليات القومية تشكل تهديدا خطيرا جدا لسيادة الثقافية والسياسة الداخلية السياسية للدول القومية اليوم، كذلك فإن حقيقة أن الأقليات القومية في بناء عليها - في نفس الدولة ذات السيادة التي يمكن أن تصبح الأغلبية في إقليم حتما سيكرر نفس المشكلة : "(...)حدود جديدة لدولة تولد فقط الأقليات القومية الجديدة : المشكلة لا تختفي إلا لدفع ثمن التطهير الأخلاقي من المستحيل تبرير من حيث الأخلاق السياسية ".

من ناحية أخرى ، يثير "هابرماس" مسألة الحدود ، فإن هذه الدول -- الأمة القائمة ويرجع ذلك أساسا إلى تدويل مشاكل مثل البيئة، والديون (في البلدان الفقيرة والبلدان الغنية) تدفق المعاملات المالية الهروب من المحاكم الوطنية، والجريمة المنظمة وتجارة الأسلحة والمخدرات... أصبحت واضحة بشكل متزايد والتي يسهل اختراقها.

المشكلة الأخيرة التي حددها "هابرماس"، أن عولمة السوق تؤدي إلى تراجع نفوذ الدول ـ الأمم على مبادئ توجيهية واسعة من الاقتصاد الدولي، يوجد حاليا خلل الجهد بين الرأسمالية والديمقراطية و يقول أن بين التكامل الوظيفي من الأسواق التي تجري على مستوى الدولة ـ الأمة في السياق العالمي الجديد، والدولة ـ الأمة وفقا لهابرماس سيكون من حيث السيادة الخارجية، وفكرة وجود سياسة القوة التقليدية وتأكيدا من الدول في الساحة الدولية ووضع استراتيجية لتخويف بعضهم البعض عن طريق القوات المسلحة على نحو متزايد الاستعاضة من فكرة التعاون والمشاركة وممارسة تتجاوز الحدود الوطنية.

وباختصار، فإن إعطاء مكانة مركزية للأمة ـ الدولة عند "كانط"، أما عند "هابرماس" فإن ذلك يتطلب منا إعادة تقييم الحلول الموجودة حاليا للدول الأقليات والنظر في كيفية ويمكن الاستجابة لمطالبهم من قبل وسائل أخرى غير الاستقلال الوطني، وثانيا لاستعراض جديد حول الكونية بتحديد استراتيجيات العمل السياسي الضروري لمواجهة آثار العولمة.

يعتقد بداية لا يمكن سلامة المواد القانونية دون أن يضمن احترام وحماية مدربي السياقات الاجتماعية والثقافية لهويتهم،وهو ما لا تنفك منه الفردية والجماعية "الشعب بصفة عامة، بما في ذلك خاضعين للقانون، تصبح الأفراد إلا من خلال التنشئة الاجتماعية، في إطار هذه الفرضية، وهي نظرية مفهومة جيدا لحقوق يتطلب سياسة معينة من الاعتراف بأن يحمي سلامة الفرد،بما في ذلك ثقافات وطنية محددة[1].

يعتقد"هابرماس" أنه يمكن تشكيل نظام عالمي إلا إذا كانت الحركة الديمقراطية "الأفقية" تنتشر انتشار إقليميا وعالميا، على الصعيد الإقليمي إن أفكاره عن الاتحاد الأوروبي في قوله - إنها ستقدم منظمة الإدارية التي،على الرغم من العمل على المستوى فوق وطنية، وليس على أساس معاهدات القانون الدولي، وسوف لا تملك ما يصل ، وقالت أنها ستمارس ، ومع ذلك ، قال أنه عبر هيئاتها الإدارية (المفوضية

[1]- Raymond kilibansky, Une philosophie dans l'histoire, , édité par Bjarne Melkevik et Jean- Marc Narbonne, les presses de l'université Laval , 2000,page 396.

الأوروبية والمحكمة الأوروبية، وغيرها) ما يعادل الحقوق السيادية لتلك الدولة- الأمة[1]، ولكن من دون أي شرعية ديمقراطية حقيقية من المواطنين الأوروبيين معا، وأنها سوف تشكل مكتب التنظيم وفصل صف من عملية الديمقراطية، لمعالجة هذا الوضع فيلسوف فرانكفورت نظر في الحاجة إلى الحركة الديمقراطية على المستوى الأوروبي من شأنها أن تؤدي إلى تشكيل دولة فدرالية أوروبية مع دستور ديمقراطي الخاص.

عالميا، يرى "هابرماس" إمكانية المشاركة الديمقراطية للمواطنين أو منظمات غير حكومية، إلى المجال العام العالمي لا يزال في التدريب (مؤتمرات القمة العالمية تحت رعاية الأمم المتحدة، وعلى البيئة، والديموغرافيا والفقر، وما إلى ذلك) التي تجعل من إنشاء ديمقراطية عالمية وتنفيذ عالم سياسي داخلي.

وإن للديمقراطية حركة "أفقية" كما أن مواطنين ليس لديهم فرصة للنجاح ومع ذلك، إذا كانت مدعومة من قبل عالمية الهياكل السياسية والقانونية "العمودي" وهذا هو من قبل المؤسسات الدولية مع الدولة فوق الشرعية السياسية والوسائل اللازمة "لإجبار" الدول القومية إلى احترام حقوق الإنسان لتلبية الحد الأدنى من التزامات أخلاقية معينة، ومن هنا يقدم "هابرماس" عالمية تختلف ربما أكثر عن "كانط"، إذا يمكن لهذا الأخير في الأخلاق والسياسة لا تتطابق مع أنه "في نظرية" بسبب النفور من الدول- الأمم لتسليط سيادتها، وذلك بدلا من صوت "المثالي" للاتحاد ميكرونيزيا الشعوب الواقعة تحت رعاية نظام قانوني عالمي، فإنه لم يكن سوى "عمليا" رابطة تطوعية للدول ذات السيادة، فإنه يختلف عن "هابرماس" : الأخلاقية وسياسة يمكن وينبغي أن يتزامن "في ممارسة "اعتقد خلاف ذلك سيكون من اليسار إلى الوضع الراهن، وهي تعادل تقريبا إلى" المؤتمر من الدول "لكانط" والتي للأسف حالت دون الإبادة الجماعية والفظائع الجماعية بما في القرن العشرين قد شهد، وقال أن الأفعال، وبعبارة أخرى، ليس للحفاظ على القانون الدولي مجرد منفصل والقانون

[1]- Raymond kilibansky, Une philosophie dans l'histoire, page 399.

عالمية كما فعل"كانط"، ولكن لضمان الانتقال من واحد إلى آخر من خلال توفير الثاني من الوسائل السياسية والقانونية التي لديها حاليا سوى الأول.

قدم "هابرماس"اقتراحات بشأن هذه النقطة لا تزال حتى الآن لم توضح للغاية والتي تعتمد بالدرجة الأولى على أعمال عالم الاجتماع الأميركي (ديفيد) والسياسية المعقودة، وتقوم علي ليالي لإصلاح كبير من مؤسسات الأمم المتحدة[1].

مكون في الجمعية العامة للأمم المتحدة أن الغرفة الثانية من خلال ربط إلى المناطق والمحليات ولن تكون مؤلفة حصرا من المندوبين الحكوميين، لكن من خلال التصويت المباشر في استفتاء لانتخاب ممثلي عبر الوطنية، والتي تمثل ليس فقط من مواطني الدولة، ولكن أيضا للأقليات، والفئات المجتمعية والمدنية باختصار، فإنهم "مواطني العالم".

وإصلاح مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة أن تسمح، ليس فقط للدول - دول كدول مؤثرة - الولايات المتحدة، ولكن أيضا بعض الخطط أو البرلمانات الإقليمية وضعت بالفعل على أنها الاتحاد الأوروبي، أو في عملية الدستور (أمريكا اللاتينية وأفريقيا)، ليكون لها صوت كبير وفعال لسلطة اتخاذ القرار، وتضمين القانون ديمقراطي عالمي يتكون من الميثاق الجديد للحقوق والالتزامات المنصوص عليها في الأسابيع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، تمديد صلاحيات واختصاص المحكمة الدولية في "لاهاي" في الشعور مؤسسات دائمة ويضم قوة تنفيذية لضمان احترام حقوق الإنسان، وبالتالي وسيلة للتدخل إذا لزم الأمر انتهاك لهذه الحقوق، وهو ما يعني إنشاء قوة عسكرية دولية مع المساءلة القانونية، وأود أن تنتهي دراسة القوى والضعف من البديل المقترح من قبل "هبرماس" إلى نموذج عالمي "كانط".

إن "هابرماس" يبدوا أفضل بكثير من "كانط"،في تحديد ما هي الشروط الاجتماعية للجمعية العالمية فإنه يستبدل افتراض مصادفة سعيدة محظوظ بين أغراض العقل العملي والغرض من الطبيعة، ومن فرضية السوسيولوجي العالمي الذي سيتم وضع النظام في مكان دون وجود حركات اجتماعية تستند في المجتمع

[1] - Raymond kilibansky , Une philosophie dans l’histoire ,page 400.

المدني، وأنه لم يعد هنا لتعرف ما هي الظروف التي تتحقق الإنسانية للدولة عالمية في أي حال، على الرغم من إرادة الشعب - ترك الرجال على طاعة ميولهم الأنانية لأنها يمكن أن تشكل "الشعوب من الشياطين" في دوافعهم القاتلة - ولكن كيف وليس شيء من هذا القبيل يصبح ممكنا إلا من خلال إرادة المواطنين والمنظمات الملتزمة التي تؤثر في صنع القرار السياسي في ا الساحة الوطنية أو الإقليمية أو الدولية[1].

بالإضافة إلى تحديد هذه الشروط السوسيولوجية "الأفقية" نظام عالمي، والتي هي غائبة تماما عن نموذج "كانط"، وهناك أيضا وخصوصا ترسيم المؤسسية والسياسية والقانونية -"العمودي"- اللازمة لتنفيذه مرة أخرى، هذا الإطار لا تظهر في أي مكان في "القارات" النموذج و "تحالفات" متوقعة مثل وجود دستور مكتوب : النموذج الكونفدرالي، والدولة والقيد الوحيد المتوخاة التزامهم الأخلاقي للوفاء وليس لها أي التزام قانوني، أو أمر من قبل "هابرماس" ميزة عالمية لتحديد الظروف المؤسسية للسيطرة من الناحية القانونية، وليس فقط على مستوى العلاقات الخارجية بين الدول،وإجبار الحكومات على الامتثال لبنود هذه "الضيافة العالمية"، عن نيته هنا ليس لإقامة دولة استبدادية العالم، وقال أنه يدين بنفس الطريقة "كانط" الانتماء للمجتمع ديمقراطي عالمي لا يمكن قهرها،ويجب أن تمنح طوعا، وإلا فإنها تفقد سبب وجودها[2].

ولذلك ترى أن مشاكل الأقليات القومية لدينا كل ما يدعو إلى أن تحل في إطار اتحادي، وإدماجها في النظم الاتحادية هو لجميع الأغراض العملية هي الطريقة الوحيدة المعقولة لأشكال حل الهيمنة والتمييز بما في ذلك أكثر أو أقل،وإذا كان لبعض الأقليات وربما هذا هو الخيار الأفضل، لا يمكننا استبعاد أن الشرط لدولة جديدة - دولة يمكن في بعض الحالات- على سبيل المثال إذا كان لديه أفق قابلة للحياة.

كما أن "هابرماس" بين وبخاصة على التطور الاجتماعي والتنمية في الهويات الجماعية، وخصائص الدولة-الأمة الحديثة، والتي تجعل من الممكن تشكيل

[1] - Raymond kilibansky , Une philosophie dans l'histoire, page 302
[2] - Raymond kilibansky , Une philosophie dans l'histoire , ibid. page 303.

هوية مزدوجة: الهوية التقليدية، أو "الهوية مقابل دور" بناء على مبادئ كونية للعدالة كما يؤكد على حقوق الإنسان والمبادئ الأساسية للحكم الديمقراطي وسيادة القانون،والدولة -- الأمة تقدم نفسها باعتبارها نقطة تقاطع باعتبار ذلك شكلا من الانتقال السياسي بين"الأمة"و"الكونية"، مما يسمح على حد سواء بأنه "مجتمع ديمقراطي"للتغلب على الخصوصيات الوطنية لكل حالة ،وإعطاء المواطن حق تقرير المصير قد تم إنشاؤه في القطاع الخاص ويقابله عالمية مجردة مواطنة عالمية بحتة، وهذه المرة من خلال توفير إطار سياسة حازمة لحماية الهويات الثقافية والوطنية، في كلمة واحدة : الدولة - الأمة على حد سواء بدلا من النموذج الأول للتشريع ديمقراطي النفس حجم ومكان لحماية التقاليد الوطنية.

وفقا لمفهوم العالمية، تتجسد فكرة وجود قانون عالمي في الحركات الاجتماعية والسياسية التي تنقل هذا المفهوم دوليا، يجب علينا أن نؤكد على الطبيعة القانونية للقانون عالمي، ويتجسد هذا الحق في مفهوم المجتمع الدولي، على حد سواء تقوم على فكرة العقل ومفهوم حقوق الإنسان، من حقيقة أن معالجة حقوق الإنسان وجميع الأشخاص بصفتهم بشرا، وهو ما يتجاوز القيود الوطنية لحقوق الإنسان إبراز مسألة صلاحيتها عالمية من حيث وجود قانون عالمي، بهذه الطريقة، وتعيين حقوق الإنسان في إطار مجتمع عالمي صالحة من الناحية القانونية.

وفقا لهابرماس إن مكان لإعمال هذا الحق هو مجتمع عالمي، تم بناء هذا المجتمع من خلال التواصل، وسوف نؤيد فكرة وجود سياسة الحق، هذا المجتمع واقعا الآن في ثلاثة حوارات: وعيه من الزمن، ومشروع حقوق الإنسان ومفهوم السلام الوعي الوقت يجبرنا على فهم التنوع، وعلى القانون على أساس عالمي للمقاضاة من المشاكل أكثر أو أقل شيوعا للإنسانية، ووضع نظرة عالمية للمشاكل التي تواجه البشرية جمعاء، حقوق الإنسان مشروع، فإنه يتمثل في العمل من أجل التوصل إلى "اتفاق المعياري في مجال حقوق الإنسان"، يمكن حل هذه المسألة في حوار معقول أن ينطوي على عملية التعلم المتبادل وأخيرا، والسلام ليس مجرد غياب

الحرب،والمسالمة القانونية، كما هو الحال في"كانط"، فإنه لا يعني السياسة الديمقراطية العالمية لحل النزاعات[1].

وهكذا يتحقق مجتمع من المواطنين في العالم في مشروع التدريب من الرغبة المشتركة من قبل جميع من خلال التواصلية عالمية لخلق مساحة عامة عالمية ووفقا لهابرماس في نهاية القانون وعالمية تتجاوز الدولة القومية لتشكيل قاعدة عالمية للقانون، الكونية والحق يمثل دستور عالمية في كافة أنحاء العالم هو يكون حجر الزاوية للشرعية عالمية وقانون عالمي، ويجب تعزيز المؤسسات الدولية وإصلاح في هذا الاتجاه، نحن بحاجة لخلق التواصل بين استطالة الموضوعات المستدامة، يجب أن نسعى لخلق حياة من الفضاء العام في جميع أنحاء العالم، أخيرا، يرى"هابرماس" تنفيذ القانون عالمية من داخل البلد الواحد ولكنه يضع الحدود وسيادة الدولة بين قوسين المجتمع الدولي له حق التدخل الإنساني.

يصر "هبرماس" - كما سبق مع "كانط"- ضرورة التمييز بين الأخلاق والقانون وهذا هو الخط نفسه من القوة للمحاولات عام (2004) الذي تناول فيه المطالبات الأخلاقية للأحادية الأمريكية، وتخصيص وجود قانون عالمي أي "الحرب ضد محور الشر "، يجب عدم الخلط بين المبادئ الأخلاقية والشرعية، ويشير إلى أنه حتى في حالة حقوق الإنسان ليس لها القانون الأخلاقي ولكن لأنه باعتباره من الحقوق الدستورية للإنسان، فحقوق الإنسان لها طابع قانوني، على الرغم من صحتها تتجاوز النظم القانونية للدول القومية، ومنحها مظهرا من الحقوق المعنوية[2] .

يقر "هبرماس" أنه يتجاهل على عجل ومن دون شك نموذج الدولة القومية الجمهوري، وقال أنه يعترف بأن له المدينة الفاضلة ،ومن دون أوهام كثيرة حول ضغط الشرعية التي تحمل وتدعو إلى الرأي عام دولي،ومن الواضح أن هذا الاقتراح لمجرد التركيز على التضامن ورائعة العالمية، ويميل إلى الاعتماد على تضامن

[1] - Henri Pallard ,Stamatios Tzitzis, La mondialisation et la question des droits fondamentaux , les presses de université Laval , 2003 page86.

[2] - Gérard Raulet , La philosophie allemande depuis 1945 ,Armand colin,1986, page 191.

الشعوب الأسطورية في العالم، وإن نموذج حق الشعوب الذي تشير إليه المادة الثانية من مشروع السلام الدائم لكانط، يجب أن لا تقوم فقط على الثقة ولكن على دسترة ويجب تعزيز مساحة عالمية للحوار والنقاش الجمهوري حفظ السياسة في جميع أنحاء الدول- الأمم، كما يشير إلي المشاركة المؤسسي للمنظمات غير الحكومية في مداولات هذه المفاوضات الدولية، ومن حق الأمم المتحدة أن تطلب من الدول الأعضاء الاستمرار في أي وقت من الاستفتاءات حول القضايا الهامة.[1]

هذا ليس أقل من السعي إلى فكرة المجتمع عالمية ، وهذا هدف السلام الدائم، وإعطاء العالم هياكل قانونية جديدة في الأفراد التي تأخذ مكانها، بدلا من الدول، في كتابه "يورغن هابرماس" يدافع عن فكرة حقوق الإنسان كمقولة قانونية، وليس كسمة الأخلاقية .

[1] - Gérard Raulet ,ibid. page 293.

خـــــاتمة

ما يلاحظ على عصرنا أنه عصر التسويات الوسطى، لجعل العالم أقل شرورا، والحالمون من أصحاب الرؤى أصبحوا موضع السخرية والاحتقار، والناس العمليون هم الذين يحكمون حياتنا، فلم نعد نبحث عن حلول جذرية لشرور المجتمع بل لإصلاحه ،ولم نعد نسعى لإلغاء الحروب، بل لنتجنبها فترة تمتد لسنوات قليلة، وإننا لا نحاول إلغاء الجريمة، وإنما نكتفي بإصلاح القوانين الجنائية، ومحاولة إنشاء مؤسسات خيرية عالمية على نطاق واسع، وعندما يعيش المرء في عصر ينشغل بكل ما هو عملي قابل للتحقق السريع، فربما يكون من المفيد أن يلجأ إلى الأشخاص الذين حلموا بمجتمعات مثالية يسودها الأمن والاستقرار والآمان، ومن أمثالهم "برتراند راسل".

الذي بقي موقفه ثابتا بشكل ملحوظ، بينما رأيه في الشؤون العملية تغيرت في بعض الأحيان، وكان موقفه متماثل، ولكن تشكل له "التحويل" في عام (1901) على أساس مبادئ سياسية ميزت موقفه من الحرب في السبعين سنة القادمة، حيث كانت الليبرالية الأرستقراطية جنبا إلى جنب مع القناعة بأن الإجراءات التي يتعين الاضطلاع بها للمساعدة في التعامل مع الإنسانية لتحمل أعباء الحداثة والحفاظ على الحضارة،ولاحظ أن الإنسان المعاصر فقد القيم الإنسانية وتناسى البديل سلمي منذ القرن التاسع عشر،فمن واجبه كارستقراطي تقديم فوائد للبشرية كما تمتع بها هو.

وأورد بصيرة نافذة لملاحظة موازين القوى والعلاقات الدولية من خلال العديد من التطورات التي تنبأ بها طوال القرن، وكان قادرا على تحليل الأوضاع من خلال الحقائق التي حصل عليها، قدم "راسل" أفكاره عندما فقد الرجال عقلانيتهم وإنسانيتهم مع لمحة عامة عن التكاليف والمنافع من الحرب.

من خلال المحافظة على الهيكل الزمني، تبدوا الكثير من وجهات النظر التي يبدوا موقف "راسل" واضح منطقيا، بمساءلة السبب والنتيجة، ومعربا عن اعتقاده بأنه ينبغي النظر في كل حالة من نظرة جديدة وبإعمال الفكر،وإن كان ينتابه الإحباط من منتقديه الذين يرون أن مواقفه كانت غير متناسقة.

ما ثبت من خلال الفصول هو أن فكر رسل لا يتفق فقط ضمن ثلاث فترات زمنية، ولكن أيضا على مدى قرن كامل،طوال فترة (1914-1970) "راسل" قال مرارا أن الحرب ليست خطأ في حد ذاته بل يمكن تبريرها أحيانا، وفي بعض الحالات يمكن لأسباب وجيهة أن تعطي تفوق وسائل الحرب، ولكن يتجاهله بعض المؤرخين، وقد استندت أفكاره حول الحرب على نظرية "نورمان أنجيل" المنصوص عليها في الوهم العظيم (1910) ،وإن الحرب غير مجدية في العصر الحديث ، بينما في الماضي كانت الحرب وسيلة للهيمنة ولكن الأمم الآن لم تعد قادرة على تحقيق تلك الهيمنة التي تهدف لها الحرب .

وهذا الاعتقاد بأن الحرب لم تعد مجدية شكل أساس السلمية لراسل، بين (1914 - 1940)، وكان اقتناعه السلمي دون انقطاع، وفي أواخر (1930)كان معضلة في المقاومة ومما أدى على نحو متزايد ليال طوال،وإن أهم تطور في أخلاقه هو التغيير من عام (1940)، حيث قال: "أنه تخلى عن مسالمته ولأول مرة تحقق ذلك لأغراض إستراتيجيته النفعية، وكانت هناك أيضا دوافع عاطفية وبديهية، كما تمت مواقفه النفعية نحو الحرب على أساس الآمال والمخاوف.

أما بعد الحرب العالمية الثانية لوحظ تغيير في إستراتيجيته ، وقال أنه يحسب ويستند في وجهة نظره بالكامل على الفوائد وتضحيات أي على النتائج، أصبح يخجل من مسالمته قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية لأنه لم يقدر حق التقدير النازيين ، مع قناعته أن موقفه في الحرب العالمية الأولى كان مبررا تماما.

وفي اعتقاده بأن هالة الألمانية ستحذف وتزول من قبل المقاومة ، معتقدا بأن الحرب الأولى كانت حروب الهيبة، و بدا أن الحرب الثانية ستكون مماثلة لها،لقد تمت صياغة وجهات النظر"راسل" من خلال عملية القضاء على البدائل، بدعوته شن حرب وقائية ضد الاتحاد السوفيتي في السنوات (1945-1949)، متخذا موقفا سلبيا تجاه "ستالين"،ومشابها لموقفه تجاه "هتلر"، وبالرغم من اعتقاده الطبيعي في عدم المقاومة من أجل حماية الحضارة الإنسانية.

وينعكس نضاله بترويض نفسه مع العصر الحديث ومن وجهة نظره حول الطبيعة البشرية،طوال عقود، متسائلا عما إذا كان في مقدور الرجل ربما ليحيا حياة سعيدة وبشكل ملحوظ مع ما خلفته الحرب العالمية الأولى.

ألغت الحرب العالمية الأولى إيمانه في العقل البشري ككل، معربا عن استيائه إتجاه النخب السياسية والحكومات، في عام (1948) اعترف بأن صاحب فكرة الطبيعة البشرية قد أصبح أكثر تشاؤما إلى حد ما، ولكن لم يكن تغييره جذريا، على الرغم من أنه أعرب عن استيائه أحيانا من مواقفه معزولة في المجتمع، ولاسيما خلال الحرب العالمية الأولى؛ وكان يعلم أن طبيعته الفردية، غير مطابقة لوجهات نظره غير التقليدية والتقدمية تضعه في مأزق كونها الخارج مدى الحياة، مما جعله يواجه انتقادات الصحافة الوطنية والدولية، في صعوبة فهم وتقييم موقفه من الحرب، لا سيما في السنوات(1945-1948)،في (1950) في وقت مبكر اكتسب الكثير من الثناء لإنجازاته وهو أمر كان مجسدا، ولكن لم يغير من طبيعة سعيه الفردي للسلام العالمي.

كان موقف "راسل" نحو الحرب دائما موقفا فرديا، وذكر تعاونه مع المنظمات السلمية الأخرى خلال الحرب العالمية الأولى، وأنه ذا طبيعة سلبية وغير مجدية وهذا ما أصبح واضحا ومثير للاهتمام، هو أنه خلال الحرب العالمية الأولى اضطر للتعاون مع الأقلية من دعاة السلام ، ولكن ما إن أصبحت السلمية شعبية في فترة ما بين الحربين العالميتين، ولم تعد السلمية الفردية ممكنة، وأدى هذا المناخ الأيديولوجي منذ (1930) له بالضجر والاستياء من حيث ربط السلمية بالمنظمات العقائدية .

أصبح من الواضح عند إقامته بالولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الثانية حرصه على اتخاذ موقف ما، بتعبيره عن الإحباط الذي انتابه وهو بعيدا عن بريطانيا، وحقيقة أنه لم يكن قادرا على المساهمة في جهود الحلفاء، ومع انتهاء الحرب،حاول التعويض عن الوقت الضائع بالإعراب عن وجهات نظره حول العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية بظهوره في كثير من الأحيان في وسائل الإعلام، ومن أجل أن يعلم الناس أن "راسل" يواصل عمله رغم تلك المنظمات.

ونعتبر دعوته السلمية أكبر من عالم السياسة الحزبية، إذ اختار أن يبقى بمعزل عن السياسة، فلم يتعاون مع أي طرف سياسي معين، وبمتابعة مسار أكثر خطورة من التمرد على القرارات السياسية، بدلا من ذلك، ومع كثير من الفردية بقناعة جدية وعنيدة جدا تكون قادرة على التوافق والتعاون ،اختار سلميته الفردية.

وكان ليبراليا في اعتقاده بالتقدم الطبيعي، وفي قناعته بأن كل فرد هو المسؤول عن جعل العالم مكانا أفضل وبأن الفرد قادر على القيام بذلك أن السيطرة المفرطة للحكومة تكون ضارة لحرية الإنسان وغير ضرورية في المجتمع، وكان اشتراكيا من أن التضامن والديمقراطية هي وسيلة لتنظيم كلا من المجتمع الوطني والدولي، وكان مثاليا في سعيه لتحقيق عالم مثالي، وعلي الرغم من إدانته بالسجن مرتين واتخاذ إجراءات مباشرة اتجاهه، كان واقعيا في اعتقاده أنه من الضروري اعتماد أفكار جديدة، وحتى إذا كانت تتعارض مع وجهات النظر السابقة، ومن المثير للاهتمام، أن التنمية والتربية الشخصية عندما كان صغيرا أثرت إلى حد ما في مواقفه من السلطات، وحسب وجهة نظره فإن الخيارات السياسية غير أخلاقية من قبل الأفراد الحربية وأنها قصيرة النظر، وذلك تمشيا مع الرأي السائد بين الجماهير،لقد استمر باللوم على نحو متزايد على النظام في تدمير الحضارة، واصفا إياها بمؤامرة على الإنسانية، لكن حتى هذه الفترة المتغيرة جذريا من حياته نتيجة لهذه الظروف وبقيت متوافقة مع معتقداته الليبرالية.

اتساق ملحوظ في معظم مواقف "راسل" السياسية وربما لهذا دافع عن حكومة عالمية، لمعرفته بالدوافع الإنسانية قصد التخفيف من كراهية الأجانب وأن القومية الجشعة تتلاشى عندما أن تكون لديهم حكومة مشتركة تخدم الإنسانية ككل، كانت فكرة "راسل" من "اليوتوبيا" منذ الحرب العالمية الأولى حتى مات.

وإن كانت عصبة الأمم وهيئة الأمم المتحدة لم تقترب من هذا المثل الأعلى، لأنه لن وربما تم المزيد من المعطيات في محتوى طبيعة الأمم المتحدة اليوم، ولكن من دون سلطة قوية، وعدم استقرار في العالم لا يزال من اللازم في رأيه، على الرغم من

أن خططه لحكم العالم لا تزال مجردة بدلا من ذلك، كان من المهم بالنسبة له أن نأخذ في الاعتبار صورة مثالية، من أجل جعل سعيه لتحقيق السلام العالمي أكثر واقعية.

ولو بقي "راسل" علي قيد الحياة كيف يمكنه تقييم الظروف الدولية الراهنة؟ وبعد أربعين عاما من وفاته انتهت الحرب الباردة في نهاية المطاف، وإن قال في (1950) أن الاتحاد السوفيتي سوف تصبح تدريجيا أكثر ليبرالية، ولكن انهار الاتحاد السوفيتي مما زاد من تعقد النظام العالمي،وأصبحت العلاقات الدولية تحكمها المصالح الحيوية وفقا لسيطرة امبريالية أمريكية .

وتبقى الإنسانية تبحث عن إعداد مبادئ وآليات الوقاية من كل النزاعات الممكنة وإنهاء مظاهر العنف والحرب، بالبحث عن سلسلة من السبل والعوامل الموضوعية والذاتية التي تتحكم في ظهور النزاعات والحروب، فالكثير من الباحثين يميلون إلى القيام ببحث عن أسباب الحروب، وكيفية إقرار السلام العالمي في المعمورة، وإن أغلب الأفكار نوعية وانتشار في الفكر الاجتماعي والسياسي والمتعلقة بطرق تلافي مظاهر الحرب والنزاعات المسلحة، وتأمين السلام والنظام يمكن أن اتفاقها على إنشاء حكومة فيدرالية عالمية مكلفة بحفظ العلاقات السلمية بين الأمم والدول، بحل كل النزاعات وتأمين السلام الشامل، وأن الأمم يمكنها مؤقتا تأدية هذه المهمة، بإخضاع الجميع لسلطة مركزية وحيدة، ولكنها ساذجة هذه الفكرة وطابعها الخيالي واضح، ففي الظروف الحالية المتسمة بالانقسام في العالم إلى أنظمة متعاكسة، والميل لاستقلال الأمم وازدياد تمايز حياة الدولة والسياسة في كل بلاد العالم ،ففي ظل هذه الشروط ، يكون فرض أي قرارات من الخارج على أي من الشعوب بشكل تعسفي ، ومهما كانت النوايا التي تبرره حسنة، ليس أمرا غير واقعي فحسب، بل خطير جدا ، مما يثير حفيظة الشعوب بردود أفعال نتائجها بعيدة المدى ، وقد يحفز بعض الشعوب لاستخدام سلطتها وجبروتها وديكتاتوريتها وتحقيقها على نحو عالمي (وهذا ما يؤكده الدور الأمريكي في كوريا وفلسطين والبوسنة ...). فمن الواضح أن فكرة خلق ما يشبه الولايات العالمية هو في غاية الصعوبة أو حتى الاستحالة .

كما أن فكرة دور السلاح النووي وسائر أسلحة الدمار الشامل في صنع السلام وفرض الاعتدال والعقلانية لقيت رواجا كبيرا وخاصة في فترة الحرب الباردة (1950-1990)، ومازالت القائمة حتى الآن،مما يجعل التأكيد أن الردع النووي يؤمن الحفاظ على السلام، فلابد من إقناع العالم من استحالة استخدام الوسائط العسكرية لبلوغ الأهداف السياسية، ومن عدم منطقية هذا الاستخدام، وطالما بقي النظام الامبريالية العالمية يبقي خطر الحرب قائما، رغم انهيار الأنظمة الشيوعية، وزوال المعسكر الاشتراكي، فكذلك قضية الحرب والسلام تعتمد على إجراءات عملية تهدف إلي تأمين السلم.

ولو حاولنا تحقيق السلام الذي تتوق إليه البشرية لابد أن يقوم على علاج حاسم لعوامل الحرب والصراع، وأن يقوم على علاج ناجع لعوامل الضعف أو العجز في الجهود المبذولة من أجل السلام، وعلاج الصراعات المذهبية متوقف أساسا على عدم جعل الناحية المذهبية مادة للصراع، وهذا لا يتأتى إلا بإلغاء الصفة الدولية لأي مذهب بعدم خضوع الدول الصغيرة لدول كبيرة خضوعا مذهبيا يؤدي إلى تكتل مذهبي على مستوى عالمي، كما أن ميزانيات التسلح يجب أن توجه لمساعدة الدول النامية في صورة معدات إنتاجية تقوم بإنتاجها مصانع الأسلحة لتخفيف من وطأتها وحدتها.

لإيجاد حلول لمشكلة الحرب والصراع وتحقيق السلام يجب أن تتوفر عوامل مختلفة منها: القضاء على أسباب الصراع و إزالتها أو التخفيف من حدتها على قدر الإمكان، بمحاولة حل جميع المشكلات القائمة و التي تعتبر تهديدا للسلام بطريقة أقرب ما تكون لاتفاق الجميع وذلك في حدود ميثاق المنظمة الدولية، ووضع الخطوط الرئيسية لاتفاق على نزع السلاح يقوم أساسا على فكرة ألا يسمح لأي دولة بأن تحتفظ بقوات مسلحة أكثر من القوات اللازمة للأمن الداخلي و بشرط ألا يتجاوز تسليحها احتياجات الأمن الداخلي وهذا ما يحقق لنا التخفيف من هواجس ومخاوف "راسل" من السلاح النووي.

تتخذ التدابير اللازمة لتوفير عوامل الأمن و القضاء على أي محاولة مفاجئة لاستخدام قنابل نووية مخزونة و غير معلومة، وفي سبيل ذلك تستخدم جميع الوسائل العملية للوقاية من خطر الهجوم المفاجئ الذي يمكن أن يقوم به طرف سيء النية من أطراف اتفاقية نزع السلاح وإيجاد قوة عالمية تحت قيادة دولية دورية، بحيث تتجمع القوة في أرض محايدة بالنسبة للمعسكرين ،وتشرف عليها لجنة عالمية توجهها عند حدوث أي اشتباك بين دولتين لإيقاف الاشتباك و إنهاء حالة الحرب والعودة بالأوضاع لما كانت عليه قبل الاعتداء، وهذا ما يمكن أن تقوم به المنظمات السلمية ومحكمة العدل الدولية، مما يستدعي ضرورة المحافظة على التوازن العسكري طوال مراحل نزع السلاح.

كما يجب أن يحسب حساب لحصر السيطرة الاستعمارية بقواعدها العسكرية من الدول المتخلفة، وذلك بالعمل على تقوية هذه الدول تبعا لوجود أي فراغ يشجع على قيام النفوذ الأجنبي من جديد، مع وضع الشروط التي تكفل تقوية الدول المتخلفة والنامية من جميع النواحي داخل نطاق المنظمة الدولية وبإشرافها، وهذا يتجلى من خلال تحقيق توازن بين الدول دون أن تنظر دولة ضعيفة لأخرى بعين الحقد والحسد.

ضرورة توجيه المجهود العلمي بأكمله إلى أغراض سلمية، ومما يدعو للإعجاب أن ظهرت في الآونة الأخيرة على مسرح السياسة العالمية دول نامية تقوم بالسعي لتخفيف حدة التوتر وتسعى لإزالة أي ميل لتطوير الحرب الباردة إلى حرب ساخنة وهذا ما تجلى في حركات عدم الانحياز، ودعمت ذلك بمؤتمرات لإثبات ايجابيات تلك السياسة في خدمة قضية السلام ، وجعله أقرب للحقيقة الواقعية .

يمكننا أن نخرج من هذه الدراسة بمجموعة استنتاجات من أن السلام الحقيقي ليس مجرد حلم لا سبيل إلى تحقيقه، ولكنه في واقع الأمر، وفي حدود التطور التاريخي، أمر لا مناص منه، إذا أراد البشر أن تستمر حياتهم وحضارتهم على وجه المعمورة .

وقد حاولنا أن تتبع مسار السلام والبحث عن حقيقته، والشوائب التي أحاطت بمسيرته على مر القرون، وخاصة تلك الادعاءات التي تحاول حجب هذه الحقيقة

لإخفائها في وقت أصبحت فيه مسألة بقاء أو فناء الجنس البشري أكثر من حتمية تلزمنا بها ظروف متعددة.

ويمكننا أن نؤكد أن الصراعات المذهبية وفرض العقائد والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالقوة أمران يهددان السلام أخطر تهديد، ولإنقاذ السلام ينبغي أن يترك للشعوب الحق المطلق في اختيار النظم التي تلائمها وتحقق لها ما تسعى إليه من كفاية في الإنتاج وعدالة في التوزيع هدفهما تحقيق الرفاهية.

ولابد أن يتحول الصراع المذهبي بين الدول إلى تعاون بين الشعوب لتحقيق الرفاهية للجميع ،أي أن الصراع الحقيقي يجب أن يقوم بين شعوب العالم كلها وبين معوقات التقدم أن يكون هناك اتفاق واتحاد جماعي تتفق فيه شعوب العالم كلها لآفاق جديدة توفر الرزق والعدالة والرفاهية للجميع .

وإن كان نزع السلاح يعتبر مظهرا عمليا لفكرة السلم الدائم، وذلك بتوفير جو الثقة والطمأنينة، مع استخدام العلم لأغراض سلمية، بدلا من زيادة حمى التسلح، ومع توفير ضمانات كافية لمنع قيام أي عدوان، وذلك تحت إشراف منظمة دولية توفر لها قوة مادية تجعلها أقوى من أي دولة.

لا يمكن أن نفصل مستقبل السلام عن الأوضاع الاقتصادية في العالم كله، وصورة هذه الأوضاع، سواء من ناحية الموارد أو الثروة، أو من ناحية الإنتاج والاستثمار والأسواق وتوزيعها وينبغي أن تصحح وفقا لاحتياجات الشعوب في ظل التعاون الايجابي، الذي يهدف إلي الرفاهية والعدل للجميع، ولا لمصلحة فئة على حساب فئة أخرى في جو الحب المتبادل بين البشر، هذا الحب المتبادل هو السلام الحقيقي .

كما أنه أصبح جليا أن سياسة عدم الانحياز التي تمارسها دول كثيرة ، هو أسلوب عملي لإبعاد خطر الحرب نتيجة لقيام قوة تلتف حول السلام بعيدا عن التكتل من أجل الحرب، وتدعيم هذه السياسة يزيد من أثرها الفعال، وخاصة أن الدول المعتنقة لها تواجه المشاكل العالمية من زاوية السلام والعدل لا من زاوية السيطرة والاستبعاد وإنكار حقوق الإنسان.

ختاما نقول علي الرغم من الكم الهائل حول السلام وطرق إحلاله إلا أنه لا يبقى الباب مفتوحا علي مصراعيه لمواصلة موضوع الحرب والسلام، وعلينا أن ننظر للعالم رؤية جديدة، ومن الخارج وإعادة تحليل كثير مما نعتبره مسلمات،فإذا لم نستطع تجاوز الفكر التقليدي قد نقع فريسة الارتباك ،فعلينا التفكير بالمستقبل كما فعل "راسل"ويقول المفكر الإنجليزي"ليدل هارت" "إن العلم والسياسة والإستراتيجية ليست إلا وسائل لتقريب المرء من غرضه النهائي، وهو امتلاك الحقيقة والتمتع بالسعادة ، وهذا ما سماه الأقدمون الحكمة، وقد كان التميز قائما بين العلم والحكمة فالعلم يقتصر على المعرفة بصورة شفافة، أما الحكمة فهي فن السعادة ، لكنها السعادة التامة، والسمو رغم الآلام، والهدوء ورباطة الجأش في حالات الفشل، وبين العلم والمعرفة يقف الفن، وهو مركب بين العلم والحكمة لأنه الممارس المستندة إلى المعرفة"

ولكن لقد مضى وقت طويل قبل أن تقتنع الشعوب بضرورة تمجيد رجل العلم الذي لم تكن ترى فيه هذه الشعوب في الماضي سوى مظاهر السحر والشعوذة، وكان من الضروري أن تفهم هذه الشعوب أخيرا أن المعرفة تؤدي إلى السعادة أوالشقاء، وقد حان الوقت الذي أصبح فيه رجل العلم يتمتع بالهيبة التي كانت مخصصة في الماضي لرجل الحرب، والذي هو مؤسس السلالات الحاكمة التي كانت تشكل الدول القديمة .

وصحيح أن الدول الكبرى وصلت إلى مرحلة سلام الواقع الناتج عن نجاح إستراتيجية الردع، لكن خطر انزلاق إلى حرب مدمرة يبقى ماثلا للعيان، وإن التاريخ المعاصر يعلمنا بأن كل إدانة للحرب، تبقى عديمة الفاعلية، لأنه حتى بعد وضع الحرب خارج القانون الدولي العام، فإنها لم تكن أبدا في الواقع خارج إطار مصلحة هذه الدول أو تلك ، ولكن اللجوء للسلاح وبظهور السلاح النووي إلى الوجود لا يبدوا عملا خارج إطار العقل والزمن فحسب، بل أنه أيضا خارج إطار المصلحة الحيوية لأحد الطرفين، مما يفرض حل النزاعات بالمفاوضات ،التي هي أفضل من "السلام المسلح".

لقد أصبح من المهم معرفة ما إذا كان بوسع البشرية أن تفكر في الانتحار أو أن تختار السلام، فقضية المستقبل تشغل بالنا وضمائرنا، فهناك خطر الموت الجماعي ولكن بالمقابل هناك الأمل بالحياة.

وتبقى أكبر النجاحات متلازمة مع أكبر الأخطار، والجميع يؤكد أن البشرية سوف تعرف مزيدا من المحن، ولكنها رغم ذلك لن تندثر، وهذه هي حكمة الساعات الأخيرة، وسوف تبقى دوما فكرة الاختيار بين الأفضل والأسوأ ماثلة أمام الإنسانية ولكل شيء حسابه في الحرب وحسابه في السلام .

ومن الحكمة التفكير في آثار الحرب بدلا من البحث عن فهم السلام ، فالانتصار في الحرب ليس حلا للمصاعب والنزاعات التي تدفع الإنسان للمعركة، ومن المرجح أن الحرب تزيد من النزاعات، وإذا كان كذلك ألا يمكننا القول أن السلام يفضي إلى السلام ؟ وهل الحرب أيضا تفضي إلى السلام ؟ وهل السلام ممكننا في ظل هذه الظروف المتأرجحة بين الصراع العسكري والصناعي ؟

أسمـــــاء الأعـــــــلام

A.J.AYER	أيرألفرد جيل(1910-1989)
Abed Rahman Ibn khaldoun	ابن خلدون(1332- 1406)
Ibn mandor	ابن منظور(1323- 1311)
Aristote	أرسطو (384 ق م - 322 ق م)
Erasmus	ارازموس(1517)
Platon	أفلاطون (428 ق .م – ق.م 348)
Albertus Augustin	ألبرتوس أوغسطين(354-430)
Alfred.north witehead	ألفرد نورث وايتهد (1861- 1946)
Abbe De Saint pierre	أبي دي سانت (1713)
Arnst mach	أرنست ماخ (1838-1916)
EDMUND HUSSERL	ادموند هسرل (1899-1938
Edward Taylor	إدوارد تايلور(1642- 1729)
Alberte Einstein	أنشطاين ألبرت (1879-1955)
Emmanuel Kant	ايمانويل كانط (1724-1804
Emeric Cracé	ايمبريك كروسيه(1623)
Al-Farabi	الفارابي (874-950)
BARUCH DE SPINOSA	باروخ سبينوزا(1632-1677)
Piere du Bois	بيير دي بوا (1307)
Fracis.herbert. Bradly	برادلي (1846-1924)
Bertrand russell	برتراند راسل (1873-1970)
Thomas more	توماس مور(1478-1536)
Thomas hobbes	توماس هوبز (1588- 1679)
jean Bodin	جان بودان (1529- 1596)
Jeremy Bentham	جريمي بينتام(1748-1832)
George Edward Moore	جورج ادوارد مور (1873-1958)
jean jacques rousseau	جون جاك روسو(1712-1778)

جون لوك (1632-1704)	john Locke
دافيد هربرت لورانس (1885-1930)	David Herbert Lawrence
دانتي أليجيري (1309)	Dante Alighier i
ريمون ارون (1905- 1983)	Raymond Aron
رودلف كارناب (1891-1970)	R.CARNAB
سيد قطب (1906-(1966)	Said kotobe
كارل ماركس(1818-1883)	Karl Marx
لودينغ فيجشطاين(1889-1951)	Ludwig Wittgenstein
ليبنز(1646-1716)	Gott fried wilhelm leibnis
مارثن لوثر (1483-1546)	Marthin Lother
ماريا لويز برنبري(1918- 1949)	Marie Louise Berneri
مالك بن نبي (1905- 1973)	Malek ben nabbi
هربرت جورج ويلز (1866- 1946)	Herbert George Wilz

1– المصادر:

1- برتراند راسل، **أثر العلم في المجتمع** ترجمة "صباح صديق الدملوجي" مراجعة "حيدر حاج اسماعيل" ،المنظمة العربية للترجمة ،ط1، 2008 .

2- برتراند راسل ،**السلطان (أراء جديدة في الفلسفة والاجتماع)**،ترجمة خيري حماد منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت ،دط،دت .

3- برتراند راسل، **المجتمع البشري في الأخلاق و السياسة** ، ترجمة عبد الكريم أحمد المكتبة الأنجلومصرية ،القاهرة ، د ط ،د ت .

4- برتراند **راسل،النظرة العلمية،** ترجمة عثمان نوية،دار الثقافة والنشر دمشق ، الطبعة الأولى2008 ،ص188.

5- برتراند راسل،**السلطة والفرد،** شاهر الحمود ،دار الطليعة بيروت ، ط1، يناير1961.

6- برتراند راسل،**الفلسفة بنظرة علمية**:تلخيص وتقديم ،زكي محمود نجيب ،مكتبة الأنجلومصرية القاهرة ،1960.

7- برتراند راسل،**تاريخ الفلسفة الغربية**،محمد فتحي الشنيطي ، المصرية العامة للكتاب،دط ،1977.

8- برتراند راسل ، **حكمة الغرب** ، ترجمة فؤاد زكريا ،عالم المعرفة ، ج1،يناير 1978.

9- برتراند راسل، **حكمة الغرب** ، ترجمة فؤاد زكريا ، عالم المعرفة ،ج2، يناير 1978.

10- برتراند راسل، **سيرتي الذاتية**، ترجمة عبدالله عبد الحافظ، دار المعارف بمصر.

11- برتراند راسل ، **سبل الحرية** ،ترجمة عبد الكريم أحمد، وزارة التربية والتعليم مصر،د ط ،د ت.

12- برتراند راسل، **جرائم حرب الفيتنام** ، محمود فلاحة مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي دمشق،1967 .

13- برتراند راسل ،**محاورات برتراند راسل** "شيخ فلاسفة العصر ،ترجمة "جلال العشري "، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979.

2 - المراجع باللغة العربية :

1- أحمد عبد الكريم ،**بحوث في تاريخ النظرية السياسية** ،معهد البحوث والدراسات العربية ،دط 1972أبو نصر الفارابي :**كتاب أراء المدينة الفاضلة** ،ألبير نصري نادر ،دار المشرق ،بيروت، ط2.

2- ابن خلدون ، **مقدمة ابن خلدون**،المطبعة الميرية القاهرة 1284، الباب الثالث.
3- ألان وود ، **برتراند راسل بين الشك والعاطفة** ،ترجمة رمسيس عوض، دار أندلس بيروت، ط1984،1.
4- ألان وود ،**برتراند راسل في تطور فلسفة** ، سمير عبده، منشورات دار علاء الدين دمشق ،الطبعة الأولى 1994.
5- أماني غازي، **التربية السياسية السلام والديمقراطية وحقوق الإنسان**، دار وائل للنشر الأردن ،ط2004،1.
6- إ-م- بوشنسكي ، **الفلسفة المعاصرة في أوربا ،ترجمة عزت القرني**، دط ، سبتمبر1992 .
7- ايمانويل كانط ، **مشروع السلام الدائم** ، ترجمة حسن عارف ، المكتبة الأنجلوالمصرية، الطبعةالأولى،1952.
8- بغوره الزاوي، **مدخل جديد إلي فلسفة العلوم**،دارالهدي عين مليلة الجزائر، دط، دت .
9- بيار كلاستر ومارسيل غوشي ، **أصل العنف والدولة** ،ترجمة علي حرب، دار الحداثة بيروت، الطبعة الأولى1985.
10- تقي الدين النبهاني، **قواعد نظام الحكم في الإسلام** ، منشورات حزب جبهة التحرير ،الطبعة الأولى،1953.
11- رنيه سيرو، **هيغل و الهيغلية**، ترجمة أدونيس العكرة، دار الطليعة بيروت، ط1، 1993.
12- جاسم محمد زكريا، **مفهوم العالمية في التنظيم الدولي المعاصر**، منشورات الحلبي الحقوقية سوريا،ط2006،1.
13- جون لوك، **رسالة في التسامح**، ترجمة منى أبو سنة،تقديم مراد وهبة، مكتبة الإسكندرية،1999.
14- عبد الحميد متولي، **مبادئ نظم الحكم في الإسلام**،الإسكندرية ، دط ، 1970.
15- عبد الحميد لطفي، **علم الاجتماع**، دار النهضة العربية القاهرة ، الطبعة الأولى .
16- عبد السعيد فايز محمد، **الأسس النظرية لعلم الاجتماع السياسي**، دار الطليعة بيروت،ط1983،1.
17- عبد الواحد محمد يوسف الفار، **أسرى الحرب دراسة فقهية وتطبيقية في نطاق القانون الدولي العام والشريعة**، عالم الكتب،دط،1975.
18- عبد العزيز سرحان، **القانون الدولي العام**، دار النهضة العربية القاهرة، دط، 1973.

19- عبد الله ناصف،**السلطةالسياسية ضرورتها وطبيعتها**،دار النهضة العربية،1982،ص20.
20- علي سعيد إسماعيل، **نظرية القوة مبحث في علم الاجتماع السياسي**، جامعة الإسكندرية القاهرة، دط،1976.
21- سيد قطب، **السلام العالمي والإسلام**، دار الشروق بيروت ، دط ، دت
22- سماح رافع محمد ، **المذاهب الفلسفية المعاصرة** ، مكتبة المدبولي مصر ، الطبعة الأولى،1973.
23- صلاح الدين رسلان البسيوني، **الفكر السياسي للماوردي**، مكتبة النهضة القاهرة ، د ط، 1985.
24- فؤاد كامل ، **أعلام الفكر الفلسفي المعاصر**، دار الجيل بيروت.
25- قربان ملحم، **قضايا الفكر السياسي (القوة)**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والطباعة،الطبعة الأولى، 1983.
26- لويس عوض ،**دراسات في النظم والمذاهب**، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت،الطبعة الأولى،1962.
27- ماريا لويزا برنيري، **المدينة الفاضلة عبر التاريخ** ، ترجمة عطية أبو السعود، عالم المعرفة سبتمبر1997.
28- مالك بن نبي ، **مشكلة الثقافة**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر بيروت، ط4 1984 .
29- ماهر عبد القادر محمد علي، **فلسفة التحليل المعاصر**، دار النهضة العربية بيروت، دط، 1985.
30- محفوظ مهدي، **اتجاهات الفكر السياسي**، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، الطبعة الأولى1990.
31- محمد توهيل ،**علم الاجتماع السياسي "قضايا العنف والحرب والسلام** ،دار المستقبل للنشر والتوزيع الأردن،الطبعة الأولى1998.
32- محمد حسن الأبياري،**المنظمات الدولية وفكرة الحكومة العالمية** ، الهيئة المصرية للكتاب،1978.
33- محمد علي محمد، **السياسة بين النظرية والتطبيق**، تقديم علي أبو الريان، دار الجامعات العربية المصرية،دط،1976.
34- محمد رفعت،**التعاون الدولي والسلام العام**،دار الكتب الحديثة مصر.

35- محمد شطوطي ، **اللغة المنطقية عند برتراند راسل** ، دار مدني الجزائر، دط، 2002 .
36- محمد موسي ، **أضواء علي العلاقات الدولية**، دار البياق بيروت ،الجزء الأول، ط3، 1999.
37- محمد مهران، **فلسفة برتراند راسل** ، دار المعارف مصر ، دط ، 1976 .
38- مزيان محمد ،هامل منصور، **التربية وثقافة السلم** " بحوث الملتقي الوطني حول التربية وثقافة السلم "دار الغرب للنشر و التوزيع الجزائر، 2002 .
39- هيغل، **فلسفة القانون والسياسة** ، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الشروق، الطبعة الأولى 1996.
40- يوسف كرم ، **تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط** ،بيروت ،دط ،1965.
41- كامل محمد محمد عويضة، **برتراند راسل، فيلسوف الأخلاق والسياسة**، دار الكتب العلمية بيروت،الطبعة الأولى.
42- مصطفي غالب، **برتراند راسل**، دار مكتبة الهلال، طبعة جديدة، د ط ،1991.
43- ميكيافلي،**الأمير**، تعريب محمد اللطيف جمعه، مؤسسة النوري دمشق، ط2.
44- وول ديورانت ، **قصة الحضارة**، ت زكي نجيب محمود ،مطبعة لجنة التأليف والنشر،ج1، 1949.
45- يحي أبو بكر ،كمال متولي ، **حقيقة السلام** ،المكتبة الأنجلومصرية،مصر ،الطبعة الأولي،دت.

3- المراجع باللغة الفرنسية :

1- Mail Leoquan, **la paix** texte choisis &présentés,GF , Flammarion,1998.
2- Raymond kilibansky , **Une philosophie dans l'histoire**, édité par Bjarne Melkevik et Jean- Marc Narbonne, les presses de l'université Laval , 2000.
3- Henri Pallard ,Stamatios Tzitzis, **La mondialisation et la question des droit fondamentaux** , les presses de université Laval , 2003.
4- Gérard Raulet , **La philosophie allemande depuis 1945** ,Armand colin .

4- المراجع باللغة الانجليزية :

1- Bertrand Russell ,**Your faithfull Bertrand Russell a life long fight for peace** ,justice and truth in letters to the editor , edited by Ray perkinsJ.R, 2000.

2- laura slot ,consistency **and change in bertrand russell 's Attittuds war** ,Sidetone press,1008.

3- Gorgory M.reichiberg ,**the ethics of war** ,classic and contemporary Readings, George R. Lucas J.R.U.s, Naval. Academy,1962

4- Schoernman Ralph ,**Bertrand Russell and the peace move**ment, in Nakhmlian(Georged) Duckworth London, 1974..

5- Alan Ryan , **Russell a political life ,** oxford university ,1993.

5- المعاجم والموسوعات باللغة العربية :

1- أسعد مفرح،**موسوعة عالم السياسة** "تعريف شامل بالسياسة فكر وممارسة " نوبليس " بيروت الجزء الثاني 2006.

2- ابن منظور، **لسان العرب** ،معجم لغوي علمي،تقديم الشيخ العلا يلي عبد القادر، إعداد خياط يوسف دار لسان العرب بيروت، المجلد الثاني، دت.

3- ابن منظور،**لسان العرب** (المجلد الرابع، المجلد السابع ، العاشر) دار الضاد، بيروت، 1990.

4- ابن منظور **لسان العرب**، الجزء12، دار الفكر بيروت،ط1،1990.

5- إبراهيم مصطفى، **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية (المكتبة الإسلامية) تركيا ،ج1، (دط)، (دت).

6- أحمد عابد وآخرون ،**المعجم العربي الأساسي** ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (لاروس).

7- أحمد عطية،**القاموس السياسي دار النهضة العربية** ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1967.

8- أندري لالاند ، **الموسوعة الفلسفية** ترجمة ،خليل أحمد خليل، دار النشر عويرات بيروت المجلد الثاني، دط ،دت.

9- إحسان محمد حسن، **موسوعة علم الاجتماع**،الدار العربية للموسوعات،الطبعة الأولى ،1999.

10- الكيالي عبد الوهاب،آخرون ، **الموسوعة السياسية** ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الطبعة الأولى، الجزء الثاني سنة 1979 .

11- الصافي عبد الرزاق ، **القاموس السياسي**، دار الفارابي، الطبعة الثالثة ، 1978.

12- بدوي أحمد زكي،**معجم العلوم الاجتماعية انجليزي** ،فرنسي، عربي ،مكتبة لبنان بيروت ،دط، دت.

13- روزنتال بودين **الموسوعة الفلسفية**، ترجمة يوسف كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر ،ط2،دت.

14- عبد المنعم الحنيفي، **المعجم الفلسفي الفرنسي الانجليزي**، دار الشرقية بيروت ، ط6 ،1990.

15- سميح غنيم ، **موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي الإسلامي**، مكتبة لسان الناشرون، الطبعة الأولى، 2000.

16- صليبا جميل، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والانجليزية واللاتينية بيروت** ، ج2، دط، 1982.

17- مذكور إبراهيم ، **المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ،دط، 1983.

18- مجمع اللغة العربية، **معجم القانون**، جمهورية مصر العربية ، دت، دط .19-

19- مجمع اللغة العربية **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة ، 2004 .

20- مصطفي غالب، **في سبيل الموسوعة الفلسفية** "برتراند راسل" ، منشورات مكتبة الهلال بيروت،1982.

21- *يحي محمد النبهاني ، **معجم مصطلحات التاريخية**، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع الأردن، 2008.*

22- **الموسوعة العربية العالمية**،الجزء16 ،ط2،مؤسسة أعمال الموسوعة،الرياض 1999.

6- المعاجم والموسوعات باللغة الفرنسية :

1- Colin armande ,**vocabulaires philosophie et science humaine**,L –M-Mon fors Paris,1980.

2- RUSS JAQUELINE ,**Dictionnaire de philosophie** , Bordas.

3- PAUL FAULQUE , **Dictionnaire de Langue philosophique**, presseditin, universitaire de France, paris.

4- André Lalande ,**vocabulaire technique de philosophie**, 9 édition universitaire de France ,1962.

5- Marie-Hélène corréad ,**Dictionnaire Anglais (Hachette of Oxford)** ,Hachette livre. Oxford .up.

6- sally wehmeier ,**oxford .advanced learner's dictionary**,new edition,oxford u.p.6edition.

7- الدوريات:

1- إسماعيل صبري عبد الله ،**أبرز معالم الجدة في نهاية القرن العشرين**، مجلة عالم الفكر، المجلد 26، العدد(3،4)،1998.

2- فرانسوا مارتي – **العدالة العالمية : الطريق نحو السلام** ،آفاق كانطية .ترجمة نعيمة حاج عبد الرحمان مجلة الأيس .العدد الأول .جوان 2005.

3- عبد السلام بن عبد العالي ، **الفكر الشمولي والفكر الكوني** ، مجلة الوحدة، الرباط، العدد86، 1991.

4- سمير أمين،**حوار حول مفهوم القومية**، المستقبل العربي ، العدد213.

الفهرس المحتويات:

*المقدمة:..... .

*الفصل الأول: فصل تمهيدي.

ـ المبحث الأول : جينيالوجيا (السلام، الحكومة العالمية...).....ص01.

ـ المبحث الثاني : كرونولوجية مفهوم السلام .....ص23.

ـ المبحث الثالث : المرجعية الفكرية لراسل ومنهجه الفلسفي .....ص45.

* الفصل الثاني : الحرب كظاهرة اجتماعية

ـ المبحث الأول : الحرب المفهوم والدوافع عند راسل .....ص65.

ـ المبحث الثاني: أثر العلم في المجتمع وعلاقته بالحرب .....ص85.

ـ المبحث الثالث : مميزات المجتمع العلمي .....ص104.

* الفصل الثالث : حكومة السلام العالمية: الرؤية والغايات.

ـ المبحث الأول: حكومة السلام العالمية .....ص123.

ـ المبحث الثاني: موقفه من مستقبل الحضارة الصناعية .....ص149.

ـ المبحث الثالث: التقييم والسلام عند "يورغن هبرماس" .....ص170.

* الخاتمة .....ص193.

* أسماء الأعلام.....ص203.

* قائمة المصادر والمراجع.....ص206.

* فهرس المحتويات.....ص220.

مفهوم السلام العالمي عند"برتراند راسل"

ملخص:

شهد تاريخ البشرية ألوانا شتى من الحروب المحلية والعامة ، والتي يظهر فيها الإنسان بصورة أنانية ووحشية وهناك صور أخرى للإنسان الوديع المسالم والذي يخشى الحرب ويهابها ويكرهها ويعمل للقضاء على أسبابها وعليها، وهذا ما دفع بالبعض إلى مناشدة السلام بكل الطرق وشتى الوسائل ومن بينهم "برتراند راسل" الفيلسوف الإنجليزي الأرستقراطي الذي نزل من عليائه ساعيا للبحث عن السلام ومناهضته ومناهضة الشعوب المتضررة جراءه ، ومما كان دافعا بالرأي العام الإنجليزي إلى وصف موقفه بالخسيس وسجنه،وبين أن دوافع الحرب هي نفسية بالدرجة الأولى ومدى الإرتباط الوثيق بين السياسة ونفسية البشر،وأن وسيلة تحقيق السلام الدائم هي حكومة عالمية التي تنلك حق الطاعة بوسائل لفرض القانون الدولي واحتكارها للأسلحة الحديثة والمعاصرة وإعادة توزيع الثروة على جميع شعوب العالم حتى لا تحقد أمة فقيرة على غنية،ومع حفظ لمعدل النسل في جو لتفتح المواهب الفردية بالعالم والفن والأدب، وإن السبيل الوحيد لمنع الحرب هو السبيل الوحيد لتحقيق السلام العالمي ولكن تبقى فكرته عن السلام أقرب إلى يوتوبيا منها إلى الواقع.

الكلمات المفتاحية :

السلام؛ الحكومة العالمية؛ الحرب؛ القوة؛ العنف؛ الدولة؛ السلطة؛ السيادة؛ الحضارة؛ القانون؛ الثورة .